شارلس أو. ليرتش

# الحرب الباردة وما بعدها



تعريب
الدكتور فضل زكي محمد

تشارلس أو· ليرتش (جونير)

# الحرب الباردة

## وما بعـدها ···

تعـريب

**الدكتور فاضل زكي محمد**

طبع على نفقة جامعة بغداد

دار الحرية للطباعة ـ بغداد

١٣٩٦هـ ـ ١٩٧٦م

# الحرب الباردة ....

# وما بعدها

ان ماورد من آراء ومناقشات في هذا الكتاب يعبر عن وجهة نظر المؤلف ومسؤوليته واننا لم نحذف اي شيء منها للامانه العلمية على الرغم من عدم اتفاقنا مع جوانب عديدة منها .

( المعرب )

١٩٧٦

المؤلف [ البروفسور الدكتور ] تشارلس او . ليرتش ( جونير )
اضافة الى كونه الفائز بكتابة المقالة والمحاضر المشهور ، فهو قد درس العلاقات الدولية لاكثر من عشرين سنة . وفي الجامعة الاميريكية بواشنطن دي ، سي ، حيث عمل أستاذاً ، اصدر البروفسور ليرتش من بين ما اصدره من كتب اخرى ، كتابيه (( اميريكا في الشؤون الدولية )) و (( اتجاهات السياسة الدولية )) .

## تمهيـــــد

لقد طرأ على مناخ العلاقات السوفيتية ـــ الاميريكية فى السنين الاخير ـ الذي طبع في بدايته بطابع البطء والتردد ـ تغيير تمثلت في كونها اكثر سرعة وثباتا • ولقد ادى هذا بالنسبة للاميريكيين الى الاهتمام بتوسيع رقعة قائمة حساب سياستهم الخارجية من جهة، والى قبول توقعات ماتجلبه هذه الفلسفة من تعقيدات للمشكلات التي سيواجهونها ، من جهة اخرى • وما كفاح الامة الاميريكية اليوم ، الا نتيجة للتعديل الكبير الذي طرأ على السياسة الخارجية الاميريكية •

ان فترة الانتقال الحالية ، تبدو ، بناء على ذلك ، مناسبة كل المناسبة لمحاولة القاء نظرة شاملة على حربها الباردة • نظرة لا من خلال الزاوية التأريخية ، وانما من زاوية تحليل مستويات التفاعل السياسي الناجمة من الفعل ورد الفعل على صعيد السياسة الدولية المعاصرة • وعلى هذا النحو فأن هذا الكتاب يمكن ان يعتبر محاولة لتحليل العلاقات السوفيتية ـــ الاميريكيةمنذ عام ١٩٤٥ كمحتوى ذاتي للنظام العالمي • وكما يشير اليه الفصل الاول ، فأن دعامة التحليل تستند كثيرا على النظرة «الاستراتيجية» • ومع ان النظرة المطروحة هي نظرة مؤلف امريكي يحاول ان يجعل منها نظرة موضوعية ما امكن ، الا ان ما تتضمنه من تأكيدات لا تخرج عن نطاق خطة ومناهج الولايات المتحدة الاميريكية •

ولا بد من الاعتراف ان الكتاب ينتهي بخلاصة مختصرة لايمكن ان تكون شاملة لما يحويه المستقبل من تنبؤات • والمصود بذلك ( ما بعد الحرب الباردة ) فى العلاقات الاميريكية ـــ السوفيتية • وما يمكن ان يؤكد عليه المؤلف هنا فقط هو ان احكامه قد جاءت بوحي مباشر من

تصوراته للاتجاهات المعاصرة . وعلى هـذا الاساس فأن اية تحليـلات تنطلق من افتراضات اخرى ، ليس من المستبعد ان تصل الـى غـير ماتوصلنا اليه من نتائج . وفى كل هذه الاحوال تبدو المحاولات الجدية للكشف عن النتائج امرا لامناص منه . اذ لا تزال هناك في عالم مابعد الحرب الباردة الكثير من القرارات الصعبة التي على الولايات المتحدة ان تتخذها لجعل اية مقاييس لاستعدادات اخرى مشجعة ومقبولة .

ت . و . ل ( جونير )

# الفصل الاول

## الجذور التاريخية والاستراتيجية للحرب الباردة

# الفصل الاول

## الجذور التاريخية والاستراتيجية للحـرب الباردة

لقــد قيل فى القرن التاسع عشر ان بريطانيا كانت قــد احتلــت امبراطوريةفى حالة ملائمة من حالات غياب العقل•وربما يقال نفس الشيء وعلى درجة اوفر من الصحة بالنسبة للسياسة الخارجية الاميريكيــة فى مجالها التطبيقي منذ عام ١٩٤٥ ، خاصة ما يتعلق بالمجابهة الهائلة مــع الاتحاد السوفيتي التي جرت تسميتنا لها بالحرب الباردة • فلقد أقدمت على تحمل تحقيق مشروعات كبرى كثيرة ، ظلت تفتقر فيها الى و حــدة الرأي ، ولم يسبق لها الاقدام عليها قط • وهذا امر لم يسبق لاية امــة عظمى ان تضع فيه كل امكانياتها من اجل البقاء وذلك «بغية الحصول على شيء ما فى وقت ما » • ولقد ادى انشغال الولايات المتحدة الطويل في السير في خط كفاحها ، بأن ولد ذلك في نفس الامة عدم اكتراث امام تساؤلات عما يحمله عملها من مضامين وابعاد فى المدى البعيد •

وعلى كل حال فقد كان منتصــف الســتينات يمثــل فترة جرد للموجودات • فحتى عديمي الاهتمام وغير المطلعين من الاميريكيين اخذوا يدركون في السنين الاخيرة الماضية ان هناك تغيراً قد طرأ على العلاقات السوفيتية ــ الاميريكية • امــا اولئك المعروفون بــالنظرة المعتدلة نسبيا ، فأنهم أخذوا بدورهم يبدون قلقهم ازاء تنامي عــدم الترابط به الكليشهات المستخدمة لفترة طويلة من الزمن كبديل للتفكير الجدي ازاء الحرب الباردة •

ولقد جاء القرار على لسان الرئيس الراحل كندي ، في خطاب

له ربما كان الاعظم من بين خطبه ، الذي القاه فى العاشر من حزيران في عام ١٩٦٣ فى الجامعة الاميريكية عندما طلب من الاميريكيين ان ينظروا « نظرة جديدة » الى انفسهم والى الاتحاد السوفيتي والى مشكـلات الحرب والسلام ٠

وما هذا الكتاب الا محاولـة متواضعـة لبحث مثل هـذه النظرة الجديدة ٠ فموضوعة هو الحرب الباردة ، اما اسلوبه فتحليلي وتاريخي٠ انه يناقش الفكرة التي تقول ان الحرب الباردة ليست بالضرورة عالميـة كما هي ليست صدفة تاريخية وانما هي نتيجة لتحولات سياسية تمتد الى جذور النظام العالمي ذاته ٠ وبناء على ذلك فأن التحليل العقلي لطبيعـة الخلاف السوفيتي ــ الاميريكي يكون اكثر فائدة من حيث بعـده وشموله ، منه الى اللجوء الى اللعنات العقائدية او دعوات الجهاد نحـو « العمل » ٠ ان الاساس التكنيكي المتبع فى الصفحات المقبلة يمكن ان يعرف كتحليل استراتيجي ، وبناء على ذلك فأن العلاقات السوفيتيـة ــ الاميريكية تصبح نموذجا للتداخل الاستراتيجي ٠

وهناك موضوع آخر ينفذ الى المناقشة على كـل حال ٠ ذلـك ان الحرب الباردة التي نظر اليها الخاص والعام فى الولايات المتحدة كمشروع منفتح الاطراف منذ مدة طويلة ، ننظر اليها بدلا عن ذلك بأنها تمثل اساساً فترة تأريخية مغلوقة ٠ فما يمكن قوله هو ان العالم قد قارب دخول فترة ما بعد الحرب الباردة ، كفترة تأريخية تختلف كل الاختلاف فى تمثيـل ادوارها عن عام ١٩٤٩ ( وحتى عام ١٩٥٩ ) بحيث انها دعت الى سياسات جديدة من قبل الدول الكبرى ، وعلى الاخص الولايات المتحدة ٠ ومع اننا قد قاومنا اي اغراء يدعو للتنبؤ او لتقديم اوصاف معينـة ، الا انـة لا مفر من الاشارة في الفصول الاخيرة الى بعض النتائج ( او الخلاصات ) الواضحة حول طبيعة الجو لعمليات المستقبل ٠

هذا اذن هو الموضوع من حيث تقديمه ووصفه،الذي نأمل ان نطبقه فى هذا المؤلف ٠ اما نقطة البدء فستكون اعادة تقييم الجذور التاريخية والاستراتيجية للخلاف ٠ اما اننا الآن وقد ابتعدنا عن الاحداث المتعارضة

لاكثر من عقدين من السنين ، كما واننا وقد توفرت لدينا ايضا فرصة النظر الى الوراء التي لا تثمن ، فأن النظر الى الوراء لهو تجربة تعذيبية • إن اصول الحرب الباردة تبدو اليوم مختلفة عما بدت عليه لفترة خلت •

**الصورة العالميــة الجديـــدة :**

كانت الحرب الباردة فى بداية امرها نتيجة لطوفان احدثته الحرب العالمية الثانية • ولم يكن امر الخلاف بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي ممكنا على الاقل بالنسبة المنوقعة فى اية فترة تأريخية سابقة • اما الطريق الذي سلكه عبر السنين فكان قد رسم الى درجة كبيرة وفقا لمناخ العلاقات الدولية الجديدة الذي نشأ في اعقاب هزيمة المحور • وفي كل المسالك المهمة التي سلكها ، فى الماضي ويسلكها فى الحاضر ، فأنها جميعا نتاجاً لفترة تلك الحرب •

ومن البديهي القول ان الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي كانتا قد خرجتا من الحرب كقوتين وحيدتين لهما القدرة والتأثير على شؤون السياسة الدولية • ومثل هذة المكانة الدوليةلم تلق التقدير اللائق بها فى مجتمع كالمجتمع الاميركي الذي عرف بصدوده عن دراسة وتفهم التأريخ • وعلى اية حال ، فأن الحقيقة المقابلة لهذه المكانة هي ان القوة لم تتمركز منذ انهيار الامبراطورية الرومانية مثلما تمركزت فيها عام ١٩٤٥ •

وبدا ذلك يعني ان السنين الاولى المهمة التي اعقبت الحرب والتي شغلتها الاسئلة حول ما يتحمل وما يجب ان يؤول اليه النظام السياسي العالمي، قد تحدتها مشكلة شغلتمكان الصدارة ونالت كل الاهتمام وتلك هي العلاقات ما بين موسكو وواشنطن • فلقد ساد لدى الاميريكيين ( وربما الروس ايضا على حد سواء ) ، الاعتقاد السريع ان موضوع علاقاتهم مع الروس هو الموضوع العالمي الاول ، طالما ان هذا الموضوع هو الذي أخذ يشغل بال جميع من اشغلهم للقيام بأمر ما ازاءه • ان اعادة

توزيع القوة التي فرضتها الحرب كان لها جانبان • فمن الجهة الأولى ، لقد نمت قوة كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي بصورتها النسبية والقطعية • فلقد ترجمت قوة كل من الفريقين من قوة هائلة كامنة عام ١٩٣٩ الى قوة فعلية هائلة فيما بعد الحرب • وفى نفس الوقت الذي كان فيه القادة الجدد يحشدون فى قوتهم كان الاعضاء الكبار القدامى من الدول،ممن كانت بيده الهيمنة على دخائل الامور يتأملون ماآلت اليه قوتهم من تصفية بالحرب وما منوا به من هزيمة في قضايا ثلاث • وهكذا فأن عالم ما بعد الحرب لم يشهد فقط المشاركة الفعالة لكل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي فى الشؤون الدولية ، وانما شهد ايضا احتكارهن المشترك لتقرير مصير العالم •

ومن هنا فأن عملية انعاش القوى الكبرى المنهزمة التي كانت بأيديها مقدرات الشؤون الدولية ، لفترة ما بعد الحرب ـ بريطانيا العظمى ، فرنسا ، المانيا ، واليابان ـ قد القى على كاهل اقطاب الحرب الباردة منذ عام ١٩٤٥ مسؤولية والتزاما لم تقدره تماما التقدير فى حينة •

ان الصورة الدقيقة التي برزت فى النظام العالمي الجديد اثر ما خلفته الحرب من رماد ، هو التلاشي السريع للنظام الامبراطوري الذي كانت قد أقامته القوى العالمية القديمة•وقد بدأ هذا التلاشي اولافي الشرق الاوسط ثم في آسيا واخيرا في افريقيا • كما اخذ يتلاشى النظام الاستعماري والامبريالي القديم ليحل محله بضعة عشرات من الدول الصغيرة مؤكدة وجودها والتي امتازت غالبا بعدم الاستقرار • وهكذا انهار النظام الامبراطوري الاستعماري العالمي الذي اقيم منذ القرن السادس عشر كمظهر عالمي لنظام سائد ومقبول فى السلوك السياسي للعلاقات الدولية •

وهذا لوحده قد اقام الى درجة كبرى مناخا جديدا للسلوك السياسي بالنسبة لجميع الدول وخاصة بالنسبة للدولتين المتنافستين اللتين لم يكن لهما اي تأريخ واضح او اهتمام في هذا الوضع الجسيم •

ولكن من المحتمل ان يكون اهم تأثير لسني الحرب على حقبة الحرب الباردة الزمنية هو العفريت التكنولوجي الذي استطاع ان يخرج من قمقمه خلال الحرب والذي رفض بكل اصرار الرجوع اليه بعد انتهائها • ان التكنولوجيا الجديدة ، التي اخذ كل واحد يرمز اليها بالحلم المرعب للحرب الذرية قد ظهرت باشكال لاتحصى واحدثت بمجموعها نتائج ثورية كلية • ولتداخل وتعقد عوامل الزمن وثمن المجازفة والموافقة اللاارادية والقيادة المؤثرة وغيرها من العوامل ان ادت بمجموعها الى عدم هضم المعاني والنتائج الحقيقية للثورة التكنولوجية •

ان الحقبة الزمنية التي بدات بالغيوم السريعة التي تراكمت فوق هيروشيما كانت تمثل عصرا مسرحيا جديدا • وهذا العصر الجديد نراه اليوم اكثر وضوحا مما رآه رجال الدولة فى تلك الايام • ومع انه عصر قريب من حيث تتابعه التأريخي ، الا انه فى حقيقته قد انفصل بأفكاره عن الحاضر بهوة عميقة وعريضة • ذلك ان التفسير السائد لابعاد السياسة الدولية الجديدة فى عام ١٩٤٥ كان تفسيرا مألوفا واصيلا ، يتصل بجذوره بنفس الاحصاءات والتخمينات للاحتمالات والتوقعات التي تتحكم فى عقول رجال الدولة لثلاثمائة سنة خلت• ولكن العالم بدأ يتغير طيلة الفترة ما بين عام ١٩٣٩ وعام ١٩٤٥ • لقد غدت المسألة الرئيسية الخاصة بالتوفيق بين الحرية والسلطة تختلف اختلافا كبيراً بالنظر لما حملته من معان جديدة • وفى مثل هذا العام اذن ولدت الحرب الباردة ونمت وتفتحت واخيرا دخلت فترة احتضارها •

**تدهور العلاقات الدولية التقليدية •**

ولقد لعب عامل اضمحلال القواعد التقليدية كعامل مهم آخر فى التأثيرعلى مناخ السياسة الدولية • وهنا لا يمكن القاء الحمل كله على الحرب لوحدها وانما لما حل من خلل في حيوية واستقرار نظام الدولة الذي كان قد بدأ فى اواخر القرن التاسع عشر ووصل حدود ازمة في اواخر الأربعينات من القرن العشرين • والحرب العالمية الاولى كانت

أولى علامات العطل الواضح في ميكانيكية النظـام الكلاسيكي لـدرء الانفجار • ان خيبة الامل في العشرينات من هذا القرن والتحـدي الناجح ضد النظام القائم من قبـل ديكتاتوري المحور في الثلاثينات منه كانت اشارات اكثر بعدا من عصر بالمرستون ومترينخ وبسمارك الذي كان قد انتهى امره • اذ لم يؤد الاسلوب الدبلوماسي في حـل المشكلات الدولية الا الى نتائج باهتة •

لقد سار النظام الدولي الكلاسيكي سيرا سلسا مابين نهاية مؤتمر فينا عام ١٨١٥ وقيام الامبراطورية الالمانية عام١٨٧٢ • وكدليل واضح للسياسة الدولية في عقودهذه الفترة هو ان كل دولة كانت جزءا مـن نظام دولي يلزم جميع الدول المكونه له العمل سوية على دوامه • وكان قانون المدنيه والسلوك المتحضر ـ الذي كان يسميه البعض الشعور المعقول ـ يحكم العلاقات العدائية ، وان كل حكومة كانت تلعب دورها بوحي من قناعتها بضرورة دوام هذا النظام الدولي مهما ساءت احوالها •

ويتصاعد الطموح الالماني نحو السيطرة على كل حال بدأ كـل شيء يتغير • فلقد بدأت النزعات بين الدول تتحول الى صراعات بين الشعوب • كما اصبح هدف العمل القومي ليس تحقيق حصيلة انتصارات صغيرة باسم « المصلحة القومية » وانما بدلا عن ذلك لاثبات وجود تمثيل قومي شامل مع الاهانة او تقويض اركان اية دولة تجرأ على الرفض • وهذا الابتعاد في وسائل العمل الدولي عن تقاليده واهدافه التأريخية الضابطة ، والالتزام الفظيع من قبل دكتاتوري الثلاثينات بتوجيه الرسالة القومية من هدفها الجدي الى هدف هزلي قد عمل بحد ذاته كشاهد ناطق للحالة المدنية للايذان بتحطيم العلاقات الدولية •

ولقد بدا هذا بأجلى صورته الواضحة عن طريق الدور الجـدي الذي اخذت تلعبه القوة • ففي النظام الكلاسيكي كانت القوات المسلحة ينظر اليها كاخر حل تقدم اليه الدولة لاقناع عدوها بالعدول عن نواياه • وكان اللجوء الى العنف يتم بنسب واساليب تتناسب واهمية الوضع

ومستوى المقاومة من الطرف المقابل • الا ان النظريـة الجديـدة فى الخلافات بين الدول قد عملت على اعتبار مثل هذا التمييز غير ضروري ، لسبب ان الهدف من الخلاف هو التدمير الشامل للعدو • اضف الـى ذلك ان التكنولوجيا الجديدة فى الحروب قد جعلت من استخدام القوة الكلية امرا ضروريا من الناحيتين المبدئية والفعلية •

وبهذه الصورة اصبح النظام السياسي القائم على اسـتخدام القوة وقد تحول الى نظام تكون فيه القوة اداة لتدمير الاقطار والشـعوب والثقافات ، ولكن دون تحقيق اية اهداف سياسية لائقة • ومـع ان الحرب العالمية الثانية قد صدت الطموح النازي نحو السيطرة الا انه من الصعب القول ان تلك الحرب كانت تهدف، الى تحقيق اية اهداف مبدئية من جانب الحلفاء • لقد دعى الحال الى بذل جهودمضنية وغالية الثمن فىسبيل اقامة اكبر ائتلاف في التأريخ وذلك من اجل تحقيق الهدف الفارغ الا وهو « التسليم من دون قيد او شرط » • ومهما توافر من منطق لدعم تعريف هذا النوع من « النصر » ، فأنه نصر قام على اساس منطق ساحة المعركة وليس على اساس مكتب السفارة • وما بين ١٩٣٩ و ١٩٤٥اصبحت الحرب امرا منفصلا نهائيا عن السياسة •

لقد حل محل النظام القديم انواع مختلفة من التكتيك الجديد ، مبتدئة بأتفاق للتنظيم الدولي الذي احتضنته الامم المتحدة ، الى قمـة التكتيات العملية ، التي مارسها الاتحاد السوفيتي في ثورة دائمـة فلم يكن لا لاميريكا ولا للاتحاد السوفيتي عام ١٩٤٥ تجارب غنيـة او اية ثقة كبيرة بالمبادىء والممارسات السـياسية الدولية التقليديـة الخاصة بالامس • اذ اندفع كل منهما ذاتيا وعقائديا نحو اقامة مبادىء واستراتيجيات جديدة • اما الدول الاقدم التي اسـتخدمت ذكاءهـا للعيش فى عالم قد اختفى ، فأنها وجدت نفسها لاحول لها ولاقوة تجاه مايجب عليها القيام به في جو ما بعد الحرب •

وعلى مايبدو فان ماتركته الحرب من دمار وخسارة دائمة هو ذلك النظام الدقيق التركيب الذي كانله الفضل في ادارة الشؤن الدولية أمراً ممكنا • إن ما حدث هو ان العالم فى عام ١٩٤٥ قد خلا من اي مجتمع دولي منسق تعرف فيه كل دولة مكانها المناسب ، وحدود امكانياتها ، ودرجة انقيادها • وبدلا عن ذلك فقد ظهر على مسرح القوة كل من موسكو وواشنطن على احد طرفي ميزان القوة فقط • بينما تجمعت جميع الدول الاخرى ، على الطرف الثاني من الميزان ممثلة لمستوى يكاد يقرب من الصفر فى قوتة • وفى مثل هذا الجو اصبح من المستحيل فى الحقيقة توفر مجال الاسلوب التاريخي فى معالجة الخلافات وابداء الحلول بشأنها •

وحينما بدت تظهر دول جديدة في السنين القليلة التي تلت الحرب اثر انهيار النظام الامبريالي ، كان ذلك قد مثل نهاية لاخر تشبث فى امل الرجوع الى النظام التقليدي العالمي • ان ما يجلب الانتباه هو ان هؤلاء الاعضاء الجدد الذين لم يكونوا فقط قد الفوا القواعد التاريخية في العلاقات الدولية ، والذين اعتبروا انفسهم كنماذج جديدة وقد افلتت من عبودية احد الممارسات القديمة المقدسة ــ الامبريالية ــ وانما ظلوا ثائرين ضد ذلك النظام الذي رأوا في دوامه استمرار استعبادهم • لقد عنى ازدياد اهمية هذه الدول القضاء نهائيا على البقية الباقية من النظام القديم القائم على القوة وعلى اتفاق ذوي النفوذ •

لقد كانت السنين الاولى من الحرب الباردة ، بعبارة اخرى ، سنين ازمة فكرية بقدر ما هي سنين توتر سياسي • ذلك ان قليلا من رجال الدولة فى كل مكان ( بما فيهم قادة الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة على وجه التحديد ) قد استطاع ان يتصرف بدقة على المدى الذي خرقت فيه حدود اطار المؤشر التاريخي • لقد بدا كل من العملاقين الجديدين ثوري بغريزته ، ولكن كلا منهما بدا ايضا يختبر تثبيت مخترعاته بمقاييس تقليدية • كما لم يواجه اي منهما بدقة المعاني الحقيقية

لتدهور العلاقات التقليدية العالمية او المعنى الشامل والعقبات والفرص التي قدمها الجو ( العالمي ) * الجديد •

وهذا بالطبع كـان اكثر وضوحا في حالة قادة ما قبـل الحرب المخلوعين • وهنـا نجد الارتباط بين التقاليد والاستمرارية في توجيه تفكيرهم نحو المألوف في الوقت الذي كانت تسير الامور في اتجاهات مختلفة تمام الاختلاف ، بحيث ان ضعفهم الاقتصادي والسياسـي والعسكري تركهم من دون اية قوة جسمانية او في موضع دفاعي عملي امام مراكز القوى الجديدة • ففي العالم الاسيوي ـ الافريقي ، وجدوا انفسهم مجردين من اية قوة تحميهم من الهجوم المشترك الذي شنتـه الجماهير الناقمة ضد الامبراطوريات الاستعمارية من جهة والطموح الكوني الناجم عن تخاصم اقطاب الحرب الباردة من جهة اخرى • وعلى الرغم من التشبث بمقاييس الامس واستخدامه على الحالة الجديدة التي ليس لها نظير في الماضي ، فلقد وجدت كل من بريطانيا ، وفرنسا وهولندا وبلجيكا والبرتغال واسبانيا نفسها وقد خسرت قبضتها على امبراطوريتها وامام خطر الابتعاد والعزلة عن حقيقة ما يجري في السياسة الدولية في عصر ثوري •

**الافكار الثوريـــة في العلاقـات الدوليـــة :**

لقد سجلت فترة مابعد الحرب ابتعاد عن المفاهيم وانفصام سريع عن مقاييس وآراء النظام التقليدي • وقد تمثل ذلك في ان حلت بسرعة مفاهيم جديدة بشأن كيان الدولة محل مفاهيم سابقة قضى عليها الزمن • اما المدافعون عن هذه القيم الجديدة فكانوا يسعون بدرجات متفاوته ، من اجل انجاح هذه المفاهيم في العالم غير التقليدي ، وربما جاز لنـا ان ننظر الى هؤلاء كفلاسفة للثورة ، سعى كل منهم بدوره في تطبيق ما يمكن تطبيقه على وضع ثوري معين •

---

* المترجم

وبحلول عام ١٩٥٠ برزت ثلاثة من المفاهيم او المباديء لتعطى معاني محددة نسبيا ، قدر لها فيما بعد ان تعطي عالم ما بعد الحرب صبغة وشكلا خاصا به • ومنذ ان كان لاي مبدأ ثوري ــ ماخلا الاباحية المطلقة ــ اعطاء صورة مثالية للنظام الكامل ، فإن هذه المبادىء اخذت مبدئيا تطرح كل منها لتخدم اغراضا مثالية مقارنة بغيرها •

واولى هذه النظريات التي كرست لخدمة الثورة فى معناها المألوف ودونما جدل ، كان بالطبع الصورة العلمية للشيوعية • ان صورتها المثالية تتمثل في أقامة مجتمع يخلو من الطبقات وبالتالي من الدولة ، يعيش فيه جميع الناس عيشة اخوة لا ينقصها شيء نسبيا • ومن ناحية علمية فأن تأكيدها كان ولم يزل ينصب على حماية المواقع الشيوعية القائمة فى العالم ؛ والى مستوى اقل من الاهمية نسبيا على امتــداد النفوذ الشيوعي عن طريق الاقناع والوسائل الهدامة والحرب • وتحت ظل الهدف العلمي ، فأنها قد صورت نظامها العالمي الكامل ، بأنه فى طريقه الى الوصول الى غايته ، وانه قطعي ولا محالة من وقوعه •

اما النظرية المثالية الثانية فهي تلك التي تبنتها الولايات المتحدة • لقد صورت العقيدة الاميريكية العالم ، بأنه عالم دقيق ومنظم وفــق قانون يهدف الى اقامة مجتمع دولي يقوم على الانسجام والسلام ، يكون فيه الفرد والجماعة ملزمين امام المجتمع الانساني بوضع حدود لحرية الدول ــ مجتمع دولي مترجم لما هو مألوف من مفاهيم وفلسفة سياسية سائدة فى المجتمع الاميريكي • وعلى هذا النحو مــن الالتزام العقائدي القائم على الارادة والحرية والمسؤولية الذاتية ،فأن صورة الحلم الاميريكي يمكن التنبؤ بقيامها من باب الاحتمال فقط •

اما النظرية الثورية الاخيرة فقد تمثلت بالعالم المناهض للاستعمار الذي ظهر بصورته الاخيرة على اشكال خاصة ومتعددة ولكن اقوى هذه الاشكال تجسيدا قد تمثل بالهند المستقلة • وقد تمثلت مثاليتها في تصويرها للعالم بشكل يكاد يكون عالما لا تدخل فيه السياســة ،

عالم تمحى فيه الفوارق عن طريق اقامة تعاون كوني ، وذلك من اجل القضاء على العوز المادي للجنس البشري • وقد عنى هذا من ناحية تطبيقية بالطبع الابتعاد عن المشكلات العالمية المألوفة من جهة والاستمرار في التأكيد على مواضيع تخص التأخر والجنس والاختلاف الثقافي تحت اسم الفضائل الخلقية من جهة اخرى •

ومهما كانت هذه النظريات مختلفة في نظرتها وغير قابلة للتوفيق فيما بينها ، فأنها تشترك جميعا فى قاسم مشترك واحد • انها ترفض جميعا العلاقات الدولية التقليدية كونها تعمل على تدمير ما جاءت به من افكار ومثل •ذلك ان كلا من هذه النظريات قد الزمت نفسها فى احلال ثورة دائمية واسعة في ادارة الشؤون الخارجية للدول •ثم انها جميعا بالاضافة الى ما تقدم ، تقوم على مبادىء تتسم بالعالمية والشمول بحيث لا تدع اي مجال للتسامح مع من لا يؤمنون بها ناهيك عن اقفالها الباب امام امكانية قيام تسوية او وفاق بين الآراء المختلفة • كذلك فأنها تتمثل اساسا في انها ايديولوجية المنحى في السياسة الدولية •

ومن كل هذه المواقف المثالية ، اشتقت بعض المعايير التي تمثل الحد الادنى الضروري لدولة عقائدية طالما وجدت نفسها مضطرة للعيش في عالم غير مثالي • وبالنسبة للشيوعيين فأنها قد تضمنت منع قيام اي تصادم عنيف يؤدي الى تهديد النظم الشيوعية ، كما تضمنت الحفاظ على ما هو ضروري لدوام عدم الاستقرار والتوتر فى العالم غير الشيوعي ، وذلك من اجل السماح للنفوذ الشيوعي من الانتشار • اما بالنسبة للامريكيين فأنها قد تضمنت استقراراً معقولاً في العالم وذلك من اجل اعطاء ماكنة التنظيم الاولى فرصة العيش والنمو ، وفى نفس الوقت الحفاظ على المركز الخاص والمرغوب الذي تتمتع به الولايات المتحدة • هذا بينما نجد ان شروط ايديولوجية المناهضين للاستعمار ، تتضمن شروطاً اكثر تعداداً • فهم يبدأون بالفكرة المبسطة والقائلة بتصفية عاجلة للاستعمار ، الى الفكرة الداعية الى اقامة قواعد لتحديد ونهي

الدول الكبرى تصدر عن ماكنة دولية . ان المناهضين للاستعمار نراهم وقد تمنوا « اصابة كلا بيتي الاعداء بكارثة » ، في الحرب الباردة ولكنهم عمموا اللعنة لتشمل كل طموح لمنزلة عالية وجوانب عريضة للقوة في حلبة السياسة الدولية .

ونتيجة لتصادمات هذه الاشتراطات خرجت الى حيز الوجود مادة موضوع العلاقات الدولية منذ سنة ١٩٤٥ . اما الحرب الباردة ذاتها ، وخاصة في صورتها الحادة ، فأنها قد ادت في حدها الادنى بطلبات كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي الى نقطة الانغلاق او حالة لا يمكن معها قيام اي اتفاق متقابل . وقد ظلت الحال كذلك حتى السنين الاخيرة من التصادم ( وهي الفترة التي ابتدات سنة ١٩٥٥ تقريبا ) ، حيث تحول الجدل العدائي بين موسكو وواشنطن وفقا لطلب العالم الثالث ، الى حوار يستمع فيه كل طرف للطرف الاخر .

وهكذا يمكن وصف الحرب الباردة بأنها تصادم بين فلسفات ثورية . وقد بدت الشيوعية اكثر الفلسفات الثلاث صدامية على الاقل في ظاهرها ومع ذلك فيجب ان لا يضلل احد بما تقدمه الفلسفتين الاخريين من معاني . فكلاهما قد كرس جهده من اجل نبذ النظام التقليدي شأنها بذلك شأن الشوعية . والاكثر من ذلك ان كليهما يمسك حتى اليوم بمفاهيم العنف والقدرة الكلية . فلا الفكر الديمقراطي الامريكي ولا النظرية السريعة الازدهار لاصحاب مناهضة الاستعمار تعطى اي مكان خلفي للشيوعية مقابل ماتلتزم به من افتراضات ايديولوجية .

ثمة سؤال لايقبل اي جواب حتى هذا اليوم ، وذلك هو السؤال المتعلق بالمواجهة الايديولوجية . ان مايجب الاعتراف به هو ان عالم سنة ١٩٤٥ كان عالما مشوبا بمناخ ثوري مساعد لقبول اي مبدأ يدعو الى تغيير شامل . ولكن هل كانت او هل ان ايا من الفلسفات الثلاث والتي تطبق بكل قوة اليوم قد قدمت التركيب الصحيح للمحتويات التي يبنى عليها سياسة كلية ؟ ان هذا الموضوع يمكن ان يناقش الى مالا نهاية في مجاله النظري ، اما

فى مجاله التطبيقي فليس باستطاعتة اي من الفلسفات الثلاث المناقشة يجد القول ان الاحداث قد ولدت كما تدعى وانها الصورة الصحيحة لموجة المستقبل •

وما يمكن قوله هو ان ما تقدمه بعض الفلسفات من اتهامات وادعاءات تزعم انها تتفق والحقيقة هو امر لايزال يحتاج الى الكشف واقامة الدليل • اذ كل ما رأيناه حتى اللحظة الحاضرة هو مجرد تصادم لم ينته امره بعد ، جاءت به فلسفات ثورية فى العلاقات الدولية • وقد تبنته دول تقليدية عدة• والذي يبدو ان المجتمعات الثورية لاتتوافق مع العدو وانما بدلا من ذلك تصر في وجه جميع الظروف الشاذة على النصر • واذن فليس من العجب ان تكون العلاقات الدولية منذ عام ١٩٤٥ وقد سارت على منحدر عال من التوتر •

**العناصر الكامنة للخلاف :**

يبدو على المستوى العقائدي ان التصادم لأمد غير محدود كان جوهريا بحيث ادى ظهور الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي كمركزين عالميين للقوة بعد عام ١٩٤٥ • وليس هذا معناه الافتراض ان اية وضعية تتألف من قوتين هي اساس معد لقيام النزاع • وبعبارة اخرى ليست هناك قاعدة ضرورية لقيام عدم الاتفاق اكثر منه الاتفاق فى مثل هذا الاستقطاب الثنائي•ولكن عندماتعتقد ايةجهة انهاقد وجدت نفسهاملتزمة برسالة عقائدية ، تتوخى منها تحقيق هدف اعلى من شأنه ان يقيم طرازاً من العلاقات السياسية في العالم يعتقد بصحته المطلقة ، عندها يكون الخلاف الرئيسي بموجب وجهة النظر هذه اختلافاً يستدعي قيام سياسة مناهضة • ان كلا من الشيوعين والديمقراطيين قد ألزموا انفسهم في ان يعملوا من اجل ما يعتقده هو الصحيح فكانت الحرب الباردة المنفذ الوحيد الذي وجدوا انفسهم وقد رموا اليه فى مجابهة صميمية فى كل مكان من انحاء المعمورة •

وما هو جدير بالذكر هو ان الحرب الباردة قد قلصت بصورة فعليه المسافة الاستراتيجية بين موسكو وواشنطن في كــل مــن الناحيتين التكنولوجية والمبدئية • ذلك ان موضوع العلاقات الاميريكية ــ السوفيتية لم تكن بذات اهمية لاي من الطرفين قبيل ارتباطهم الفجائي بالحرب العالمية الثانية • وقد كان بسبب هذه الحرب ان وجدا نفسيهما مضطرين الى العمل سوية اثناءها واثناء فترة الاعداد للسلام • وفي الوقت الذي كانت فيه الحرب الباردة قد بدأت ، كان مصير كل منهما مرتبطا ارتباطاً وثيقا بالاخر ، اذ لم يعرف اي منهما آنذاك ما سيعمل الاخر •

واليوم وحين تعلم اغلبية المسؤولين الكثير عن الاتحاد السوفيتي يوما بعد يوم في مدرسة الحياة الصعبة ، فأنه ليبدو امرا لايمكن تصديقه ان يكون السلوك الاساسي ازاء الكرملين خلال الحرب وحتى خلال المرحلة الاولى من الحرب الباردة ، قد سار على ما سار عليه من بساطة ، وسواء اكان الخط الرسمي في حينه وراء المديح الاحمق « علاقتنا مع حلفائنا الروس الديمقراطيين » في عام ١٩٤٣ ام الخلاصة « الحقيقية » القائلة بان الشيء الوحيد الذي يفهموه هو القوة في عام ١٩٤٩ ، فأن بداية تقدير الاميريكيين لكل من خطوات النموذج الروسي كانت تتسم بالبساطة وراكبة وراء الكليشهات • والامر من ذلك انها كانت خارج الصدد • ان السبب الرئيسي لماذا ان العلاقات لم تزد سوءاً اكثر مما وصلت اليه لسنين كثيرة ، هو ان القيادة الروسية ــ وبخاصة ستالين نفسه ــ كانت هي الاخرى غير قادرة وبنفس الدرجة على تفهم حقيقة طبيعة الموقف الاميركي بالنسبة للقضايا الدولية • لقد كان للروس معلومات وافرة عن الولايات المتحدة • ان فشلهم لم ينجم من نتيجة ضعف في الذكاء اكثر منه عدم القدرة في التفسير والتثمين • لقد اصروا عند تقييمهم وتنبؤهم بالسلوك الاميريكي في ضوء مفاهيم دايلكتيكية صارخة وكانوا غير موفقين لمرات كثيرة في تفسيرهم ان الولايات المتحدة فشلت في السير بالطريق الحتمي الذي كان قد تنبأ به لينين قبل ثلاثين سنة •

ونتيجة لما تقدم فقد تعامل الفريقان مع بعضهما تحت صعوبة مضاعفة • فكلاهما أعرب عن طموح ثوري واجبرا بناء على ذلك في وصف احدهما الاخر بأوصاف شيطانيه • وبالاضافة ، لم يكن لاي منهما فى البداية أية قاعدة عريضة لسياسة غير تلك التي تبسط صورة العالم والتي تنطلق من مثل هذا الاساس الاعتقادي بشأن حرفة الدولة • ان تاريخ الحرب الباردة يفترض لنا ان القوى الكبرى سوف تقرر امورها على مبادىء عقائدية فى الاحوال التي لايمكن ايجاد مرشد افضل منها في قاموس التأريخ او المصالح الاستراتيجية • لقد ترك كل من الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة بالاخير اغلب مفاهيمه الايديولوجية كحصيلة متجمعة عبر التجربة الذاتية ، بمفاهيم اخرى كان من شأنها ازاحة المفاهيم الاصلية واحلالها محلها وفق استراتيجية تقوم على افتراضات يمكن اقامة الدليل عليها على اسس اكثر واقعية • الا ان الخسارة التي حصلت هي ان العواطف التي تعمل على ايقاظها رسالات المبادىء العقائدية ومشكلاتها ، لاتموت بنفس السرعة التي تأتي بها الى الحياة • ولقد كان للتطورات التي مرت بها الحرب الباردة ان عكست على اسلوب تعامل المتخاصمين الايديولوجين ، بحيث تركت بمرور الزمن اثار مادية عملت على تعديله وجعلت منه اسلوبا اكثر واقعية •

لقد جعلت كل من الايديولوجية والتقديرات الاستراتيجية الخارجية الحرب الباردة امراً لامفر منه • وقد اضيف الى ذلك عامل آخر : الا وهو توسيع مصالح القوتين الكبيرتين • ذلك انه لم يكن لاي منها حتى عام ١٩٣٩ افاق كونية كتلك التي كانت لبريطانيا وفرنسا وحتى المانيا • وما ان دخل عام ١٩٤٥ الا ووجدت هاتان القوتان امامهما مسؤولية تحمل تركة طويلة عريضة من القضايا في كل زاوية من زوايا العالم • فلقد نالا مركزيهما كقوتين عالميتين فجأة تقريبا بحيث وجدا نفسيهما ملزمين بتطبيق سياسات فعالة فى مناطق كثيرة لم تكن بالنسبة لهما ذات شأن سابقا ، ناهيك عن قلة خبرتهما فيها • لقد بان امام كل

فريق ان اي اتجاه يتجه اليه ، فانه سيجابه بكل تأكيد باتجاه مقابل من قبل الطرف الاخر • وهذا ما كشفت عنه السنون الاولى من الخلاف التي ظهر فيها الطرفان وهما يقفزان على الخارطة من نقطة الى اخرى •

ان المصالح العالمية ، خاصة حين تتواجد فى جو مشوب بالخلاف تصبح مهمة صعبة لمن يتخذ القرار بشأنها • ذلك لان اي مشكلة لايمكن عزلها عن الافق العقائدي الكلي فى النزاع • لقد وجد كل من الخصمين نفسه مضطر الى بناء نظريات للخلاف تكاد تبتعد كل البعد عن الجو الخاص بذاتة • فلم يتجاسر اي منهما على ان يعطي نفسه الوقت المناسب لتطوير مبادىء استراتيجية بعيدة المدى •

لقد كان المصدر المغذي لتصادم الرؤوس مع بعضها بعد الحرب مباشرة يعود فى حقيقته الى التخريب الجغرافي السياسي الـذي تركته الحرب • فالدعوة الى السلام كانت امرا مستحيلا لاسباب كثيرة ، الا أن التفسير الرئيسي الذي يكمن فى الاعماق حول لماذا تحولت الحرب العالمية الثانية الى حرب باردة هو عدم امكان توفير اي وقت لايجـاد قواعد تحل محل النظام العالمي التقليدي السائد ووسائله الميكانيكية الخاصة بالقيود والمراقبة • لقد بدا كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي يمثلان النظام العالمي عام ١٩٤٥ ، منذ ان اخذ كل منهما يعمل بطريقته الخاصة كقوة ثورية ، من دون ان يكون هناك امامهما نظام ينسق العلاقات بينهما من الناحيتين النظرية والعملية •

**الاختلاف في الرؤيـة الاستراتيجيـــة :**

من الواضح ان تحتل الدوافع مركزا رئيسيا بالنسبة لاي تحليل يخص العلاقات ما بين القوى الكبرى ، خاصة ما له صلة بالجوانب التي يقوم عليها النزاع • وعلى كل حال ، يظهر هنا سـؤال متواز ذي تأثير مماثل وذلك هو المبدء الاستراتيجي وصورة السياسة الخارجية المقبولة فى كل حرب باردة واليوم بالذات • فقد تشرح البواعث اصل النزاع ،

الا ان المبادىء الاستراتيجية تلقي عادة الضوء على القوى التي مـن شأنها ان تعمل على استمرار النضال لفترة معينة مع الحفاظ على اقل درجة من التغيير •

ان التداخل ما بين عوامل الاختلاف والتي تحتل تعاليم الايديولوجية الشيوعية مكان الصدارة منها ، الى جانب ما للتاريخ والتقاليد الروسية من تأثير ، وما هنالك من متطلبات تكتيكية لادارة دولة بوليسية ، قد اسهمت جميعا في ظهور وتطور نمط متميز من الاستراتيجية السوفيتية لفترة ما قبل الحرب العالمية الثانية • فلقد بنى الكرملين سياسته العقائدية على اساس انها سياسة تقوم على الكفاح الدائم ضد القوى المناوئة الموروثة • واما بشأن الصدام فأنه ليس بحد ذاته خير او شـر ، وانما هو امر لامفر منه • ان حقيقة الأمر لاتنحصر بحالة العلاقات من اية جهة ولكنها تنحصر بالمدى الذي يمكن عن طريقه تحقيق الاهداف السوفيتية• فلم ير الاستراتيجيون السوفيت في السنين الاولى التي اعقبت الحرب ، اية فائدة تذكر من جراء تحقيق التصفية السريعة لاثارهـا فى تحقيـق الاستقرار • ولطالما لم يتوفر امام موسكو اية فائدة ثابتة تشتقها من اي امل يحول دون سعيها وراء العمل من جراء ابقاء الامور على اوضاعها دون حسمها ، فأن الخطر السوفيتي ظل يعبر عن نفسه بأنه خطر يلتزم بتجنب الاتفاق •

ان هذا التأكيد على الاختلاف كحالة طبيعية فى السياسة الخارجية السوفيتية قد ادت بدورها على تأكيد السوفيت بدرجة كبيرة علـى استراتيجية ثابتة مقرونة بتكتيك يقوم على مرونة واسعة جدا • فالقوانين السوفيتية من ناحيتها قد اكدت على السير وراءاستراتيجية موحدة تضع نصب اعينها النصر النهائي بالذات ، مع الالحاح ذاتيا على درجة قصوى من النفس العملي • ومما يبدو ان ازدياد التركيز على وحدة الهدف فى الكرملين يصحبه ازدياد غامض فى فن المناورة • وعلى هذا الاساس يعلن السوفيت انهم لايهتمون من اية خسارة فردية قد تحدث او من فشل يعقب

اية مبادرة خاصة • فلقد كان اهم مايعنى به ستالين ، على مايبدو هـو الناتج الاخير للنشاط السوفيتي وليس نتيجة فردية تقابلها •

اما فى الجهة الاخرى من الستار الحديدي فلقد سادت وجهة نظر استراتيجية مختلفة تماما • فكما هو معلوم ان المبـدأ الاسـتراتيجي الاميريكي ، المعبر عن فلسفته السياسة والتأريخية وتحركاته الحكومية ، ينطلق من الفرضية التي تشترط في ان الاتفاق الذي يقوم على محض التزامات متقابلة تنجم من خلال مناخ تسدو فيه المساومة القائمة على المساواة والصدفة لهو خير من انعدام الاتفاق في العلاقات بين الدول • ان اهتمام الولايات المتحدة بالجانب الاستراتيجي فى السياسة الدولية لا يجوز وصفه بصورة غير دقيقة من حيث انه فى حده الاقصى نتيجة لعمل اميركي هادف ، وانما الفشل فى الوصول الى حل مرض للطرفين في اي نزاع ينظر اليه بانه انتكاسة استراتيجية • فعدم الوصول الى اتفاقية سلام بالنسبة لالمانيا ، كان بالنسبة للولايات المتحدة ، مثلا ، مؤشرا ذاتيا للفشل فى السياسة • بينما الوصول الى اتفاقية سلام لاتعني شيئا بالنسبة للاتحاد السوفيتي ، ماعدا كون الاتفاقية تعيق او لاتعيق تحقيق الاهداف السوفيتية فى المانيا •

وحيث ان التجارب تشير ، بالاضافة ، الى ان الاتفاق لايتم عادة وفق مبادىء اساسية عامة وانما يتم على قضايا خاصة فقط ، فأن قواعـد الاستراتيجية الامريكية اخذت تؤكد على اسلوب خطوة فخطوة مـن اجل الوصول الى اتفاق وتجزئة اهداف العمل الاستراتيجي الى كسرات ( لقمات ) صغيرة • وعلى هذ النحو فلم يعد هناك ضرورة لتعليل منطقي او تكتيكي ليبرر لماذا تعمل هذه التجزئة الاستراتيجية على تعطيـل تحقيق الاهداف البعيدة ، اكثر منها اهتمام الانسان العـادي بالامور الانية مقابل ماهو متوقع من انجازات نهائية لتؤدي الى مثل هذه النتيجة • وازاء ما مرت به الحرب الباردة من تطورات اصبحت الاستراتيجيـة الاميريكية ترتكز اكثر فأكثر في اتجاه فكري واحد على القضايا الخاصة وليدة الساعة محاولة كسبها ( او عدم خسرانها على الاقل ) فى اية وكل

قضية يحصل فيها نزاع مع السوفيت • ومن هنا اصبح اي فشل يعتبر انتكاسة واي نصر تزكية : لقد اصبح الهدف الاستراتيجي النهائي للامة ملطخا باغشية متلاحقة من الاستجابات لحالات الازمات المتكررة •

وهكذا فإن من الممكن القول باسلوب مبسط جدا ان نموذج الولايات المتحدة الاستراتيجي قد اكد على احراز النصر في المعارك ، بينماركز النموذج السوفيتي على احراز النصر في الحروب • ان النصر القائم على تجميع القوة التدريجي هو على ما يظهر الطريق الذي حددت فيه الولايات المتحدة مشكلتها ، بينما النصر بالنسبة الى السوفيت ينظر اليه على اساس وحدة العمل وتماسكه • لقد اختارت الولايات المتحدة استراتيجية استغلال الفرصة ، بينما اختار السوفيت العمل النهائي •

ان ما يجب التأكيد عليه هو ان هذه التوضيحات هي من حيث الاساس تدخل في باب المبادىء والمفاهيم ، وليست قابلة للتطبيق تماما • لقد كان واضحا كل الوضوح في المراحل الاولى من الحرب الباردة ، حينما آمن الجانبان بالمفاهيم القطعية للافكار المجردة اكثر منها التفكير بحدوثها ثانية اطلاقا • لقد برهن كل منهذه المبادىء انه جذابا بالنسبة للقوى الاخرى : فلقد بدا السوفيت يتقبلون التحدي الامريكي في التصدي لكل مشكلة على حدة الى النهاية ، بينما تقبل الامريكيون اكثر فأكثر فكرة المفهوم الاستراتيجي الموحد • لقد حارب السوفيت حصار برلين من ١٩٤٨ ــ ١٩٤٩ الى نقطة اليأس الكلي المتقابل•ومن الجهةالاخرى تملك الولايات المتحدة الشعور بتجسيد سياسة الحصر • وهكذا ومنذ البدايات الاولى ، وبالرغم من عدم تحسس هذا الامر حتى وقت طويل ، فقد ظهر ان استمرار الحرب الباردة ، قد ادى الى استمرار متميز عن النيات ، في ردود فعل متشابهة لكلا المتخاصمين •

ان اللغز المستغرب في المبدأ الاستراتيجي السوفيتي المتسم بالمفاهيم الثورية الهائلة هو انه قد تحول مباشرة الى خط قديم من التكتيك الهادىء • فأذا ما اهملنا الاستعارات المزركشة التي يحلو

لموسكو ان تلبس بها تصريحاتها ، فأن صلابة العمل السوفيتي يبـدو وكأنه اقل لينينية واكثر بسماركية فى اهدافه ومناوراته. فالذي يبدو ان الهدف المعلن عنه ربما كان الشيوعية، الا ان المقياس العملي لذلك الهدف يتمثل فى امن وتشامخ وقوة الاتحاد السوفيتي . واذا كانت الحاجة تدعو دوما الى تفسير مشوه ومنظم للكتاب الماركسي ـ اللينيني المقدس من اجل حتى امرار سياسـات كثيرة للكرملين ،الا ان مثـل هذه الصـعوبة الايديولوجية لم تكن عقبة امام السوفيت فى اتخاذ قرارات عملية . ومن هنا كانت السياسة الخارجية السوفيتية فى مفهومها تسير نحو الانحطاط من حيث الهامها وتكتيكها طيلة فترة الحرب الباردة .

واذا كان بسمارك المصدر غير المجاهر به لاستراتيجيـة الفكر السوفيتي ،فأن وودرو ولسن هو الجد الواضح لسياسة الحرب الباردة الاميريكية . ان دور القوة الكبرى الذي اتخذته الولايات المتحدة لنفسها للتصدي لخلافها مع الاتحاد السوفيتي يتطابق مع الصورة التي تخيلها و لسن للسياسة الدولية . لقد كان ولسن نفسه يعتقد ان التأريخ قد دعا الولايات المتحدة لتخلق ثورة كبرى فى النظام الدولي ولتكون حاميا للدول الاقل امكانية امام نظام القوة الطائش ، وان مثل هذا الدور سيعطي للافكار الاميريكية تأثيرا كونيا ومتخطياً الولايات المتحدة كوحدة سياسية . ولقد كان هـذا التفكير هو التفكير الكلي السـائد لدى الولسونيين في العقد الثاني من هذا القرن . ولا يزال هذا التفكير يشكل العنصر الرئيس في استراتيجية الفكر الاميريكي .

وعلينا ان نذكر انفسنا ، ان كلا من بسمارك وولسن كانا ثمرتين اصليتين من نتاج فكر القرن التاسع عشر . هذا وان الحاجة الى تغيير السلطة هي قديمة قدم الرغبة فى توسيعها ، وهكذا فالولايات المتحدة فى محاولتها لاعادة تنظيم وبناء النظام الدولي ، انها تقبل وتمارس اشغال مركز شرعي بقدر المركز الشرعي الذي يدعيه الاتحاد السوفيتي لنفسه . وهذه النظرة الجديدة الى الحرب لباردة القائمة فى خضم الخصام

القديم بين التمسك بالسيطرة وبين تعديلها ، كمبدأ اساسي في العلاقات الدولية ، لهو في الحقيقة بعيد كل البعد عن المفهوم السائد الذي يعتبر السيطرة اما حربا ايديولوجية مطلقة او كفاحا معرى من اجل تلك السيطرة . اننا لا تناقش هنا ان اقرب بعد واضح للحرب الباردة هو تعريفها في ضوء مخاصمات الماضي ، وانما نناقش ذلك في ضوء المحيط الجديد والتكتيك الجديد للنزاع من حيث كونه اكثر اهمية من الناحية الجوهرية ، ثم انه من التواضع والتجديد ان تتذكر بان احد مستويات الحرب الباردة على الاقل هو أمر مألوف .

**عدم الدقـة في الاهـداف :**

وهنا تبدو الحاجة الى مناقشة الجذر الاخير من الحرب الباردة . ذلك ان كلا من الخصمين الكبيرين كانا من البداية واضحين تماما بالنسبة للافكار المثالية التي بحثا فيها . ولكنهما كانا اكثر غموضا على اية حال بصدد الاهداف التي يسعيان تحقيقها على الكرة الارضية . وما اذا كانا كلاهما قد تعلما ان يكونا واضحين كليا ــ وغالبا ماهما قاسيين ــ بشأن ما يتخذانه من تكتيكات في النزاع الذي يحدث بينهما فأن الاحداث تشير ان ايا منهما لم يتمكن منذ وقت طويل من تحويل الاقوال الــى صيغ عمل ، او بخلافه افهام الطرف الآخر بدقة ماذا كــان يحاول ان ينجز بتكتيكاته تلك .

والى درجة ما فأن هذا يعود الى التقديرات العملية الواضحة تماما : فلم يرغب اي جانب من ان يعطي الجانب الاخر اكثر من الحــد الادنى الضروري ليدرك مقاصده . ومع ذلك فأننا نجد من الصعوبة الافلات من الخلاصة التي تقول ان درجة كبيرة من هذا الفشل الناجم من عدم التنسيق في الافكار التي تحتويها المقاصد امر غير مقصود . ولم تظهر كلا الاستراتيجيتين ، على الاقل للفترة السابقة لعام ١٩٥٠ ، اي قدرة على ايجاد الارتباط الضروري مــا بين الاهداف النهائية ومــا

بين المتطلبات الآنية • لذا فقد بدأ فى محتوى كلا الاستراتيجيتين (بعض) الفجوات •

ان هذه الفجوات بعينها هي التي جعلت مفاوضات المجابهة المباشرة بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة دونما هدف واضح لمدة طويلة • فإذا لم يكن اي من الجهتين المتحديتين لبعضهما بأمكانها ان تطرح اي فكرة تعتقد بها ــ اللهم عدا القناعة المعبرة عن الاحلام البشعة ــ فمعنى ذلك ان اجراء اي تعديل فى المواقف لصالح الطرفين هو امر مستحيل • ان القول بانعدام اي محتوى كامل للاهداف العليا هو حكم يتناول مدى ما يمكن ان يحدثه هذا الحكم من قناعة فى الحد الادنى • فأذا لم يكن بالامكان انجاز الكمال ، فلا بد من معرفة اي نوع من الكمال يساعد المرء على تقرير تقريبي للنموذج الذي يرغب في قبوله على الاقل • واذا ما حاولنا جادين ان نبحث عن الاثر لبداية الحرب الباردة لدى اي من الفريقين ، فإن القيام بمثل هذه المحاولة الضرورية ستذهب ادراج الرياح •

والى درجة كبيرة فقد تحدث الفريقان المتخاصمان فى السنين الاولى من الحرب الباردة فى حدود الالفاظ الكثير من مواقف خصمه فى الماضي ، الا انهما لم يحاولا اية محاولة جديدة لمعرفة ماذا يريد خصمه بالضبط • ففي اية مناقشة تحدث فى الولايات حول المقاصد والتكتيكات السوفيتية بالنسبة لها ، فأنها تنتهي فى النهاية الى المقوله العاطفية التي تقول ان الشيوعيين « ربما يغيرون من تكتيكاتهم ولكنهم من المستحيل ان يغيروا مقاصدهم » ، واذا كانت مثل هذه المقولة هي مقولة مهمة فى كل الحالات ،ولكنها غير ذات علاقة كليا بالاستراتيجية الشاملة نحو الولايات المتحدة • وعلى نفس المنوال فأن تقديرات السوفيت للسلوك الاميريكي اذ هي ترفض بقبول اي تحرك اميريكي في الظاهر ولكنها تصر بدلا من ذلك على الاستنتاج من تحركات اميريكية مريبة تنطلق من خليط غريب من الايديولوجية الاميريكية والتصريحات السياسية والمواقف

الغامضة التي اتخذتها بشأن الشيوعية الارثودوكسية • ان الاستجابات الذاتيه لوضع اهداف مثالية لكل فريق ازاء الفريق الاخر ما هي الا تأكيدات كل فريق للسير في نفس طريقه •

ان هذا الاتجاه قد حدد بصورة تلقائية الاختلاف فى التميز بين التكتيكات ومدى تطابقها مع التخطيط • فلقد اصبحت الحرب الباردة لكلا الفريقين ، وبكل سرعة ، طريقة للحياة ، وعاملا بيئيا ليهضم في كل المفاهيم ، بدلا من النظرة اليها كمشكلة تجب مجابهتها وايجاد الحلول لها • فطرق التفكير والاعمال التي اصبحت امورا معتادة خلال الحرب العالمية الثانية ترجمت لجو ما بعد الحرب على نفس النمط ماعدا بعض التغيير الطفيف • لقد بدت الحرب الباردة فكرياً وكأنها لايمكن التمييز بينها وبين الحرب الساخنة من جوانب عديدة • اما المقاصد والاهداف فقد تجمعت كلها فى مفهوم عاطفي ومثير وعقيم سياسيا الا وهو «النصر» من دون قيد او شرط • وكما ان قيادة الحلفاء كانت قد خرجت على مايظهر عن طريقها لتجعل من امر اجراء مفاوضات السلام امرا مستحيلا اثناء الحرب ، فأن كلا معسكرى الحرب الباردة اقاما اوضاعا سريعة جعلت من امر المفاوضة فى الامور المختلف عليها مسألة لا يمكن النظر فيها الا من خلال الشروط المعينة لكل جهة •

وحينما قاربت اعوام الستينات من الانتهاء اصبح اي اغراء لاغفال فشل كلا المعسكرين والسماح لاية مساومة ، كامر من الامور الخاطئة جدا • وبالرغم من هذا فأننا لسنا متأكدين من القول ان طرق اي طريق آخر فى ذلك الحين هو طريق مفتوح فعليا • وفى ضوء تردي جانب كبير من الاحوال السياسية والاقتصادية والطبيعية للمجتمع الدولي التي اعقبت الحرب ، وسط جو من عدم التجربة نسبيا لكلا الفريقين ،

للظهور بمظهر القوة الكبرى المناضلة ، فقد كان كل ذلك يشكل حالة تستدعي فيها الضرورة الى اعادة تنظيم الاحوال على قواعد افضل •

وبعبارة اخرى ، فأن السؤال المطروح هو هل ان ايا من الفريقين ، مع اقوى احتمالات بعد النظر وافضل الاحوال كان سيسير على سياسة مختلفة اختلافا كبيرا عن السياسة التي سار عليها • وهكذا يمكن القول وبكل اطمئنان ان السياسة التي تبغي الكمال ، المطلوب فيها عنصر امكانية تطبيقها ، بالنسبة لكلا الفريقين ، لايمكن ، حتى قبل التفكير بها ، من ان تستخلص من عالم مثالي ، وانما بالتأكيد من العالم القائم لوحده •

# الفصل الثاني

## الافتراضات النظرية والعملية للحرب الباردة

# الفصل الثاني

## الافتراضات النظرية والعملية للحرب الباردة

ان التصادم السوفيتي الامريكي كما رأينا كانت بعض دوافعه بيئية والبعض الاخر منها ذاتية منذ بدايتها • فما ان بدأ الصراع بصورة علنية ، على اية حال ، الا ووجدنا مع بدايته التوتر فى العلاقات بحيث نشأ عنه منطقه المكتسب وحركته الخاصـــة بـــه • وسرعان مانسى كل من الفريقين اصل سخطه وسط حرارة الخلاف موسعا شقته الى مدى اكثر اتساعا وشمولا •

لقد كانت هذه بالطبع ، حال الكثير من الاصطدامات العالمية عبر مجرى التاريخ • فبينما يكون اكثر رجال الدولة المسؤولين في العلاقات الدولية الاعتيادية متمكنين من تنسيق الامور بحيث ان الاهداف تقرر نوع الوسائل التي يختارونها ، فأن عكس هذا الامر نجده في حالات الازمات والتوتر • ذلك ان للتصادم اوامره • فقد عبر الكثير من القادة الذين وقعوا فى رحى الحرب وما يقرب من حافة الحرب ، عبروا عن دهشتهم وحزنهم من ان الوسائل المتاحة لهم هي التي كانت فى الحقيقة تقرر اهدافهم • فلقد كشفت اغلب الحروب الحديثة عن مطامع هي اوسع بكثير من مجرد الدوافع المعدودة التي يبدأ من اجلها الحرب ، وان المصدر الاصلي للنزاع كثيراً ما يدفن فى ساحة المعركة تحت المتطلبات الضرورية من اجل تحقيق النصر •

وسنحاول في هذا الفصل ان نقدم نماذج عملية توضح كيف ان الحرب الباردة تسير فى طريق متميز من تداخل العلاقات بالنسبة للدولة ، ووفق مقاييس واضحة من الترابط والثبات • فهناك عدد من الافتراضات

النظرية والعملية الضمنية (والى درجة مدهشة في الوضوح) التي قدتقبلها كل من المعسكرين ضمن اطار ذهني استندت عليها الحكومات المعنية ٠ وهذا يؤدي الى القول ان الحرب الباردة تبدأ فى معاركها ويتوصل الى قرارتها ضمن أطر مفهومة كل الفهم ٠

اننا نفترض ان هناك تعقلا كافيا فى سلوك الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة والحكومات الحليفة العديدة يمكنهامن الاستيعاب والتمعن المدرك لسياساتها في الحرب الباردة ٠ وترفض مثل هذه الفرضية مدارس تحليلية متعددة ، مؤكدة بدلا من ذلك على ضرورة ان تكون القرارات التي تتخذها الدول الكبرى بشأن القضايا الخاصة مستقلة ومن دون الاشارة الىاي تعقل او تقدير للاستراتيجيات الكبرى ٠ ومثل هذا الوصف يحكم على الباحث والمطبق على حد سواء بالاستغراب المستمر والادراك الخاطىء ٠ الا انه فى ظل هذا الاطار لايستطيع احد ان يستفيد من المعلومات الخاصة بالشؤون الدولية اكثر من ملاحظتها وتسجيلها ٠

وقبل المحاولة فى تفنيد مثل هذه النظرية التحليلية ، فاننا سنحاول فقط الى الاشارة هنا اننا نرفضها ٠ ان طراز الحرب الباردة الذي سنستخدمه فى هذا الكتاب يفترض توقد الذهن وقوة البنية لصانعي القرارات من كلا الجانبين ٠ وعلى هذا النحو فأن هذه الدراسة ماهي الا محاولة تهدف الى تقديم مجموعة افتراضات عامه بشأن العلاقات السوفيتية ــ الاميريكية التي يمكن ان تعطي بعدا اعمق للاحداث الجارية ٠وانها ، عند الاخذ بها مأخذ الجد ، لابد وان توازن بين كل من منطلق النظريات التحليلية والواقعية الملموسة ٠ على اننا فى عين الوقت نترك للقارىء ان يقوم بتقييمه الخاص والاقتداء بالنتيجة التي يصل اليها ٠

**البؤرة الاستراتيجية :**

ان بالامكان النظر الى الحرب الباردة بانها نموذج من الاستراتيجية

المتداخلة • وهذا يعني ان كل فريق يعتمد على بعض المبادىء الاساسية التطبيقية فى تقرير المشكلات وفى اتخاذ التدابير المستجيبة لها • فكل مشارك يقرر سلوكه وفق مخطط استراتيجي يعمل من خلاله فى الوقت المعين • ومن خلال الاحتكاكات التي تنشأ نتيجة تطبيق كل فريق لاستراتيجيته يظهر مضمون الحرب الباردة •

ان البؤرة المسلطة على الاستراتيجية التي تأخذ شكلا ضخما فى هذا الاستقصاء قد اشير اليها فى الفصل الاول • فلقد كان التحديد الاستراتيجي للمشكلة المتخذ من قبل كل فريق فى نهاية الحرب عام ١٩٤٥ هو نقطة البداية فى حركتها الى مواقع التصادم وان تقديراتها للوضع الجديد الذي دفعهما الى اتخاذ اهداف تكتيكية وخطوط عريضة فى السلوك الذي قبلاه ، ثم ان المفهوم الاستراتيجي الذي تبناه كل فريق ، هو الذي قاد الى النغمة المتميزة التي افترضتها الحرب الباردة • ان الاستراتيجية في معناها العام هي ليست اسماً غير دقيق للسياسة الخارجية لكلا الفريقين المتخاصمين ، كما ان التحليل للاستراتيجية فى معناها الكلاسيكي السائد ماهو الا انعكاس للاسلوب الحركي في الكفاح •

ان الاستراتيجية الكبرى في السياسة الدولية ـ ويمكن ان نسميها لاغراض تنظيمية بالاستراتيجية القومية ، يمكن ان تعرف فى ابسط معانيها بأنها الخطة العامة لتحقيق الاهداف القومية عن طريق تسخير المصادر القومية • وعلى هذا النحو فأن هذا التعريف يكشف لنا عن ثلاثة ابعاد لاية استراتيجية : الهدف ( الغرض ) المصادر ( الوسائل ) والخطط ( التي تربط ما بين الاهداف والوسائل ) • واما التحليل الاستراتيجي فهو في حقيقته لا اكثر من تمرين ( ممارسة ) فى تأكيد الترابط القائم ما بين الاهداف والوسائل فى سياسة خارجية ما •

واذن فأن الاستراتيجية القومية تتطلب مبدئيا تعزيز الهدف القومي المعبر عنه فى خطوط عريضة لتخدم غرضين : الاول وهي مقياس للاختبار والثاني وهي انها مقياس تقريبي للنجاح او الفشل • اماالعنصر المهم الثاني فهو التقيم الشامل للوضع العملي القائم الذي يجب على الدولة ان تسلك من خلاله فى المستقبل • ومن تعميم الهدف المطبق علـى وضع متوقع تستنتج مجموعة المقاصد والاهداف •

اما جانب الوسائل فى الاستراتيجية فأنه يتضمن تجميع وتسخير جوانب مناسبة من المصادر القومية والقدرة على تحقيق كل هدف • اما الخطوة المرتبطة التالية فأنهاتلك التي تستدعي اجراء التعديلات بغية السيطرة على التقديم والتوزيع بين الاسبقيات المنوى القيام بها داخل المجتمع للتأكد من ان القيام بالعمل المناسبقد هيأ له فعليا لخدمة الاغراض القومية •

ان العنصر الحيوي فى التخطيط الاستراتيجي هو ذلك الشـــيء الذي يدعى غالبا بالمفهوم الاستراتيجي : انه التقرير المركب الذي يجمع بين الهدف القوميوالوضع التقديري والمبادىء التكتيكية التي تصبح قاعدة العمل بالنسبة للحكومة فى تحمل مسؤوليتها الدولية • انها في ضوء المفهوم الاستراتيجي المقبول من قبل دولة ما ، تعني ان اهم الاهداف قد اختيرت ، وان التقديرات التفصيلية الدقيقة للاوضاع قد اتخذت ، ثم أن افضل وسائل العمل قد اختيرت ووضعت موضع التطبيق • وفى الحقيقة يمكن القول ان الغرض من التخطيط الاستراتيجي هو الوصول الى مفهوم عملي للاستراتيجية • ومتى ما تم مثل هذا التقرير وقبل ، فأن اي شيء آخر يظهر فى مسيرة السياسة الخارجية الاعتيادية يحل فى الاغلب كأمر تكتيكياكثر منه امر في مستوى التحليل الاستراتيجي الكبير •

ان سياسات الحرب الباردة لكل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي تخضع الى التحليل فى ضوء هذه الاعتبارات • ذلك ان كلا

الدولتين تكشفان بسلوكهما انهما طورا سياستهما فى ظل الاستجابات العامة للمبادىء التي تقوم عليها مفاهيمهما الاستراتيجية • فمن ناحية ، فأن ذلك يجب ان لايثير الاستغراب والعجب ، طالما ان القوى الكبرى هي فى الاحوال الاعتيادية لاترغب العمل بمبدأ « التحرش الداخلي » في السياسة الخارجية ، على الرغم من الظهور ( كما هو الحال مع بريطانيا ) بمثل هذا المظهر • الا انه من الناحية الثانية ،اننا نكشف ان الاقطاب المتصارعة فى الحرب الباردة التي تلعب لعبتها بقوانين استراتيجية مألوفة ، تؤدي بنا الى النتيجة المذهلة ، وهي ان الحرب الباردة بجميع مفاهيمها المتشائمة الخاصة بها ، وتطبيقهاتها الثورية ، هي بالنهاية لااكثر من مفاهيم خاضعة للقياس العام ــ حتى اذا كانت غير اعتيادية ولمدى بعيد ــ فىالنزاعات الدولية • وبكلمة واحدة ، فأن الحرب الباردة ، تشبه الصراعات الاخرى بين الدول الكبرى اكثر من ان تكون شيئا يختلف عنها •

وعلى هذا النحو ،فأن النقطة التي يؤكد عليها خلال هذا الكتاب هي ان الحرب الباردة لاشك انها نمط خاص ، ولكنها خاصة فقط في الاحوال الخطرة حين تضع الجنس البشريوالامكانات الجغرافية والسياسية والطبيعية في ابعادها الضخمة • وهذه الامور هي امور تقدر فى تفاوتها بالدرجة وليس فى النوع ، وتتطلب تقييما واسعا دون ان تكون هناك حاجة لان تقوم على مقاييس خاصة فى الحكم • ان التحليل الاستراتيجي يوفر لنا القاعدة المستخلصة وهي انه حتى فى حالة اللجوء الى امر كبير كالحرب الباردة فأنه بالامكان اخضاعه الى مبدأ التعقل •

**الاهداف والنوايا في الحرب البــــاردة :**

ان الاهتمام الرئيس فى اية استراتيجية من الاستراتيجيات يتمثل فى تحقيق وخدمة الهدف القومي ، وان المهمة الاولى امامنا فى التحليل الاستراتيجي هي تقرير هذا الاهتمام • كيف يمكن للهدف القومي بالنسبة

للدولة ان يقرر من قبل المراقب الذي لم يشارك بنفسه في عمل هـذا التقرير ؟

وهذه مهمة حساسة جدا بسبب ان اغلبية الدول تشعر بالحاجة الى الحفاظ على نواياها في الحدود السرية ما امكن ذلك ، على الرغم من وجود بعض الظروف التي تؤدي الاهداف الاستراتيجية اغراضها القصوى بالعرض الصريح الشامل لها • وهذا لايعني ان العرض الفعلي للاستراتيجية هو امر نادر • ذلك ان من المتطلبات الاعتيادية ، من كلا الزاويتين القيادية الداخلية والتطبيقية للخطة توفير المعلومات الواسعة بشأن اهميتها القصوى لغرض الاستهلاك العام •

**الاهـداف**

الا ان الاختلاف بين القول والعمل يلاحظ عادة في التحليل الاكثر دقة في اغلب هذه الممارسات •

وتظهر صحة ذلك بوجه خاص ، كما هو الامر في الحرب الباردة ، عندما تدعي القوى الكبرى لنفسها بأنها قد كرست حياتها من اجل حماية الحقيقة المطلقة • ذلك انه من الصعب عمليا ومن المستحيل عقائديا بأن يعترف الاتحاد السوفيتي أنه قد هجر عقيدة الشيوعية العالمية كأساس لحركة سياسته ، او ان تعرب الولايات المتحدة عن رغبتها بمشاركة القوى الشيوعية لها في الهيمنة الدولية • وبعبارة اخرى ، ان الاشارة في ظل المستلزمات الاستراتيجية الى مطاليب الفكر الماركسي او مبدأ الحق الطبيعي الذي اقره بيان الاستقلال او ديباجة الدستور كونهـا جميعا عوامل مقنعة في تحقيق الاهداف الاستراتيجية لقوى الحرب الباردة ، ولكن دورها الحقيقي في تقرير السياسة لايمكن استنباطه من مجرد الاقتباس المستمر لها او المراعاة الفعلية لها •

ان الهدف في الاستراتيجية يتحكم في الاسلوب • ذلك ان مهمة تقرير الهدف في مفهوم اية دولة هو في حقيقته بناء على ما تقدم ،يتضمن اكتشاف القاعدة التي تبنى عليها الاستراتيجية • وهنا نجد ان التطبيقات

الرسمية تكون متفقة فقط في الحدود التي تعتمد فيها الدولة فعليا على مبادىء ايديولوجية فى اتخاذ قراراتها • وهذا بدوره يمكن ان يقرر فقط ضمن مقارنات مضنية بين القول والعمل من خلال اوضاع مختلفة تمام الاختلاف • وبالوقوف فقط على المقياس العملي الذي تستخدمه الدولة فى حل مشكلاتها اليومية يمكننا ان نثق على الاقل بان تكون الخطوط العامة للمفهوم الاستراتيجي واضحة •

ويساعدنا في هذه المحاولة ، على كل حال ، المبادىء الرئيسية فى السياسة الدولية : ذلك ان هناك نوعين فقط من الاهداف الاستراتيجية • فأية استراتيجية قومية هي خطة اما للحماية او لنشر بعض القيم الاجتماعية السائدة والمقبولة عموما • فاذا ما اختارت امة من الامم التركيز على عنصر الحماية على حساب التعميم ، فأنها تكون قد التزمت بوضوح بنوع متميز من الاستراتيجية • اما اذا اختارت بدلا من ذلك التركيز على الطريق المعاكس ، فأن هدفها يصبح هو الاخر ذاتيا بالرغم من انه يختلف كليا فى اتجاهه • وعلى مايبدو فأن التميز هنا هو تمييز تخطيطي ، بسبب ان اية استراتيجية قومية ترتكز على مزيج من الاهداف الدفاعية او التعميمية — أو بسبب ان هدفا معينا يرمي الى تحقيق كل من المقاصد الدفاعية والتعميمية معاً—ولكن الاختلاف في نسب التأكيد تؤدي بالتطبيق الى استراتيجية متميزة ومختلفة فى عين الوقت •

فالاستراتيجية التي تؤكد على التعميم هي استراتيجية توسعية اما الاستراتيجية التي تتجه نحو الحماية فهي استراتيجية دفاعية • فنحن نجد ان النوع الأول من الاستراتيجية يتحين فرص العمل لتحقيق اهدافه ، بينما نجد النوع الثاني يكرس اساسا لصد التهديدات فى اي موقع من مواقع القوة التي تختارها الدولة في اللحظة المعينة • فالاولى تؤكد على التغيير وهي مستعدة تمام الاستعداد للعمل فى جو حركي ، بينما تسعى الثانية على تحقيق الاستقرار وانها اسهل تطبيقا في حالة يسودها النظام المستقر •

وفي ضوء هذه المفاهيم فقد سار كل من الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة ، حتى وقت قريب جدا ، نحو اهداف متعاكسة تماما • فلقد فضحت السياسة السوفيتية اثناء فترة الحرب الباردة جميع علاقات الاستراتيجية التوسعية : كالدعوة للانخراط فى صفوفها والتمرد فى تثبيت العلاقات،والتوسع المستمر فى الاهداف، والرغبة فى تحمل حمل ثقيل نسبيا من المجازفات • ومن الجهة الاخرى ، فقد عملت الولايات المتحدة في اكثر الاوقات في انسجام مع نموذج الاستراتيجية الدفاعية ، كأعرابها عن الانسياق فى رد الفعل اكثر منه الانخراط ، ورغبتها في تثبيت وجعل العلاقات رسمية ، ورفضها لتوسيع الاهداف اكثر من متطلبات الحد الادنى ، وتعريفها المحافظ لتحمل المجازفة ، وانه فى ظل هذه المفاهيم قد سارت المجابهة الرئيسية فى الحرب الباردة •

ان هذا التمييز بين التوسع والحماية ، على كل حال ، قد طبق فقط على اعلى مستويات الحسابات الاستراتيجية • ففي الحساب الخير ، ان جميع الاستراتيجيات تقوم على الضرورة المعبرة عن حماية المصالح الحيوية للدول • وبينما هي تختلف فى التقديرات المختلفة للحكومات ، الا انها تعمل فى الكشف عن مقدار المجازفة التي تستطيع ان تتخذها كل دولة في انجاز عمل دفاعي من اجل اطلاق نفسها لتكريس اهتمامها ومصادرها فى هذا السبيل • ان الدولة التي تؤكد على الاوليات هي دولة تعمل وفق تقديرات تفاؤلية لقدراتها الدفاعية في ضوء مفهومها الاستراتيجي • ان الدولة الداعية تقبل شيئا هو اكثر مايكون محافظا ، هذا اذا لم يكن تشاؤميا علنا •

لقد لوثت الى درجة ما كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي اهداف استراتيجيتها وغاياتها الثابتة التي استخلصت منها • لقد كان الانقسام بين التوسع ــ والحماية اكثر مايمكن وضوحا منذ اول بداية الحرب الباردة التي وصلت الى قمتها فى الحرب الكورية • فلقد كان للتوقف السياسي والعسكري على ساحة المعركة وما صاحب ذلك من مصادقات على منضدة الهدنة ،

ان ولد أزمة سياسية لكلا الحكومتين . وما كان للاتحاد السوفيتي الا وان بدأ ، في اول الامر بصورة خفية وبالتالي بصورة علنية ، باعادة النظر في حساب حدود المجازفة التي ينوي القيام بها في تعامله مع الولايات المتحدة . واما الولايات فأنها بدأت باعادة النظر في المفاهيم الاستراتيجية المؤثرة كالاستقرار ، والنصر والتوافق . ومنذ نهاية الحرب الكورية اخذت الجوانب الدفاعية للسياسة السوفيتية تبدو اكثر ضخامة ووضوحا ، بينما بدت مفاهيم التصلب والجفاف في ردود الفعل الامريكي اكثر ارتخاء .

وهنا نجابه للمرة الثانية التوتر بين المبدأ والتكتيك . فلقد اهتمت في البداية كل من موسكو وواشنطن بصورة كبيرة بكرامتها وذاتها ودعايتها الكبيرة لاهدافها . الا انهما بصورهما الخيالية اصطدمتا ومنذ اواسط الخمسينات بمتطلبات عملية جديدة . ومع ان كليهما اليوم يتخذ قرارات من نوع جديد ، الاان ايا منهما لم يعترف بعد علنيا بطبيعة او مدى التغيير الذي حصل . ونتيجة لذلك فان علينا ان نكون حذرين فيتقييم مفاهيم ومبادىء الرسالة القومية في الحرب الباردة .

**الوسائل : دور التكتيكات :**

في اختبارنا في الفصل الاول للرؤية الاستراتيجية للمتخاصمين في الحرب الباردة ، لاحظنا باختصار الفروق في طرز الاستراتيجية الخاصة بالولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي — ومن حيث الاساس ، فان النقاط التي اثيرت فيما سبق قد عالجت اساسيا الوسيلة التي نظرمن خلالها الى المشكلات من حيث تحديد ابعادها والتقدير بشأنها وطرق الانقاض عليها . وهذه التقديرات تتطلب هنا تحليلات أخرى* .

ان الطراز الاستراتيجي للاتحاد السوفيتي ربما من المفيد مقارنته مع لاعب الشطرنج . فصانعو السياسة السوفيتية يقدرون المشكلة الذهنية لصنع وتنفيذ الاستراتيجية كمهمة موحدة ، في كل حركة ذهنية

* ان الافكار المقدمة في هذا الحديث مستقاة من مقالة المؤلف المعنونة:
"Contrasting Strategic Style in the Cold War", inUnited States Naval Institute Proceedings, May, 1962.

او فعلية مكتسبة قوتها او منطقها من خلال ارتباطها بالمفهوم الرئيسي والبنائي للاستراتيجية • اما محورها فيدور حول النصر المطلوب تحقيقه في نهاية الكفاح • وفيما يتعلق بالمناورة المتخللة ، النصر التكتيكي او الفشل ، وحتى التباطؤ الكبير والانحراف ، فانها يمكن احتمالها جميعا حين تكون نتيجتها المجتمعة مؤدية الى التقدم نحو الاهداف الاستراتيجية العليا • وللسير في المشابهة حتى اكثر مما سبق ، فان من الممكن القول ان المبدأ الاستراتيجي السوفيتي يؤكد على « لعبة الموقف » حيث توضع الحركات فى خطوات متخللة من دون اية صلة واضحة بالوضع الاني للعبة ولكنها تؤدي الى وضع القوة السوفيتية فى موقف يمكنه من النصر •

وهنا نميل الى القول ، بأنه ربما كان هذا معبرا عن التراث الماركسي ـ اللنيني للقيادة السوفيتية المعاصرة • فالاهداف الشيوعية ، التي تعترف بمثاليتها ، تطرح بضاعتها جانبا حين تكشف الاحداث ان اهدافها غير ممكنة التطبيق • الا ان الاعتياد فى استخدام الايديولوجية لحل المشكلة يبقى حتى حين يستخدم فى اغراض لامبدئية ، كونها الشيء المفضل في الاستراتيجية النهائية التي تتطابق كل التطابق مع الخصائص الذهنية المنصبة على الدايليكتيكية والمتفقة مع التجربة السوفيتية التاريخية •

اما الولايات المتحدة فانها تكشف كما هو واضح عن تعصب ثقافي فى طراز استراتيجيتها • ذلك ان الامريكيين يتفاخرون بكونهم شعب عملي وبكونهم لايعتمدون الا قليلا على المبادىء القاطعة والمسيطرة فى مجابهتهم وحلهم للمشكلات التي تعترضهم • ونتيجة لذلك ، فان السياسة العامة فى الولايات المتحدة تتضمن سلسلة من المحاولات لمجابهة الاوضاع الانية بردود فعل حاسمة،حيث يكون الهدف في كل قضية موجه نحو ازاحتها من الطريق كي يتاح المجال للتصدي للمشكلة التالية• وهكذا

يكون النجاح قد قيس بعدد المشكلات المحلولة ، وبالاتفاقات المتوصل اليها وبالانتخابات الناجحة ، او بالازمات المتحملة •

ان الطراز الاستراتيجي الامريكي ، اذن ، يتفهم السياسة الخارجية كونها سلسلة من المشكلات المعلنة التي يجب ان تجابه كل منها حسب تسلسلها التاريخي فى ضوء ما تفرضه من اشتراطات وما تستحقه من اهمية • ومثل هذا النوع من المجابهة انهو الا تمرين استراتيجي مصغر بحد ذاته ، ويتطلب التحليل ، وتقدير ابعاده ، والتصدي له ضمن محتوى مخطط من اجل الوصول الى النصر فى القضية الانية من النزاع • وهكذا يكون تحقيق الاستراتيجية لايتم فى ضوء توفر نصر نهائي يحقق الهدف ولكن الاكثر منه بتجميع ثمرات عدد نسبي كبير من الانتصارات الصغرى •

ولقد كانت هذه الفكرة هي التي قادتنا في الفصل الاول الى تعريف صورة الولايات المتحدة بانها استراتيجية اقتناص الفرصة •

واذا ما وفرت لنا لعبة الشطرنج مشابهة بالنسبة للاستراتيجية السوفيتية النهائية ، فان لعبة البوكر هي مصدر القانون الاستراتيجي المفضل من قبل الولايات المتحدة • وانة لمن المفيد ان نلاحظ فى هذا الصدد ان الصورة الذهنية الامريكية الشائعة اليوم والمتمثلة بنظرية اللعبة ، التي يتم فيها الاختيار الاستراتيجي ازاء معلومات ناقصة متوفرة على اساس رياضي ، ترمي ثقلها فى تقريرها على احصاء الشذوذ فى اللعبات الورقية • فالبوكر ، علينا ان تتذكر ، يقرر الموقف الاستراتيجي للخصوم بفرصة رمي الورق ، بينما فى الشطرج يكون الامر فيه ان جميع المعلومات ذات العلاقة حول اللعبة هي مكشوفة على الطاولة لكل من يريد ان يراها •

ومن هنا فان الولايات المتحدة تقبل بالاستراتيجية التي تؤكد على مفهوم متصلب نسبيا مشفوعا بقدر هائل من التكتيك الارتجالي لمجابهة مواقف متنوعة عديدة • اما المرونة فى اكتشاف الوسائل التطبيقية

ازاء المشكلات المتنافرة ، فهي على كل حال ، نادرا ماتقابل بما يعادلها من مرونة فى مجابهة ظروف جديدة قد تنشأ ضمن الازمة الواحدة (او الدورة الورقية الواحدة) • ان هذه الخصائص الطرازية التي تمكن الولايات المتحدة من الاعتقاد بان كل مشكلة تعمل بمثابة تمرين استراتيجي جديد يسبب التصادف الخاص في المكان والزمان ، تبدو ايضا انها تتطلب ان الازمة الاستراتيجية ، ما ان اختيرت مرة الا ويجب تعقيبها الى نهاية المشكلة بمعزل عما تكون عليه النتيجة •

ان هذا التحليل يقودنا الى خلاصة واحدة وهي : ان استعداد الاستراتيجيين السوفييت هو افضل من مناوئيهم الامريكيين عند استخدامهم للمقاييس القطعية والمناسبة للحركات الخاصة فى مضمون اوسع من المشكلة الانية فى اليد • فللولايات المتحدة تعامل كل مشكلة تتصل بها وكأنها استراتيجية فريدة ، مما يؤدي الى خسارة واشنطن الكثير من قدرتها لاعطاء الاسبقية لما هو مهم جدا ، واعطاء الاهمية المناسبة لكل موضوع يجرى التقرير بشأنه آنيا • وبنفس الوقت فان المفهوم الموحد للاستراتيجية السوفيتية يقودها الى التكرار والى النقص في الابداع • وهنا لابد للمرء ان لاتفوته رؤية الغابة بسبب انشغاله في رؤية الاشجار ، كما عليه ان لايعطي اهمية بالغة للاشجار المنفردة عند التقرير بشأن الغابة ككل •

وعلى هذا النحو فان مستوى التكتيك المبدئي لكل من الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة يعارض احدهما الاخر ، بنفس تعارضهما الكلي فى المجالات الاوسع على صعيد المهمات والاهداف • ومع ذلك ، فأن هذا الاختلاف في التكتيك بحد ذاته يترك مجالا ذا فائدة محتملة • فمع ماهنالك من نظرة عملية مختلفة قد تضمها اية لحظة داخل مثل هذه الاطر ، فان اختلافهما على اي موضوع خاص ليس من الضروري ان يؤدي بهما الى درجة الصفر : اي انه ليس هناك اي شيء موروث فى مجابهتهما ان النصر لاحدهما سيؤدي اوتوماتيكيا الى شيء مرادف

له الا وهو الفشل بالنسبة للفريق الاخر • ذلك انه داخل اي قرار فردي ذي مضمون فعلي هناك احتمال اكتشاف حل للمشكلة المعنية بحيث تجعل الامر ممكنا بالنسبة للطرفين ، من ان يدعيا بجدية كاملة بانهما توفقا : الاتحاد السوفيتي بسبب تقييمه لما يراه محققا لاهداف استراتجيته البعيدة، والولايات المتحدة بسب انها تتيح لها ربحا اكبر ( او خسارة اقل ) من الحواجز الانية فى الموضوع قيد البحث • فالموقف الذي يخسر فيه الطرفان هو موقف قليل الوقوع ولكنه بنفس القدر منطقيا •

فكلا الفريقان لم يتمكنا من ان يقرنا مبادئهما التكتيكية بفعالية مع التنظيم الكلي لاحداث الحياة الدولية اليوم • ومع انهما قد ادخلا بعض التكنيك الجديد فى سلاحهما العسكري ـ « جديد » من حيث انه غير معروف نسبيا في سجل ادارة شؤن الدولة التقليدي • فالاتحاد السوفيتي ، مثلا ، لم يوفر حتى القليل من النجاح فى استخدام الاستراتيجية التي تقوم « على الحرب السياسية » كالتخريب ، حرب العصابات وستار الدعاية ، بينما قطعت الولايات المتحدة مسافة سياسية كبيرة باستخدام الجرعات الكبيرة من المساعدات الفنية او فى استخدامها الحصيف لاجهزة وممارسات المنظمات الدولية • وعلى اية حال ، لم يقبل اي منها كليا او اساسيا ازدياد الصلة السياسية بالمعارك الحربية ذات النطاق الكبير • ان كلا الفريقين لايزال يميل الى ان يخطط ويمارس اساليب من العمل التي اذا ما استخدمت بنطاقها الشامل فانها ستتطلب الرجوع الى نزاع منظم • وحينما ،وكما حدث فى مناسبات عديدة ، يصلا الى نقطة التقرير بشأن تسخير مصادره الى الحرب ، فانهما يخشيان من القيام بمثل هذه المجازفة • وهنا تصل اساليبهما التكتيكية درجة الفشل ، اذ لايمكن لاي فريق ان يفرض النصر فى مجابهة مباشرة للفريق الاخر •

**الخلاف كظاهرة ثابتـــة :**

من الممكن القول ان العلاقات الامريكية ـ السوفيتية منذ عام ١٩٤٥ قد اتسمت عموما بانها تمثل اساساً علاقات ممارســات نــزاع وخلاف . ذلك ان الادعاءات المســبقة تقود كــل من الشــيوعيين والديقراطيين الى هذه النتيجة .وما الحرب الباردة الا صورة مؤكدة لها . ثم ان شبكة الالتزامات الكونية التي التزم بها كل فريق يجعــل من الصعب انكار ما سبق . فمن ناحية ، هناك الدليل القاطع للممارسة الذاتية لهذه الظاهرة : فكلا الجانبين يتنبأ عن حتمية الخلاف بينهما ، ويعمل بوحي منه ، تاركا اي طريق آخر ليكون فى عداد المستحيل ، ولقد كانت هذه الفكرة فى اذهاننا عندما ناقشنا فيما سبق من هذا الفصل بان الحرب الباردة قد غيرت طريقها الاولي كثيرا ، تتيجة لعدم الوصول الى اتفاق عام ١٩٤٥ وعام ١٩٤٦ حول المشكلات الخاصة والتي تعقدت بقدوم سنة١٩٤٧ بحيث تحولت الى طراز عام من الخلاف فرضته على مايظهر الاهداف الكونية .

ان هذا الخلاف الدائم فى الحرب الباردة ، بالاضافة الى ماتقدم ، قد جعل كلا الفريقين يعملان فى الغالب على ترك الانطباع بان وصول علاقتهما الى اعلى مستوى محتمل من التوتر هو وضع طبيعي فى العلاقات الدولية .ومن الواضح ان هناك وما يزال مخططون على جانبي الستار الحديدي من هم غير قادرين ذهنيا على اعداد خطة على غير هذه الاسس . فلقد وضعت جميع الامكانيات المنطقية ، والسياســية والاقتصــادية والاخلاقية وحتى الدينية ( في حــدود النطاق العام الذي يحتويه هــذا المصطلح ) لاقامة مناقشة من قبل علماء من كلا الفريقين لتوفير الدليل المدعم لحتمية وضرورة وحتى الرغبة في ايجاد تنظيم على المســتوى الاعلى للعلاقات السوفيتية ـ الاميريكية. الا ان المضي في الكفاح قد رفع الحالة الى تتيجة ذاتية ، تحوى نظريا كل شيء ، ماعدا مايمكــن ان يجعل من الخلاف فى الاهداف وسائل . كما ان احتمال توفر الفرص التي تؤدي الى تقدم حقيقي او الوصول الى غايات محمودة هي فرصة

بعيدة الاحتمال ــ خاصة فى الولايات المتحدة ــ التي تؤكد رسوخ فكرة « كفاحية الحرب الباردة » • وهكذا ترفض الانتقادات لسياسة اميريكا فى الحرب الباردة ، التي تكشف عن عدم الجدوى فى التكريس للمجهود الحربي وبانه تكريس لايؤدي الى اية فائدة وتيجة ملموسة ، بانها انتقادات لاتقوم على اسس مشروعة •

ان مايسود اميريكا بشأن الانتصار فى قضية معينة ، ينطلق من قناعتها فى ان الكفاح سيأخذ وقتا طويلا وانه سيستمر لعشرات السنين ( وهذا يعبر عن وجهة النظر المتفائلة ) ، ولاجيال (وجهة النظر المعتدلة) ، او لقرون ( وجهة النظر المتشائمة ) •وهذه التنبؤات المختلفة بشأن دوام الحرب الباردة ،تعكس بالطبع لااكثر من تقديرات للمدة التي تعيق تحقيق النصر •

ولا حاجة الى القول اننا نجد مواقف متشابهة و متكافئة للجهة الاخرى من الستار الحديدي •

ومع ان حتمية النصر قد افترضها لنفسه كل من الفريقين ، ولكن الواقع يشير انه لايزال يسير وراء الخلفية الاستراتيجية بحيث يبدو وكانه غير منظور • والذي يبقى هو متابعة الحرب الباردة ، وهي حالة ذات صلة بالحياة الداخلية والدولية التي اصبحت عادة لكل من الفريقين • فلقد جاء جورج اورويل ( (George Orwell) في كتابه المعنون « ١٩٨٤ » ، مذكرا ان الصحفيين يتكلمون عن نظام الحرب الباردة كحقيقة واقعة ، محذرا العالم من تحوله نفسيا الى حالة عالية من الشدة، والى تكرار الازمة والوصول بها الى فشل دائم، والى ان يأتي اليوم الذي لايمكن التنبؤ به ، وذلك حينما تستطيع القوة الخارقة من تخليص الارض من تركيبها السياسي المثبط •

فلا يستطيع اي من الفريقين ان يعترف بان الكفاح قد وصل مرحلة اليأس فى مفهومه العام فى الشطرنج ، وبان كليهما يحتلان مواقع ممكن التسامح بها بدرجة امينة ، الا ان ايا منهما لايستطيع ان يتحرك ايجابيا ضد الاخر من دون المجازفة بهزيمة شاملة • وفي الحقيقة ، انه كلما قلت

حرية العمل التي يشعر بها اي فريق فى اية لحظة ، كلما كان مجال الادعاء اوسع مدى واقعيا . ومع ذلك فان هذا الانشغال في ادارة النزاع على حساب التخطيط الجدي بغية الوصول الى مايقرب من التحدث عن طبيعته الحقيقية بصوت اعلى هو اكثر مما تتركه اغلب الالوان الزاهية والخطابات الرنانة فى النفس بصورة وقتية . وانه لمن السخرية ان يضاف الى التاريخان اصدق التصريحات السوفيتية حول الديناميكية الحقة للحرب الباردة لانجدها قد وجهت الى الولايات المتحدة وانما الى الصين الشعبية فى جو من النزاع الحاد ، بينما نجد ان الحقيقة القاسية حول التحالف الغربي قد جاءت مصـوبة بغضب من فرنسا الى الولايات المتحدة .

لقد شعرت كل من الحكومتين بفعل من الحاجة ومنذ امد طويل بالعمل على دوام حيوية الحرب الباردة ولكن هذا المحتوى قد عمل على اخراج فن جديد ، فن عرف فى الولايات المتحدة بادارة شـؤون النزاع . وهذا التكتيك فىتنفيذ السياسة الخارجية باسلوب عدم الاتفاق يصور الحرب الباردة وكانها ظاهرة دائمة في السياسة الدولية .ذلك ان العلاقات لاتستطيع ان ترتفع فوق « سقف » مسموح به من التوتر ، خشية حدوث الانفجار .اي ان ايا من الفريقين ، لايستطيع على ايـة حال ان يسمح لنفسه بالانزلاق الى نهاية ارضية القاعة ، حتى ولو كان ذلك الانزلاق قد جاء من جراء حساب خاطىء او من داخل النفس . ان الاختلال فى ادارة النزاع يؤدي الى التوتر : فكلما تقترب الازمة اكثر فاكثر ، ويصعد مستوى التوتر الخطر الى مكان قريب من السقف . عندها توضع القوى المضادة لارجاع العلاقات الى حالة اقل من الذعر . وعلى نفس النمط ، وبدرجة اقل من العلنية ، فان اي شيء ينفذ داخلا نيعمل على التهـدئة ، فانه يقاوم بقوة . والنتيجة الكلية هي احاطـة العلاقات السوفيتية ـ الاميريكية داخل نطاق ضيق نسبيا من التوتر العالي المسيطر عليه .

ربما يتسائل المرء بكل حرية لماذا تكون ارضية التوتر من حيث المفهوم والتطبيق ضرورية على وجه الاطلاق ،هذا مع العلم ان السبب فى كل ذلك ليس بالأمر الصعب معرفته • فمن دون ارضية ومن دون سقف ايضاً لايمكن تحديد الحرب الباردة ، وان اجهزة صنع السياسة بالنسبة للجانبين قد اقنعت نفسها منذ وقت طويل بـان الحرب الباردة امـر لايمكن التغافل عنه •ولو لم يكن هناك فهم صادق لحدود المستويات من عدم الوفاق ، لكان على الجانبين ان يعيدا بجد امر تحديد اهدافهما ثانية ، ولنتج عن ذلك اسـئلة مزعجة ومعقـدة تتطلب الاجابة حول العلاقات بين الوسائل والاهداف • فالامر اكثر سهولة من ناحيته العملية والذهنية حين يفترض استمرار الحرب الباردة لامد طويل وغير معلوم ومن ثم العمل على ابقائه حيا وتذليله فى نفس الوقت •

فلقد استثمرت كل من الدولتين الكبيرتين ، بكل سخاء وضبط ، امكانياتهما السياسية والاقتصادية والنفسية والعسكرية من اجل دوام الخلاف • وبدا لكلا الجانبين ان النصر المفاجيء هو اقل ازعاجا من حيث التحمل من الفشل الاستراتيجي• واي من هاتين النتيجتين سوف تتطلب اعادة غير مسرة للطرز المعقدة والباهضة التكاليف•ان ثبات علاقات الحرب الباردة قد اصبحت المنطلق لكل من السياسة الداخلية والمركز الدولي المناويء لكلا الجانبين ، وانه اذا مامرت العـلاقات الامريكيـة ـ السـوفيتية بتغيير حاسم فان مجالات عمل كل من الدولتين سيتأثر كثيرا •

ان هذا فى الواقع يعبر عن وجهة نظر اورويل ازاء الكفاح • • ان كلا الحكومتين تلوم الاخرى علنا بسبب اطالتها للنزاع معبرة عن رغبتها في مناقشة كل المسائل التي بطلت اهميتها ووجودها بشكل مجمل بشرط ان الحكومة الاخرى تتفاوض على اساس من الثقة • ومع ذلك فحتى المراقب الناقد الساخر المعتدل لايخفى عليه ملاحظة ان كلا من الجانبين يضع دوما مطاليبه على حدها الادنى فى الاغلب ، فى حدود تبدو

وكانها معقولة ولكنها مع ذلك قد درست بعناية لتقع خارج تسامح الجانب الاخر •وعندما يتوصل الى اتفاق على الامورالمهمة ، كمعاهدة حظر التجارب النووية لعام ١٩٦٣ ، فان كل فريق يؤكد محــدودية مجاله ، وفقدان الصلة بالنسبة للقضايا المهمة التي يختلف عليها الفريقان ، والادعاء باهميتها الخفية لتحقيق الانتصار على الفريق الاخر ، وعدم توفر عنصر اسبقيتهما فى تنائجها • هذا بالاضافة الى ان كلا من الفريقين قد وضع كل حذقه فى تنسيقه لموضوع الخلاف بدرجة مدهشة ، بحيث تبدو تكتيكات اليأس مسيطرة بشكل فضيع على توفير علاقات مستقرة •

**عنصر الوفــــاق :**

ان هذا الحديث عن « دوام الاختلاف » في الحرب الباردة الذي اوضح لنا ماهو موجود تحت السطح من مجابهه في النظرية والتطبيق ما هو الا عنصر اساسي فى الوفاق • فالخلاف المنظم الذي يفترض تفهما من قبل الجانبين لأي احتمال ذاتي ورغبة فى التنظيم والسلوك ، يكون فيه واضحا ان اي التقاء في العقول ينعكــس بدوره علــى الاساليب التكتيكية التي تتخذها الحكومات المعنية •

وربما كان افضل عرض مهم لمثل هذا الوفاق كان قد قدم في اعقاب الحرب الكونية ، اذ ان الخلاصة التي ظهرت فى اوائل الخمسينات وهي ان الحرب الباردة لايجوز السماح لها بالتصعيد الى المستوى الذي تستخدم فيه القوى المسلحة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي • واول اقتراح بهذا الشأن كان قد قدم من الاتحاد السوفيتي علنا عــام ١٩٥٥ فى مؤتمر القمة الذي عقد فى جنيف ، والذي استجابت له الولايات المتحدة فورا ، واصبح منذ ذلك التاريخ القاعدة فى الحكم الاستراتيجي لكلا الفريقين • وبالطبع لاتدعي اي من الحكومتين على الصعيد البلاغي بان تاخذ كلمة الاخرى بكل جدية ، ولكن من الناحية العملية فان كل فريق يعمل بوحي من هذا المقياس من الضبط في تقديره لنوايا خصمه•

ان منع قيام حرب ساخنة يتطلب اشياء كثيرة ، ولكن هناك شرط حساس يفوق كل المتطلبات الاخرى : وذلك ان ايا من الفريقين لايجوز له دفع الفريق الاخر الى حرب مكشوفة او الى اختيار الاستسلام : وحتى فى اشد مواجهات الحرب الباردة منذ سنة ١٩٥٥ : كما تم فى العصيان الهنغاري عام ١٩٦٥ ، وارساء الاسطول على ساحل لبنان عام ١٩٥٨ ، وحادثة طائرة اليوتو عام ١٩٦٠ ، وازمة برلين عام ١٩٦١ ، واقرب كل هذه الاخطاء ازمة كوبا فى عام ١٩٦٢ • فقد حاول دوما كل فريق في الحفاظ على ماء وجهه تاركا طريق المخرج السياسي الدفاعي للجانب الاخر للسير فيه • ومن جراء القيام بكل هذا فقد ترتب دفع الثمن بالتراجع من بعض المواقع الامامية التي ربحت اثناء الازمة ، ولكن هناك الدليل المعتدل على عدم انزعاج اي من الفريقين من جراء قيام هذه الحاجة •

واكثر مما تقدم ، فقد قام الخصمان بأشياء تفوق مجرد قبول الحاجة العملية للسيطرة على ان يكون عدم الوفاق دون مستوى السقف فى شدته • ومن اجل الدفاع ثانية عن الرسالة الايديولوجية المعلن عنها ، فان كل فريق قد اعترف لاكثر من عقد من السنين بالمجال الحيوي من النفوذ والمصالح التي يجب ان يبتعد عنها ذاتيا • لقد قبلت الولايات المتحدة سيطرة الاتحاد السوفيتي على شرق اوربا كما اطلقت موسكو يد الولايات المتحدة للسيطرة على غرب اوربا ونصف الكرة الغربي •

وعند هذه النقطة بالذات فان الحانقين من الاميريكيين ربما يهتفون: « ماذا بالنسبة لكوبا ؟ » ان كوبا فى ظل مفهوم النظام الاميريكي كما ان يوغسلافيا وبولاندا وفلندا فى الكتلة السوفيتية تمثل مناطق مهمه ولكنها مهمه بالقدر الذي يسمح به مجال الفريقين الحيوي من النفوذ • فسوف لايقوم اي فريق بالتداخل فى منطقة الفريق الاخر ، ولكن كلا منهما يحتفظ لنفسه بحق الاهتمام والمراقبة لاية انقسامات تحدثها القوى فى الداخل • ان تعامل اميريكا مع يوغسلافيا وبولندا ، مع انه يختلف في تفاصيله عن التغلغل السوفيتي فى كوبا ، الا انه قطعة من نفس القماش • فحتى هنا ، فان حدود الامان ، على كل حال قد فهمت جيدا

من قبل كلا الجانبين • لقد تراجعت موسكو عن موقعها فى احداث كوبا عام ١٩٦٢ ، كما ان الولايات ظلت محيطة نفسها باعتبارات التعامل مع الاتحاد السوفيتي •

وهكذا يمكن القول ان المجالات الحيويـة لكلا الجانبين غير مرتبطة بحدودها مع الحرب الباردة • ولاسباب اخرى فقد اخرجت مناطق خاصة اخرى ايضا، كمنطقة القطب الجنوبي، بعض مناطق الصحراء الافريقية ، لاؤوس و ( نحن نحكم وفقا لاتجاهات عامي ١٩٦٣ و ١٩٦٤ ) جميع مجالات الاستكشاف الفضائي • واي منطقة جغرافية او مشكلة حيوية خارجة عن حدود الخلاف قد تصبح مصدرا لمفتاح سفلي ، الا انه مع ذلك هناك امكانية التعاون المنتج • فقد توضع بـدلا من ذلك جانبا كونهما قضية لاتسوى اي اهتمام خاص • ان اسـباب اخراج اي موضـوع من حلبة الخـلاف يكاد يكـون غالبا ذاتيا : فأما ان يكون هناك ربح كاف ليتحقق منه ، حتى فى ظل احسن الظروف ليصبح مشروعا ذا قيمة ، او ان ظروف الخلاف هي ظروف من الخطـورة بمكان بحيث انالقيام باية حركة محددة قد تؤدي الى مجازفة كبيرة • وعلى هذا المقياس الاستراتيجي العام حول الثمن والمجازفة يعمل على فرض مقياس غير متوقع من الوفاق على المتخاصمين الذين يسعون دوما على ان يصوروا علاقتهم بانها علاقات اختلاف في صعيدها الاقصى •

ان مايجب ان تتذكره فى اذهاننا ، على اية حال ، هو ان الاتفاق الـذي يقف وراء الحرب الباردة هو اتفاق يخص السلوك في اغلب جوانبه • وانه يتكون من سلسلة قوانين قامت على قواعد مدروسة من اجل رسم الطريقة التي يجب استخدامها فى الخلاف • وهناك القليل من المفاهيم التي تؤثر على القضايا الاساسية حتى بعد مرور عقدين من

الزمان على الحرب الباردة • ولكن اذا ماقبلت الحرب الباردة كنهاية مفتوحة ، كونها طريق للحياة اكثر منها وسيلة لتضع الاهداف ، فان علينا ان نتوقع اكتشاف الحقيقة وهي ان نتائجها الكبرى يجب ان تضع الخطة من اجل ممارستها اكثر منها وضع خطة لتصفيتها • وعلينا ، على اية حال ،ان لانقلل من شأن علاقة او اهميـــة مقياس الوفاق القائم ؛ لكي نعلم كيف ان ادارة الخلاف المتسم بالشدة والدوام والانتشار فى ظل ايديولوجيات مطلقة وقنابل هيدروجينية من ان تنفجر الى قطع متناثرة ، هو انجاز كبير • ان الحرب الباردة اذن ، ليست مسألة كلية •

# الفصل الثالث

## استراتيجية المبادأة : الاتحاد السوفيتي

# الفصل الثالث

## استراتيجية المبادأة : الاتحاد السوفيتي

ان التعقيب على حالة التفكير الاميريكي بشـأن الحرب الباردة يبدو تعقيبا مقيدا ، ذلك ان اغلب المناقشات الشاملة لمشكلات السياسة الخارجية الاميريكية لسنين كثيرة قد بـدأت بتحليل نوايـا واساليب السوفيت التكنيكية قبل بدئها بتقدير دور الولايات المتحدة • واحدى مضامين اسطورة الاهداف الاميريكية في القرن العشرين والتي يعتز بها منذ وقت طويل كانت وما تزال تدور حول ترجمة الحرب الباردة الى خطوة جزئية واستجابة تسير فى الخط الصحيح لمجابهة الخطر المتمثل بالمؤامرة السوفيتية • وتبدو فى مثل النظرة المبسطة التي تضع « اللوم » في الخلاف على موسكو بصورة كلية في تصويـر السياسة الاميريكية بانها لا اكثر من رد فعل للخطر السوفيتي • ان الاميريكيين قد منحوا الاتحاد السوفيتي دورا كبيرا جدا فى رسم طريق التاريخ العالمي •

ويظهر ــ وكما يناقش الفكرة هذا الكتاب في صـفحاته ــ ان استراتيجية الحرب الباردة الا قوم والاكثر تنظيما يمكن ان تشتق من التخطيط الاستراتيجي • إن التحدي السوفيتي هو عامل وضعي يحتل المكانه الاولى من الاهمية والذي يجب ان تأخذه السياسة الاميريكية بعين الاعتبار • ولكنه لايمكن ولا يجب باديء ذي بدء ان يصبح العامل الملهم لجانب واسع من العمل الاميريكي • ان القوة العالمية ، كما يفترض المنطق ، يجب ان يكون لها او لوياتها الاستراتيجية ، لاان تضع نفسها بسياسة هي اكثر من مرآة تعكس صورة تكنيكية لمفهوم دولة اخرى •

ومهما كان السبب ، على اية حال ، فأن سجل الحرب الباردة الذي يوضح انكار الذات في الاستراتيجية الاميريكية قد فرض على الولايات المتحدة والعالم الحر فلسفة وضعية معينة من الاستجابة وانها بناء على ذلك قد سمحت ــ وتكاد تكون قد فرضت في الحقيقة ــ للاتحاد السوفيتي اختيار استراتيجية المبادأة والى وقت قريب بدا الكرملين مستعدا وراغبا فى ان يلعب هذا الدور مطابقا اياه بكل دقة مع الصورة الايديولوجية والعملية للصورة الذاتية المعبرة عن الطبقة العليا فى القيادة السوفيتية • وهذا الفصل ، في تحليله وتقيمه للاستراتيجية السوفيتية فى الحرب الباردة ، يقبل كما هو يفترض حقيقة المبادأة السوفيتيةعلى الرغم من ان هذا التصنيف المبسط جدا سوف يشار اليه فى عدد من الاماكن •

وهناك صعوبة اخرى تقف امام التحليل المتعلق بالاتحاد السوفيتية • وهذا الفصل ، في تحليله وتقييمه للاستراتيجية السوفيتية نوموا بالفعل مغناطيسيا ، منذ اول بداية الحرب الباردة ، بالمبدأ السوفيتي «الفريد من نوعه » • فلقد اصبح مقبولا كقاعدة ان التحليلات التكتيكية المتصلة تاريخيا بفن ممارسة ادارة الدولة تكون عديمة الجدوى بمحاولتها استيعاب ومكافحة المخططات السوفيتية • فقد ظهر الكرملينولوجست ( خبير الكرملين )* ، كخبير فى الظلام وفى الديناميكية السوفيتية الشاذة ليحل محل المحلل السياسي التقليدي • وهذه المدرسة التحليلية تدعي ان التحليل المقيد والمعتمد عليه فى السلوك السوفيتي يمكن ان يتقدم فقط من خلال المعرفة المألوفة كليا بازعاجات التآمر السوفيتي ، معرفة يهوى فقط خبير الكرملين امتلاكها •

لقد عملت الولايات المتحدة ولمدة عقدين من الزمان على اساس افتراض الغرابة فى السلوك السوفيتي ، وركزت دوما على مايقدمه لها

* المترجم

خبراء النقابة الكرملينية ، اما الاحكام الاعتيادية على سياسة الاتحاد السوفيتي فقد تجوهلت مادام الشذوذ الاستراتيجي السوفيتي قد اصبح الشغل الشاغل للفكر الاميريكي . الا ان تطورين تاريخيين قد عملا على احياء الاهتمام فيما عرف مرة «بالحكمة التقليدية» في التحليل السياسي : الاول وهو ان موسكو بدأت تتنكر لغرابتها قولا وعملا ، مزيحة بذلك جانبا كبيرا من الارضية السفلية التي اعتاد خبراء الكرملين الوقوف عليها طويلا ، والثاني وهو ان عدم قدرة ماهو شاذ كليا من ان يخدم كقاعدة لتقدير العمل الاميريكي اصبح امرا واضحا . لقد سمح في السنين الاخيرة لاناس غير مختصين بالشؤون السوفيتية فى ان يبحثوا بحرية في شؤن حربها الباردة فرأوها اكثر الشؤن تطرفاً وتغطرساً وشيطانية .

اما تحليلنا للاستراتيجية السوفيتية ،فمن الضروري ان نضيف اليه قولنا ، بانه لايقوم على قاعدة غرابتها . ان الافتراض السائد فيها يتمثل فى ان السياسة السوفيتية تشبه سياسة الدول الاخرى اكثر منها القول بانها سياسة مختلفة وخاصة . ثم ان التعميم بشأن سلوك دولة مافى الشؤون الدولية يمكن القول بانطباقها على الاتحاد السوفيتي ، كما ان الخلاصات التي يمكن الوقوف عليها هي خلاصات تقوم على درجة اقل من النظريات المستوحاة من الشيوعية اكثر منها على سجل سلوك السوفيت المتراكم منذ عام ١٩٤٥ . ان هدف التحقيق الذي نحن بصدده هو رصد وجهة النظر السوفيتية الاستراتيجية الشاملة ضمن شروط عامة من المؤثرات التي تشير بالنتيجة الى ما يعادلها من اشكال كلاسيكية من المقاومة والاستجابة .

**النظـرة السوفيتيـة الى العالـم :**

كيف يواجه الاتحاد السوفيتي العالم ؟ ماهي حججه العملية ؟ كيف يبني رسالته ؟ ومن خلال اي نوع من التغلغل الفكري ينفذ صانعو القرارات السوفيتية الى العالم الخارجي ؟ إن اسئلة كهذه يجب ان يجاب

عليها من قبل اجراء تحديد دقيق وواضح لنماذج السياسة السوفيتية •

ان ما يعمل على تفهم نظرة الاتحاد السوفيتي هي ان ايديولوجيته الرسمية ودعايته المصوبة نحو الاوضاع الداخلية العامة والسائرة فى اتجاه واحد ، تعطي جوابا موحدا لهذة الاسئلة وغيرها المرتبطة بها فى المستوى التطبيقي على الاقل • ذلك ان الماركسية ومشتقاتها الاخيرة تدعي فك قيود التاريخ وتمكن العقائديين الحقيقيين من فهم الطبيعة الاساسية للعلاقات الدولية • ان النظرة السوفيتية الرسمية الى العالم كما بدأت منذ عام ١٩١٧ ، ( وكما هي فى اية لحظة ) هي نظرة تقوم على الشيوعية الارثودوكسية •

ان الاتحاد السوفيتي ، كما افترضناه فى الفصل الاول ، ينظر الى نفسه ايديولوجيا بأنه قوة ثورية التزمت بتدمير النظم القائمة وتبديلها بنظام جديد شامل • ومثل هذه النظرة تفترض بالضرورة وجود ادعاء يقوم على الفكرة القائلة بان جميـــع التنظيمات العالمية القائمـــة هي تنظيمات وقتية موروثة (عدا تلك التنظيمات التي خضعت بالفعل للسيطرة السوفيتية ) وانها عرضة للتغير اية لحظة امام المبادأة السوفيتية ، واي تفهم او اتفاق مع القوى غير الشيوعية هو اتفاق وقتي بالضرورة وانه يتم فقط من اجل خدمة اهداف الاستراتيجية البعيدة • واما الخلاف فهو مايجب العمل على الاستمرار فيه دونما وضع اي وقت محدد حتى يتوج بالنصر الذي يعقبه حالة مابعد الثورة المثالية • هذه هي النظرة السوفيتية التي تنظر بها الى سياستها ، وهي تمثل جوهرها • انها النظرة التي تقوم عليها رسالة السوفيت والتي يتفق عليها اغلب خبراء الكرملين المناضلين من الاميريكيين •• لقد اخذت الولايات المتحدة هذه الدعاوى السوفيتية ورسالتها القائمة عليها في شكلها المظهري من ناحية جوهرية ، ثم بنت عليها استراتيجيتها التي تعكس صورة موسكو الى نفسها • ومن ناحية اخرى ، فان التفكير الاميريكي يميل الى الاعتقاد بمحدودية ووقتية اي تعامل مع موسكو ( وهذا راجع ، بالبطع ، الى تصـــوير

السوفيت نفسه للعلاقات ) والتزمت وفقا لما يفرضه عليها هذا المنطق بالعمل على طمس القوة السوفيتية كحل وحيد ممكن وذلك لضمان الاستقرار العالمي .

وبجانب ماتقدم ، فان هناك سبب آخر غير ايديولوجي يدعو الدولة الى الايمان والى بناء مناقشتها على اساس ان جميع العلاقات هي علاقات غير ثابتة . فلقد ظهرت قوى اخرى كثيرة على مسرح التأريخ التزمت باجراء تغيير شامل فى النظام العالمي،ولكن لم تسمح أيا منهابذهنية « السترة المستقيمة » التي جاء بها المبدأ الماركسي . وهذه الدول كانت تحمل وجهة النظر التي تؤكد على رفع مستوى مصالحها القومية اكثر منها حمايتها . ومثل هذه الدول اتسمت بسمة المراجعة .

ومن صدف التاريخ المخادعة ان يكون الاتحاد السوفيتي قد توصل الى مفهوم استراتيجي معدل فى نفس الوقت الذي قبلت به الولايات المتحدة لنفسها ان تلعب دور قوة دولية . والاميريكيون الكبار الذين تعودوا على التعامل مع الاتحاد السوفيتي المتشدد المتغطرس ، لايستطيعوا ان يقدروا كل التقدير ان الحكومة السوفيتية كانت فى تاريخها تسير وراء استراتيجية الحماية بدرجة مفتوحة وشاملة ومعلنا عليها ، وذلك من اجلحماية مصالحها . وكانت تتعلق بشوق لكل نوع من الاستقرار يمكن ان تقدمه الفترة التي تخللت الحرب . اما الايديولوجية المعلن عنها رسميا فقد كانت كفاحية عام ١٩٥٠ كما كانت عام ١٩٢٥ ، الا ان الاستراتيجيات المستقاة من العقيدة كانت فى كل فترة متناقضة المحاور فى نظريتها ومحتواها .

لقد اصبح الاتحاد السوفيتي دولة تطالب باعادة النظر في الامور خلال وبعد الحرب العالمية مباشرة . ولكن التغيير الذي حصل فى وجهة نظرها كان نتيجة اعادة النظر فى قيمها الاستراتيجية ضمن محتوى يكاد يكون لاايديولوجيا بكليته . ان تاريخ موسكو الواقعي من زاوية اعادة النظر فى التقيم يسير فى طريق مضاد للصورة العامة المقبولة . لقد اختار السوفيت في البداية موقعا مراجعا ثم اجرى بعدها التعديلات

الايديولوجية الضرورية . اما ماجاء بعد ذلك من تعديلات فى الاستراتيجية والتكنيك والفرص المطلوبة فقد تطلبت بدورها تفسيرات اخرى فى العقيدة . حتى جاءت الستينات ومعها جاء تحرك الرئيس خروتشوف الذي كشف عن جوانب مهمة من السياسة السوفيتية غير ذات علاقة بالايديولوجية والتي لم يتنبأ بها كل من ماركس ولينين ، ففتح بذلك الباب امام تأثير الاسلحة النووية .

لقد ظهرت الاستراتيجية السوفيتية فى فحواها منذ نهاية الحرب العالمية الثانية بانها تمثل نموذجاً عاليا من نماذج الدولة التي تقوم سياستها على المراجعة . وقد خفت هذه السياسة في السنين الاخيرة بحيث كشفت بصورة استثنائية عن درجة كبيرة من الحذر .

وقد لعب الاتحاد السوفيتي في جميع المجالات المهمة على الدوام دور الدولة المتأكدة والطموحة ، التي استطاعت ان تكون قوة كبيرة جديدة ولكنها لاتزال لحد الآن غير متأكدة من امنها الحقيقي ومكانها الصحيح . وكان سلوك موسكو فى الوسط العالمي وكما كنا نتوقع سلوك الوصولي الذي يريد الاعتلاء بنفسه الى مجتمع عال : مصراً على اثبات قوته واهميته فى الشؤون العالمية . ومع ذلك فانه حساس الى درجة غريبة للقضايا الجزئية ، ناهيك عما تثيره فيه الامور الطفيفة من سرور يشبه سرور الاطفال .

وهذا ليس بامر غير اعتيادي بالنسبة لقوى كبرى فتية . وبالامكان الكشف عن مثل هذه السياسة لدى دول وصولية جديدة كالهند والصين و (دول في مستوى ادنى) كمصر * ويوغوسلافيا ، البرازيل ونيجريا . فلا الايديولوجية الشيوعية ولا الحقد الجهنمي هو بالامر الضروري العقلاني لمثل هذا الاسلوب ، ولكنه ينطبق فقط على الاعمال القومية الخاصة فى عالم متغير . وحتى الولايات المتحدة فإنها فى الحقيقة ، قد تحدثت بعض الاحيان ومارست نفس هذا النوع من المواقف .وعلى

---

* هذا راي المؤلف بالطبع وقد ابقيناه للامانة العلمية على الرغم من اننا لا نتفق معه .

هذا النحو ايضا يمكن ان توضع الاستراتيجية السوفيتية بنفس المستوى من التصنيف من دون الرجوع الى التعمق فى سلامة النية او المواقف العقلية العازلة فى تاريخ الاحداث الفريدة •

ان ما هو جديد بشأن الاتحاد السوفيتي حقا هو طراز السلوك الذي يستند اليه الكرملين الى جانب الشدة التي استخدم معها وسائل تكنيكية معينة تخرج عن المألوف • واذا مارجعنا الى الماضي نجد ان جزءاً كبيرا من محاولة موسكو القوية التي تتمثل باقناع العالم بان الاتحاد السوفيتي ظاهرة فريدة في تاريخ العالم ، كانت تهدف فى حقيقتها الى اقناع القادة السوفيت انفسهم بدعوتهم • ولم يكن بوسع الولايات المتحدة ان تفعل ازاء الاتحاد السوفيتي اثناء الحرب الباردة اكثر مما فعلته فى اخذ الدعاية السوفيتية بجد وبالتالي الوصول فى الاغلب الى مرحلة التصديق •

ويبدو ان التطور فى السلوك الذي مر به الاتحاد السوفيتي كان تطوراً واضحا • فاذا كان الكرملين قد بدأ من موقف يتميز بالعقد النفسية الكبيرة وبافتقاد الامان الفعلي ، فان قيادتة بدت تشعر بعدها انها مضطرة على اتخاذ موقف العنف المستمر والكفاح على مستوى المعارك الفعلية على الرغم من عدم قدرته على تحويله الى نطاق العمل الفعلي • ومع ان تفاعلات التاريخ قد عدلت بمراوغتها طبيعة وابعاد الدور العالمي الذي يمكن ان تلعبه موسكو ، ومع ان الكرملين نفسه قد ربح الثقة بالنفس ونال سجلا من الفخر، الا ان الضرورة املت عليه ان يتخلى تاريخيا عن المواقف المتشددة واللغة الزاهية الالوان • لقد اصبحت موسكو اقل اهتماما بتقديم وعظها من اجل رسالتها فى الثورة تماما الى الدرجة التي تطلب فيها لنفسها ضمانا فى دوام الوضع القائم • ان السياسة السوفيتية اليوم هي سياسة بعيدة عن ان تكون ثورية وقوة متطرفة فىالشؤون الدولية ، انها تتذوق اكثر فاكثر صورة قوة مثالية كبيرة من صور القرن التاسع عشر التي تعمل ضمن اتحاد اوربي • فلقد وصلت بوصوليتها الى مستوى الثبات • وانه لمن سخرية الصدف

ان نفس من تمتع بالعضوية والدعم الداخلي الممتاز من قبل الاتحاد السوفيتي اخذ يفقد مركزه وقوته في التأثير على الاحداث بنفس النسبة التي تتسع فيها المناصب لضم اعضاء جدد •

**الدوافع السوفيتية : الادعاءات والحقائق**

ان وجهات النظر العالمية ونظرياتها فى الاهداف ذات المدى البعيد ، مهما كانت مفيدة وعظيمة فانها في حد ذاتها لاتثير اكثر من اهتمام عام فى نفس المحلل الذي يجابه بحقيقة العمل السوفيتي فى العالم الحقيقي • فأطر المفاهيم العريضة ليس لها الا علاقة محددة في صنع السياسة الخاصة بالظروف الانية ، وما هو اهم بالنسبة لبحثنا هو السؤال المتعلق بالدوافع السوفيتية • فما الذي يجعل الكرملين يقوم بما يقوم به فى قضية معينة ؟ ماهي نظريات الدوافع التي تتعادل بقوة مع حقيقة السلوك السوفيتي ؟ •

لقد كشفنا بالفعل عن اهتمامنا الى المدى الذي يدركه الاميريكي بشأن الاستراتيجية السوفيتية منذ البدايات الاولى للحرب الباردة والتي رأينا فيها انها تستلهم مقوماتها ووقفاتها من الاساطير التي غلفت حقيقة القوة السوفيتية • لقد كانت موسكو سريعة فى وضع اهدافها ومنهاجها الرطن المعلن عنه والخاص بالشيوعية الحديثة ، وفى اتجاهاتها فى بداية فترة مابعد الحرب ، هذا بالاضافة الى ايجاد السبل الكفيلة باحلال المشابهة بينها وبين العقيدة • وكل هذا يمثل الحد الادنى حسبما يفهمه الاميريكييون • ان انعدام اي دليل افضل امام الولايات المتحدة ، هو الذي حدا بها الى الاخذ بالادعاءات السوفيتية في وجهها المظهري • لقد وجدت الولايات المتحدة نفسها لما يقرب من العشرة سنوات التي تلت عام ١٩٤٥ محاصرة فى صراع مع فكرة معينة ، بينما كانت الاستراتيجية الحقيقية المتداخلة تجرى دونما ان يشعر بها احد • ان المفهوم الضمني للعقيدة الارثودوكسية الذي يعزو التحركات السوفيتية الى التعاليم

الايديولوجية الرسمية قد عاد الى سلسلة من التشويهات فى التقديرات الاميركية للنوايا السوفيتية •

لقد ادعت الولايات المتحدة منذ البدايات الاولى للحرب الباردة فى حكمها على السياسة السوفيتية ان « القدرة » ترادف فى اغراضها العملية « النوايا » منذ ان كانت الاهداف السوفيتية كما تعبر عنها الوثائق المختلفة الخاصة بالعقيدة المنزلة ، قد اعلن عنها بأنها تتمثل بالثورة الشاملة وتعميم الشيوعية في العالم • وبناء على ذلك فقد وصل الاستراتيجيون الاميركيون الى الخلاصة التي تقول ان اية محاولة جدية لتأكيد النوايا السوفيتية فى اية وضعية خاصة هي محاولة لاتستدعيها اية ضرورة وانها من قبيل العبث • فالولايات المتحدة ، فى ظل الحكمة والامان ، عليها بدلا من ذلك ، ان ترى لنفسها ان السوفيت سيستخدمون فى اية لحظة الحد الاقصى من امكانياتهم من اجل اهدافهم الشريرة • ومن هنا كانت المساومة والتهدئة والمعقولية وحسن النية كلها امور لافائدة منها • ان الشيء الوحيد الذي يفهمه « الروس » ، كما يتفق عليه الاميركيون « هو القوة » •

وهكذا تكون البدعة الاستراتيجية الكبرى الثانية قد قبلت • والدليل المبدئي على خصوصية السوفيت هو قدرة موسكو على تعديل العالم الخارجي مع البقاء فى عين الوقت محصنة من تأثيرات القوى الخارجية • ان الاتحاد السوفيتي ، كما يحلل الاميركيون ، لم يستجب الى القوى الخارجية كما هو الحال مع الدول الاعتيادية • انه خطط الخطط وعمل بعدم اهتمام كلي لما يحدث في اجزاء اخرى من العالم • لقد تصور ان المحيط العالمي لا اكثر من مسرح للعمل السوفيتي ، وليس مصدراً للالهام او الضبط المفروض على الدول الاعتيادية المتبصرة ذات السيادة •

ومن وجهة النظر الاميركية ، ان استراتيجية مضادة ( منذ البداية كان العمل الاميركي يحمل مفهوم رد الفعل ضد العدوان السوفيتي )

هي امر سهل : وهي محاولة احاطة السوفيت ومحاصرتهم من كل جانب•
لقد كان موفيا بجميع الاغراض الاميريكية الحساسة لمجرد الوقوف
على مايستطيع السوفيت القيام به ليعقبه من بعد ذلك العمل من اجل
تحييد قدرته • وهذا على مستوى التقرير الاستراتيجي ، يمثل الهدف
الاعلى الذي تطمع الولايات المتحدة الوصول اليه بصورة شرعية ،
امام مجابهة لعدو سار وفق شهوة بعيدة عن استخدام العقل من اجل
تحقيق الغلبة ، بالاضافة الى موهبته التي تفوق الامكانية البشرية فى
الازدواجية ، والرقة والبراعة والمرونة •

وقد ظل هذا التصوير السهل للنوايا السوفيتية كذلك الى ان
ظهرت الصعوبات العملية الذاتية بوضوح امام الاستراتيجية الاميريكية
بعد مرور عقد من السنين على الحرب الباردة • ان المفهوم غير العملي
المتعلق بـ : لماذا قامت موسكو بما قامت به ، قد اعطى الاتحاد لسوفيتي
حرية واسعة جدا لاثارة الخلاف ولتقرير شروطه وظروفه • وما هو
اكثر تنشيطا لعزائم مستقيمي الرأي هو ازدياد عـدم اهتمام مسؤولي
الكرملين بعد موت ستالين واصرارهم على مواصلة الدعاية الرسمية على
جانبي الستار الحديدي • ولقد شهدت نهاية الستينات اخيرا اسلوبا
جديدا للنوايا السوفيتية مما ادى الى ربح المؤيدين له من ذوي التأثير
فى الولايات المتحدة •

ان هذا البحث عن السـبب فى السياسة السـوفيتية قد قبل
الايديولوجية الرسمية للاتحاد السوفيتي كونها عامل ظرفي فى محيط
حركي ، وليس كونها مقرر للسياسة «*» وقد جاء تأكيدها بدلا مـن
ذلك ، على طراز السلوك السوفيتي الممكن ملاحظته وعلى تحليل

---

* للرجوع الى تفاصيل اخرى للموقف المقدم هنا يمكـن الحصـول
عليها في مقالة المؤلف :

ماذا وراء الدفاع الروسي "What's Behind the Russian Mask ?

In The United States Naval Institute Proceedings, Sept., 1963.

النوايا كونها امور عملية متقدمة لامفر منها في عالم حقيقي • والحصيلة الناتجة من هذه المحاولة هي تعرية الاتحاد السوفيتي من وشاحه الفريد ، ومن قدرته في السيطرة على محيطه ، ومن علاقته الخاصة بأخذ المبادرة • وهذا من شأنه ان يقلل ، وبدرجة لاتخضع الى القياس من ظاهرته المعقدة الى مجموعة ذهنية من الاصناف •

واذا مادرس السلوك السوفيتي منذ الحرب العالمية الثانية دراسة دقيقة كدولة تعمل من داخل نظام مكون من دولة اكثر منها كونها كاشفا لمؤامرات ثورية ، فمن الممكن وبسرعة اكتشاف عدة اشياء جديدة فيها • فاول مانجده فى الاتحاد السوفيتي هو انه ابعد من ان يكون دوما مسيطرا على محيطه الداخلي ، وانه يستجيب بسرعة للمؤثرات الخارجيــة • فدوافع السوفيت ، بناء على ذلك ، هي ليست دوافع داخلية كليا ، ثانيا ، ان الاتحاد السوفيتي لم يعمل من اي التزام فكري موحــد نحو الثورة ، كما انه ليس دوما على المستوى الاقصى فى قدرته • وبدلا منها فهناك متغيرات كبيرة في شدة مستوى (او بعبارة اخرى ، فى مستوى مقبول من المجازفة ) السياسة السوفيتية والتي يمكن ان تحــدد في الاجزاء المختلفة من العالم وفى الاوقات المختلفة ، ثالثا ، لقد كشف السوفيت عن نفسه بانه مشارك اطرش فى لعبة السياسة الدولية اكثر منه قوة خارجية تهدف الى تدمير نظام ليس لديه اي تعاطف مع مقوماته •

وربما كان اهم دليل ذي قيمة لتوضيح الدوافع السوفيتية هو الاختلاف فى الشدة التي عن طريقها يعمل من اجل تحقيق مشاريعه المختلفة • وحين نحلل بدقة هذه الظاهرة الكبيرة بذاتها في تقديرات الكرملين ، ونصنف انواع الاوضاع المؤدية الى تعاريف خاصة للحد الاعلى المقبول فى المجازفة ، فاننا نصل بسرعة الى تناسق مقنع ومثير للدهشة • وكما يشير اليه سجل سلوك الاتحاد السوفيتي ، فانه قد عمل ولا يزال يعمل من خلال ثلاث مستويات متميزة فى الشدة ، والتي يمكن ان نحددها هنا ببساطة وهي عال ومتوسط وواطىء • وكل واحد

من هذه المستويات يمكن ان يرتبط باسبقية معينة متكافئة وبفكرة سائدة معبرة عن مصلحة • ومن خلال الربط مابين هذه المستويات الثلاث تظهر صورة الدوافع السوفيتية التي تمثل عموما نموذج من نماذج الدول الكبرى التقليدية •

ان اسبقيات المستوى العالي ، تتمثل بالشدة العالية لسياسة الاتحاد السوفيتي منذ الحرب العالمية الثانية التي تركزت حول محور معين ومجموعة من المشكلات المتصلة : الامن المادي للاتحاد السوفيتي، خاصة بعد ان هدد من عدة حدود متاخمة يمكن ان تكون مصدرا للهجوم على الدولة • والمواضيع التي اثارت رد الفعل السريع جدا من موسكو منذ عام ١٩٤٥ ، لم تكن لتخضع الى اي تبويب خاص ، وهذه المواضيع هي برلين ، المجر ، طائرة يونو والموضوع الاكثر حداثة وهو موضوع الخلاف مع الصين الشعبية • ولقد حدد الاتحاد السوفيتي فى كل قضية مشكلته وردود فعله باساليب معروفة كليا للطالب المتخصص فى دراسة سياسة الدول الكبرى التي بدت من خلال سلوكها اللائق عبر القرون • ولقد وضع الاتحاد السوفيتي الخطة لحماية نفسه منها بصورة واضحة ومباشرة •

واذا ماقرنا لحظة الى المستوى الثاني من مؤشر الاحداث ، لوجدنا ان السجل التاريخي يرينا بوضوح ان مغامرات موسكو في المناطق التي تقع خارج مدار امنها ، والى الولايات المتحدة بالذات حيث التناطح المباشر بين الرؤوس،أنها كانت اسبقيات ذات مستوى واطيء من الشدة والمجازفة ، بما فيه الرغبة الواضحة فى التراجع امام المقاومة القوية او التصعيد المحتمل • والقضية الكلاسيكية التي يمكن ان تقدم هنا بالطبع ، هي قضية كوبا اثناء ازمة القذائف عام ١٩٦٢ ، على ان موسكو منذ مبادأتها في التغلغل في ايران عام ١٩٤٦ ومرورا بمبادأته المتعاقبة فى الشرق الاوسط، جنوب شرق آسيا، افريقيا واميريكا اللاتينية، قد حافظت بكل ثبات على جعل استثماراتها صغيرة ، وانها تركت باب الخروج مفتوحا ، وواضحا وسهل الفهم • هنا يبدو ان الدافع قيد

البحث ، هو دافع وصولي لايقبل الخلاف ، دافع يسعى الى اقتناص فرصة سانحة ليحقق بها الربح ولكنه حذر فى ان يجازف فيه بحيث تؤدي محاولته بالنتيجة الى اي تصعيد اعلى من الشدة •

واخيرا ، وفى المستوى الوسطي مابين المجازفة الكبيرة وطريق الاستجابة السريعة للامن القومي والمجازفة الصغيرة ، في اختراق المناطق الخارجية ،فاننا نجد ضخامة الخلاف الثنائي مع الولايات المتحدة • ان ملاحقة الحرب الباردة كما يسجله سجل الاحداث يبدو اقل خطورة بالنسبة للاتحاد السوفيتي من الدفاع عن اراضيه ( وهذا حكم تعترف وتقر به الدول الكبرى ) ولكنه باستخدام نفس المؤشرات نجد ان الكفاح مع الولايات المتحدة ـ وبنفس الاهمية ـ مع الصين الشيوعية ـ هو كفاح يعتلي اهمية اكثر واسبقية اعلى من احتمال الفوز باية جائزة فى المناطق غير الغربية من العالم •

وعليه فان دوافع السوفيت فى ملاحقة الحرب الباردة والتي تظهر بوضوح انها فى المستوى المتوسط من حيث المجازفة ، والشدة والاسبقية، هي دوافع ذات اهمية خاصة بسبب انها تشكل الواجهة في سلوك الاتحاد السوفيتي الذي هو في الدرجة المباشرة القصوى ذات العلاقة بالولايات المتحدة ، بسبب انها تعكس ايضا الكثير من الضوء على تقرير الاتحاد السوفيتي لنفسه ، ولدوره فى العالم • لماذا يسير الكرملين ، بالصورة العدوانية التي يسير عليها ، خاصة فى ضوء التفسير الصارم للينينية الذي يقدمه الزعماء بشأن العلاقات الشيوعية ـ الرأسمالية؟ ماذا بعبارة اخرى ، يريد الاتحاد السوفيتي من الولايات المتحدة ؟

ربما من المفيد ان نضع بسرعة جانبا اسطورة الغزو • لقد اعترف خروتشوف نفسه فى اسباب قبوله « سوف ندفنكم » والتي اغضبت الاميريكان كثيرا ، بان بعض هذه الاسباب تستقى مصادرها من علم البيان النقي ، وان بعضها الاخر يعود الى طريقته غير الموفقة في روتين عرض التنبؤات الايديولوجية بشأن الثورة المنتظرة • اما خلفاؤه فقد

وضحوا بجلاء قبولهم لهذا الموقف • ولكن الاكثر من ذلك ، ماهي المقاصد الخاصة التي سعت موسكو من اجلها بشأن ربحها من اميريكا فى خلافها المباشر معها ؟ ماذا سيكون تعريف السوفيت لنصر ينجم من الكفاح مع الولايات المتحدة ؟

هنا يصبح الناطق بلسان السوفيت الشخص الاكثر عونا • فمنذ الايام الاولى التي تلت الحرب العالمية ، وحينما رفض كل من اندرى فيشنسكي واندري گروميگو مشروع باروخ (Baruch Plan) للسيطرة على الطاقة الذرية ، وحتى احدث التصريحات من اعلى المستويات فى الكرملين ، فان رجال الدولة السوفيت قد اعربوا بارتباك واضح عن ماذا يريدونه من اميريكا • ويمكن تحديد مطالب السوفيت بتبسيط القبول الكامل للولايات المتحدة كطرف متساو فى الموقف ، والقوة ، والرعاية والاكرام لحكومتي الطرفين من اجل السيطرة على العالم •

ان هدف موسكو هو البحث من خلال تعامله مع الولايات المتحدة، بعبارة اخرى ، هو لا أقل من وضع قوة كبرى كاملة فى المفهوم المتعارف عليه في القرن التاسع عشر • وعلى هذا النمط من الاسس يؤكد الاتحاد السوفيتي مدى مصالحه الجغرافية والوظيفية الكلية • ولهذا السبب نفسه فإن الكرملين هو مفتن بمؤتمر قمة يفضل ان يكون ثنائيا • وهذا هو السبب فى لماذا موسكو كانت قد لعبت دورا فعالا فى اتخاذها لقرارات الفيتو فى الامم المتحدة • وبقيت مترددة على ان لاتنجر بقرارات الجمعية العمومية التي تعبر عن المصالح المتحدة لمجموعة من القوى الصغرى • ذلك ان القوى الكبرى فى القرن التاسع عشر كانت نخبة متشددة ، وان الاتحاد السوفيتي حذر جدا في تاريخه الحديث ، فهو كالشارد ، متلهف لتلقي المكافئات لمثل هذا الموقف المجلب للاحترام له ذاتيا •

وهكذا يمكن تلخيص دوافع الاستراتيجية السوفيتية القائمة واعمالها في تسلسل تنازلي للاسبقية بما يلي : اولا ، حماية امنها السياسي والطبيعي ، ثانيا تحقيق مركز القوة الكبرى الكامل ،

ثالثا ، تحقيق مجال زعامتها فى الشؤون العالمية ( ضمنيا ، ولكن على المستوى الادنى من الاسبقية فقط ، انتشار النظم الشيوعية وفق تصميم لبقاع واسعة فى العالم ) وهذا يتطلب تفسير للتاريخ ومنطق ليناقش ان هذه الامور تجعل من الاتحاد السوفيتي فىاي مقياس ، وحيدا في بابه • ان القوة الدافعة لسلوك الكرملين تعرض عادة بقالب تقليدي مألوف •

وهذا يجب ان لايقلل باي حال من الاحوال من اهمية ان المشكلات الذهنية او العملية فى النضال مع القوة السوفيتية التي تفترض الوصول الى الخلاصة القائلة بان الاتحاد السوفيتي يمثل نموذجا خطرا لم يسبق له مثيل• ان السياسة السوفيتية هيلا اقل من سياسة مزعجة وان الطموح السوفيتي لا اقل من انه طموح غير مقبول لدى الولايات المتحدة بسبب ان كل ذلك ينطبق على طراز قديم جدا • ان مايقدمه هذا التحليل الى الفكر الاستراتيجي الاميريكي ، على كل حال ، هو الخلاصة التي تقول ان مشكلة الولايات لها حدود وتفرعات وانها بناء على ذلك يمكن ان تقتحم بطريقة عقلية منتظمة •

**التكنيك السوفيتي :**

ان اغلب البنود العامة فى نظرية التكنيك السوفيتي هي ، كما افترضنا فيما سبق ، انها نتيجة للتصميمات المصطنعة لمبادراتها • ومع ان المدى الذي ينطلق منه التخطيط الاعلى للاستراتيجية السوفيتية اليوم هو فى حقيقته يتمثل بانه قوة تطلب التغيير فإنه يمكن ان تثار حوله الاسئلة ـ والذي سنناقشه فيما بعد بدقة ـ اذ ليس هناك من شك ان رجال التكنيك السوفيتي فى متابعتهم للحرب الباردة يؤكدون على الدور الهجومي •

ان قوة المبادأة في قضية متنازع عليها هي بلا شك شيء مهم • فالدولة التي تبدأ اولا تسيطر على المكان والزمان والظروف لحركة الطرف المناوىء ، بحيث تفرض على خصمها مسؤولية الاستجابة

للمشكلة بدلا من ان تصنع مسؤوليتها بنفسها ، ولكنها ايضا وفى الاغلب تتمكن من تحديد الشروط التي تحدد كيف يجب ان تسير المعركة باسرها • فطبيعة الانسان على ماهي عليه ، بالاضافة ، تجعل من القوة المبادءة ، التي اذا ماوضعت يدها بثبات على تطورات المعركة واحتفظت برأس بارد ليقرر تكتيكاتها ، فانها غالبا ماتكون القوة المقررة للزمن والكيفية والشروط التي يجب ان ينتهي فيها النزاع •

وليس من الضروري ان يكون هذا طريقا مضمونا للنصر ، لانه قد يعقب المبادءة الفشل ، هذا حين يقرر الوقت خطأً أو حين يفلت منه التقدير الصحيح • ولكننا ، وكما نتعلم ثانية من المبادىء الاستراتيجية للعبة الشطرنج ، نجد ان اللاعب الممتلك لقوة المبادأة (فى الحركة الاولى) لايمكن ان يخسر اذا لعب كل من الخصمين بدقة • ففي احسن الاحوال ، يستطيع خصمه ان يدبر لنفسه حركة، ولكنها ليست الحركة المؤدية الى النصر مطلقا • ومن المواقف الاستراتيجية ، فانه متى تستطيع الدولة المبادأة ان تمنع خصمها من الاستجابة وتنكر له الفرصة في ان يقوم بهجوم مقابل ، فانها تحصل على نفس الموقف • ولهذا السبب ذاته اصبحت المبادأة سحرا عند الاستراتيجيين في اقطار كثيرة ، من العالم •

لقد عمل الاتحاد السوفيتي فى الحرب الباردة اقصى جهده فى ان يقتنص ويستثمر لحسابه فائدة الحركة الاولى التي غالبا مايساعدها المبدأ الاميريكي ، دون قصد ، والذي يمنح المبادأة الى العدو • لقد احاط الكرملين حركاته بالسرية قدر المستطاع وكرس جهوده فى فترات قصيرة منفصلة عن بعضها تمام الانفصال جغرافيا ، وحاول تطوير واستخدام ممجموعة خيالية من التكتيك ( او على الاقل ليقوم بتحديات للولايات المتحدة وفي ظل اساليب غير متوقعة ) ، وقام بمحاولات كبيرة لوضع اساليب محددة لكل نوع من انواع المجابهة الخاصة • وحتى فى الاحوال التي يعتريها شيء من الغموض فى نقاط التصادم خلال ازملت كثيرة من ازمات الحرب الباردة ـ كلاؤوس ، كوبا ، والقصص

العابرة المتعددة من مسرحية برلين ، او الحرب الكورية ــ فان القوة المقررة التي ادى الامر بالتالي الى ايقافها ، كان قد ظل الروس يمسكون بها كلياً بايدي ثابتة •

وفي تحديده لطبيعة النزاع فإنّ الاتحاد السوفيتي قد استمر في تسليح نفسه بالقوة اللازمة واعطى لنفسه الحرية لاستخدام انواع مختلفة ملبسا كل نزاع الاساليب اللازمة للمطاليب الخاصة بكل وضعية • فهناك من التكنيك ، مثلا امر لم يحظ بالانتباه اللازم وهو ان موسكو تطبق بكل رغبة الاصول الدبلوماسية المتعارف عليها ، مؤكدة على التقاليد التاريخية مع تأكيد دقيق لقواعد البروتوكول • كما نافس السوفيت ايضا الولايات المتحدة فى تحسيسه لما ترمز اليه القوة العسكرية من معنى بالنسبة لمركز الدولة ، خاصة في تعامله مع القوى الاصغر • اما الامثلة على استخدام الاقتصاد والدعاية باستقامة فهي تكمل صورة الانطباع فى ان الاتحاد السوفيتي ، تحقيقا لكل اوضاعه الثورية كان ولم يزل راغبا على استخدام الادوات الناجحة لدولة ذات سيادة فى تنفيذه لسياستة •

الا ان الجوانب الغريبة فى التكنيك السوفيتي قد جلبت بالطبع انتباه العالم الخارجي الشديد وسببت اقصى درجات الضيق بالنسبة للولايات المتحدة • ان للاتحاد السوفيتي بعده المتميز الثاني فى ممارسته للسياسة الخارجية، بعد ان تزداد فيه اهمية الحفاظ على صورته التي يتخيلها والتي يراها بانها قوة تاريخية لاسابقة لها • فاذا موسكو تختار فى بعض الوقت على ان تسلك سلوكا مألوفا وتأخذ طرازاً منظما ودقيقا فى الشؤون الدولية ، انها في اوقات اخرى وقد اعطت الانطباع في انها تسعى من اجل اجراء تدمير كامل للنظام التي تتحرك فيه •

هنا يجب علينا ان نميز بين مستويين مختلفين من الادراك • فاحدى الاهداف الكبرى لتكنيك موسكو الجديد يتمثل فى اختبار ثبات ورباطة جأش خصومها • فلقد اثار الاتحاد السوفيتي فن دعاية القذف الى مستويات عالية جديدة ومبالغ فيها فى لغة تعامله الخشنة مع الغير • من

ذلك مثلا التهديد المغامر بالفتك النووي ، السباب الموجه الى موظفي الحكومات « الصديقة » ، الاعلان الفجائي عن الموقف دونما خجل بالاكاذيب : كل هذه تقدم عن طريق رسائل بركانية مكشوفة ضمنية بواسطة جميع وسائل الاتصال ، والتي تهدف لا الى الاقناع وانما الى الارباك • وهذا يذكر المرء بتجارب بافلوف التي تتجزأ فيها الشخصية السلبية والانهيار من خلال مهيجات مربكة محضة • اما اللياقة الاعتيادية فانه ينظر اليها كجزء متمم للتعامل بين الدول في جميع الاوقات عدا تلك التي تتخللها العلاقات العدوانية العسكرية المكشوفة التي كما يبدو في احايين كثيرة ان العلاقات تقطع من قبل السوفيت النشيطين ، على امل ان الانهاك او الدوخان المحض يؤدي الى الاستسلام •

ان هذا التكنيك بالطبع محصور بالمستوى العقلي • ولكن مايحضى باهتمامات اوسع هو العمل المباشر التكنيكي الذي يعطيه الغرب عادة اسم « الحرب السياسية » • وهذه يمكن تصنيفها ابتداء من التدخل العلني في الشؤون الداخلية لدولة اخرى ، من خلال تنظيم ومساعدة الاشخاص الهدامين ، الى المشاركة العلنية في حرب داخلية اهلية • انها جميعا تمثل محاولات لتحقيق الاهداف السوفيتية عن طريق جر الاوضاع الداخلية واهدافها الحركية الى وضع مرغوب فيه ومحققا للاهداف السوفيتية • فالمظهر الخارجي للاستقلال ذي السيادة ، بعبارة اخرى ، يمكن ان يثلم بأي اداة من ادوات الحرب السياسية •

وهكذا فان الدعاية والحرب السياسية يمكن ان ينظر اليهما كمجالين رئيسين يستخدمهما الاتحاد السوفيتي في تكتيكاته والتي تبدو بعيدة عن القواعد التقليدية المألوفة • وما يجب علينا ذكره ايضا هو ان القادة السوفيت غالباً مايحملون تكتيكا اكثر اصالة في اتجاهات لا سوابق لها او ذات مدى بعيد جدا • فالدبلوماسية ، مثلا التي ينظر اليها عادة كأداة لحل الخلافات او التفاوض من اجل الاتفاقات ، غالبا ماتتحول في الممارسة السوفيتية الى سلاح لاثارة الخلافات ، وطريقة

للتملص من الاتفاق ، واداة لتعميق وتقوية الخلاف • فغالبا مايصر السوفيت على الدعوة من اجل التفاوض ولكنهم يكرسون جميع الوقت المخصص لمثل هذا للتحدث في مناقشات طائشة حول الاسلوب والتكرار الميكانيكي على مركزهم ، والازعاج ولكن درنما توفر اية اثارة حول حقد السياسة الغربية • وحتى التبادل الثقافي ، فان المخرج الامين والمرغوب فيه لاثبات حسن النية ، قد وضع من اجل اغراض سياسية ، فى احيان اخرى من اجل احلال الفشل الذريع الذي يقوم به الاميريكيون المخلصون الذين يأملون فى أن يقوموا بشيء ما من اجل تحسين العلاقات المتبادلة بزيادة الاحتكاك المباشر بين الناس •

ولم يكن القادة السوفيت فى جميع مواقفهم الفريدة وتاريخهم الحتمي ليترددوا على الاطلاق في استعارة تكنيك الغرب • واكثر هذه الاستعارات الايديولوجية المشهورة والناجحة والتي حظيت بتعديلات منفردة ، هي بالطبع قبول موسكو بكل اصناف المساعدات الفنية والاقتصادية كادوات نافعة للسياسة السوفيتية•ولقد كانت هذه «السرقة» بذاتها والتي اعتقد الاميريكيون انها من اختراعهم والتي اصبحت مصدر ازعاج كبير للولايات المتحدة من جوانب عديدة ، ناجحة لدى الاتحاد السوفيتي حيث باستخدامه المساعدة الاجنبية ( والتي هي اقل ثمنا مما فرض على الولايات المتحدة تحمله ) بدا فى كثير من المناطق غير القريبة من العالم، وكانه مصوراً الحرب الباردة بانها تنافسا بينموسكو وواشنطن وان الغرض من كل ذلك هو من يستطيع ان يقوم بعمل افضل من خلال مساعدته لبقاع غالبا ماهي مرتبكة فى حياتها ولكنها متشوقة لها كل الشوق •

ومع ذلك فلا بد من الاشارة الى نقطة محددة بهذا الخصوص • ذلك ان الاتحاد السوفيتي على الرغم من رغبته الكلية فى ان يقذف بالتهديد اية دولة تقف امامه فى اللحظة الحرجة ، فانه قد حرص كل الحرص فى ان يكون حذرا في استخدامه القوة وفى ان يحدد مطالبيه

بعدد محصور من القضايا الوارد ذكرها فيما تقدم لتمثل مستوى عاليا من الاسبقية والمجازفة • ان تأكيد التكنيك فى السياسة السوفيتية على المبادرة لايمتد الى درجة الاقدام على الحرب الا فى الاماكن الملاصقة التي تتطلب خطورتها القصوى الدفاع عنها • ولقد انكرت الولايات المتحدة منذ مدة طويلة حقيقة هذه الخلاصة ، مقتبسة من اقوال لينين مايؤيد « حتمية الحرب » مابين العالمين الشيوعي والرأسمالي • وظل الامر كذلك حتى جاءت المرحلة الحرجة في النزاع الصيني ــ الروسي لما بعد عام ١٩٦٢ لتفرض على الرئيس خروتشوف ان يكشف فى تصريحاته الواضحة عن قبوله منطق الردع وتوازن الرعب • واليوم يبدو ان الحرب مناهضة لمصالح السوفيت ( على الاقل كما يفسرها الكرملين اليوم ) بالقدر الذي تناهض فيه مصالح الولايات المتحدة •

**تطور استراتيجية السوفيت في الحرب الباردة :**

يبدو عنوان هذا الجزء من جانب ، انه عنوان مظلل • ذلك ان الاستراتيجية السوفيتية لم تتطور من شيء لاخر ، فالاتحاد السوفيتي لايزال يتمسك بايديولوجيته ، ويعلن عن اهدافه فى الشيوعية العالمية ، وعدم ثقته الكلية فى نوايا كل غير الشيوعيين • وما هو اكثر اهمية ، هو الثبات الملحوظ في الدوافع السوفيتية التي لم تقل شدتها فىاي وقت طيلة الحرب الباردة ، اذ لم يبد السوفيت اي مصلحة حقيقية فى تعديل نظرته للمبادأة او فى اي من اساليبه التكتيكية المهمة • أن المفهوم الاستراتيجي السوفيتي مفهوم لا ينكسر أمام الوقت والنظرية معا •

ولكن الولايات المتحدة وقادتها قد وصلوا الى ادراك اهمية تاريخ معين واحد في تاريخ الحرب الباردة الحديث وذلك هو الخامس من آذار عام ١٩٥٣ • ولقد كان هذا التاريخ هو تاريخ موت جوزيف ستالين • فلقد كان لنهاية عهد ستالين مدخلا بالنتيجة لعدة قوى جديدة داخل الاتحاد السوفيتي ولقبوله التدريجي لمفهوم مختلف في اتخاذ القرارات داخل الكرملين • فبعد عقد من التجربة لعهود مابعد ستالين والمتمثلة بمالنكوف وخروتشوف ، بدأ الاميريكيون يقدرون

ان وحدة المفهوم الاستراتيجي السـوفيتي تخفي بين طياتها متغيرات مهمة فى فكرتها وتطبيقها التي تجعل مجتمعة من موسكو اليوم خصما مختلفا تماما ــ على الرغم من انها ليست اقل خطورة ــ عما كانت عليه فى بداية الحرب الباردة • ان افتتاح عهد بريجنيف ــ كوسيجين في تشرين اول من عام ١٩٦٤ قد دل على حدوث تغيير كبير •

ان الاستراتيجية السوفيتية في وجهها الستاليني يمكن وصفها بانها استراتيجية تبشيرية مسيحية فى نظرتها الى العالم ، محددة فى ابعادها الجغرافية الوظيفية ، متشائمة فى تقديرها للاوضاع ، بخيلة فى قبولها الثمن والمجازفـة ، وفقيرة فقرا مـدقعا في تكتيكها العسكـري • و كانت السياسة الستالينية ، خاصة فى تعاملها مع الولايات المتحدة ، قد الزمت نفسها ايديولوجيا بمجموعة من الكليشهات حول طبيعة شرق ووسط اوربا ، والشرق الاقصى، وكانت معرفتها ازاءها معتدلة • اما فى المناطق الا بعد ، فقد كان ستالين يتحرك بتردد فيها وحتى انه كان يستند على قواعد ايديولوجية مدهشة وصارمة • وبمعرفته اكثر من اي فرد اخر على مدى الاضرار التي اصابت الاتحاد السوفيتي من جراء الحرب ،فقد سعى ستالين دوما من اجل الحصول على اقصى مايمكن من الربح بأقل مايمكن من الالتزام ، وركز استخدام مصادره الطبيعية المتوفرة على تنظيم منطقة نفوذه لاغراض الدفاع • اما على الصعيد التكنيكي ، فقد كان مهاجما ثابتا ، مستخدما جميع الاسلحة السياسية والسايكولوجية باعتبارها سلعته الوحيـدة فى التجارة •

وفى ضوء جميع هذه الابعاد يمكن القول ان السياسة السوفيتية المعاصرة هي سياسة متغيرة الاتجاه او انها على الاقل مرت بتعديلات داخلية واسعة عن قواعدها الستالينية • وما عدا ماتفعله فى اغلب المواقف الرسمية البلاغية ، فان خروتشوف وخلفاءه قد هجروا فكرة الكفاح لتحل محلها فكرة « التعايش المتنافس » الذي يظل مؤملا بالنصر ولكنه بسحر غامض لايجيب على كيف وفى اي وقت وتحت اي ظروف سيتم

الانهيار النهائي للرأسمالية • وبنفس الروحية ، غير المنفصلة تماما عن وجهة النظر الجديدة ، فان صانعي السياسة السوفيتية قد اصبحوا اكثر سفسطة وتفاؤلا في تقييمهم للاوضاع ، واكثر شمولا فى الاكتساح الاستراتيجي • لقد اظهرت السياسة السوفيتية فى السنين الاخيرة سيطرة حاذقة إزاء القضايا الاكثر تعقيدا في التطبيق لم تمارس قط فى العهد الستاليني الذي كان اكثر بساطة من حيث المفهوم والتكنولوجية • كما بدت اكثر فى براعتها من حيث استخدامها للادوات الجديدة ، واعظم قدرة في تحليلها للحلول البديلة التي جعلت الكرملين لايرغب اكثر مما كان عليه فى عهد ستالين فى الاقدام على المجازفة ولكنه اكثر كفاءة فى احصاءه للعوامل الداخلية فى القضايا المعنيه التي تدفع الى تلك المجازفة • واخيرا فان الاتحاد السوفيتي في الستينات قد وصل الى ارقام جديدة فى التكنيك والمرونة في نظرته التي تستغل الى درجة قصوى توازن الرعب العسكري ، بحيث تطورت الى مجموعة كونية من التكنيك للحركة فى التأثير من وراء غطاء نووي مميت •

كما علينا ان ناخذ بعين الاعتبار المدى الذي اصبح فيه الوجه الجديد للسياسة الخارجيةالسوفيتية مقبولا ــ او حتىسببا ــ باستخدامه ديناميكية خاصة فى السياسة الداخلية • ولا تتجاسر فى ان نفترض الان ان اسطورة الجهة الواحدة والكلية في طبيعة صنع السياســــة السوفيتية قد اتخذت شكلها النهائي ، وان التوازن غير المريح والسائد فى داخل الكرملين سوف يظل ثابتا دونما حدود من الزمن • ان اي اعادة للتنظيم السياسي الداخلي فى الاتحاد السوفيتي ، سوف يحمل بين طياته تنبؤات لامفر منها وهي وجوب توفر حرية الفكر ، توزيع القوى ، وتقرير دور الجيش ، والتي سوف يكون لها التأثير الآني على النظرة العالمية السوفيتية • ان خروج خروتشوف الفجائي عام ١٩٦٤ قد احدث رجة فى جميع اوساط الحكومة الاميريكية • ان على الولايات المتحدة ان

تبني من اجل الدفاع عن نفسها ، استجابتها للسياسة السوفيتية اليوم وفي المستقبل على مقياس واسع يجمع مابين الواقعية والحذر كما فعلته ايام الرعب الستاليني الاسود •

**هل ان الاتحاد السوفيتي دولة تغيير اليوم ؟**

بالرغم من كل الثبات الايديولوجي للاتحاد السوفيتي ، والاحتمال الدائم في حدوث اهتزاز سياسي داخلي يمكن ان يغير من تاكيدات السياسة السوفيتية الحاضرة ، فان السؤال الذي يبقى هو ما إذا كان الكرملين قد عبر نقطة اللارجعة الاستراتيجية ، ام لا ؟ وهل انه من الدقة بمكان الاستمرار في تصنيف السوفيت كدولة تغيير تكرس حياتها اساساً للانتشار الكوني لقيمها اكثر منها لحمايتها والحفاظ عليها من الاخطار التي تأتيها من الخارج ؟ هلا اعطى الاتحاد السوفيتي في الواقع رهانات كثيرة تمكنه في ان يلعب لعبة المبادأة واقتناص الفرصة بيد طليقة تستطيع لوحدها من تحقيق النجاح ؟

لنكن صريحين تماما • لا احد يمكن ان يكون متأكدا من الاجوبة على هذه الاسئلة ، ولا حتى القوة التي تحكم الكرملين نفسها • وافضل مانستطيع عمله هو ان تنظر ثانية الى القضايا الاساسية في الاستراتيجية السوفيتية وان نضع افضل حكم فيما يجب ان يفعله اي واحد منا اذا كان هو المسؤول عن ادارة السياسة الخارجية لموسكو •

نحن نتذكر ان رفع شأن القيم الوطنية يتم فقط عن طريق زيادة القدرة التي تفيض على متطلبات الحد الادنى من المهمة الرئيسية في الحماية والدفاع • ذلك ان كل دولة تعمل اولا من اجل ضمان مشاركتها في اللعبة • كم هو النشاط الذي تلزم به امة من الامم نفسها في محاولتها التصعيدية ــ اي طلب التغيير ــ الذي تعتبره في التحليل الاخير ، وظيفتها الاولى في الحفاظ عليه من اجل الحماية ؟ ان هذا بدوره يعتمد على قدرتها الكلية المحتملة وعلى اسبقيتها القيمية التي تستحق الحماية • وهكذا فكلما تجازف الدولة في استثمارها من اجل حماية نظامها

القائم . كلما قل ما بيدها وفقا للمصلحة والقدرة للصرف على التوسع •
وهذا العامل له ثقله الكبير الواضـــح على القادة الحاليين في الكرملين • ان الامن السوفيتي على طول غالبية حدودها قد روعيت فيه كل الضمانات الممكنة فى الظروف الحديثة • ان مركز السوفيت العالمي كقوة كبرى ، بالرغم من انه غير كامل فانه قد تقدم كثيرا • ثم ان عضوية السوفيت في النخبة العالمية قد اقر عالمياً فلماذا اذن ، يجازف الكرملين ، بكل هذا السجل من الانجازات الاستثنائية من اجـل تحقيق اهداف هي فى اسبقيتها مشكوك فيها وهي فى ثمنها والمجازفة بها عالية حتماً ؟ ان العالم الشيوعي يتمسك دونما شك بتحقيق سحر كبير فى نهاية المطاف، ولكن الوصول اليه يتطلب بالتاكيد المجازفة بالوضع القائم وبالتقدم الذي حصل عليه الاتحاد السوفيتي • ان المقامرة ، كما تبدو لجميع الناس العقلاء ، اقل جاذبية يوما بعد يوم •

وهكذا نجد ان الكرملين اذ يعلن عن اعتقاده الثابت فى قيـام « عالم اشتراكي » حتميا ، فانه يقوم بتحرك اقل فأقل في سبيل تحقيقة • ان القادة السوفيت لايزالون راغبين كأي وقت مضى فى ان يروا عالما وقد تحطمت فيه المجتمعات الحرة والملكية الخاصة كما تنبأ ماركس منذ وقت طويل ، ولكن اصرار لينين على ان طليعة جيش الثوار يجب ان تعمل بدون انقطاع لكي تنقل المعركة الى العدو قد صرف النظر عنها اليوم على اساس ان الوضعية الحاضرة غير ممكن التنبؤ بتطوراتها من قبل القيادة • وعلى هذا الاساس « فان نواياهم » قد بقيت في الحقيقة على حالها ، كما تصر الولايت المتحدة ، ولكن ماهو متوفر من ادلة يوحي بان درجة اضطرار القيادة الى مثل هذا الشعور الذي يعمل من اجل هذا التصميم ذو المدى البعيد قد انخفض بشدة •

وعلى العكس من ذلك ، فان النتيجة المتحصلة من عهد مابعد ستالين باسره على الاستراتيجية السوفيتية قد حققت اتجاها معاكسا • فإذ كرس ستالين نفسه نحو حماية الارض السوفيتية ، بالرغم من توفر

الكثير من العناصر المسيحية فى اسلوبه ، فانه وجد بالتالي ان مصادره المحدودة لاتسمح له القيام باكثر من الحد الادنى من التوسع فى الحدود الامنية للسوفيت • وخروتشوف الذي ربط خيطاً من الدعاية والاقتصاد بشعرات رأس سياسية متدلية من حزامه ، كان طيلة حكمه قد أغري بمضض بالاحتمال المشجع على ان الحرب الباردة يمكن ان تثبت على مستوى بحيث يمكن من خلالها الايفاء بمتطلبات الاهداف السوفيتية بكل ارتياح • فمنذ مؤتمر جنيف للقمة عام ١٩٥٥ ، الذي حظيت المقترحات المقدمة فيه كحلول للمشكلات ، بالاهتمام الجدي لاول مرة ، وحتى الوصول الى تحريم التجارب النووية فى معاهدة عام ١٩٦٣ ، كان اهتمام خروتشوف المنصب على اكتشاف شروط مقبولة لتنظيم العلاقات السوفيتية الاميريكية ( التي يشار اليها عادة تحت عنوان محاولات « التقليل من التوتر » ) امرا ثابتا • ثم ان خلفاءه الذين بقوا ملتزمين بنفس الهدف هو امر واضح ايضا •

وليس معنى هذا انه يمكن اثارة المناقشة التي تقول بامكانية انها الحرب الباردة عند اية نقطة بعد عام ١٩٥٥ بمجرد تخفيف الولايات المتحدة من نزعتها الحربية•ان الاتحاد السوفيتي يضع تثمينا عاليا (ولكن ليس من الضروري ان يكون التثمين الاعلى ) للتفاوض الناجح ولكنه لايزال يبقى على اهداف تتطلب الاقناع • وليس لدينا الدليل للاعتقاد، حتى وقت المصادقة على تحريم التجارب النووية ، من ان الحد الاوفى من شروط حلول الاتحاد السوفيتي المقبولة هي ضمن الحد الاقصى من مجموعة الامتيازات التي كانت الولايات المتحدة راغبة فى تقديمها ـ والعكس بالعكس • ان ماهو عظيم الاهمية استراتيجيا ، علـى اية حال ، هو ان الكرملين كان ومايزال يفكر لعدة سنين فى كيف يدفع الخلاف الى نقطة النصر الاكيد • وهذه النقطة الاخيرة هي علامة دفاعية وحمائية للدولة ، وليست هجومية او تغييرية •

لقد اكدنا ان موقفا معاكسا داخل الكرملين هو امر ممكن حدوثه ، ولكن حتى اذا قدر لاقصى المتشددين من جناح ستالين من الاتحاد السوفيتي استلام السلطة ، فانه لمن المؤكد معرفة ماذا سيكون عليه منحاهم الاستراتيجي • ان الامم كالافراد ، هم الى درجة كبيرة اسرى اعمالهم الماضية • فربما يمكن للستالينيين من ان يقيموا توترا بسرعة ، وبحدثوا سلسلة من الازمات المخيفة ، اما انهم سيربحوا فى تحقيق ميلان جديد فى قرارهم فهذا مايشك فيه • كما انه ليس من المؤكد ان الستالينيين الذين هم متفائلون ايديولوجيا ولكنهم متشائمون فعليا، سيجدون ان اثارة الازمة هي الجو الاكثر ائتلافا مع النظام الذي يرغبون من خلاله ادارة السياسة السوفيتية •

ويظهر ان أأمن خلاصة يمكن ان تقدم هي ان المفهوم الاستراتيجي السوفيتي اليوم يمر بفترة انتقال من التبني الرسمي للتغيير الى ضغينة منتظرة ولكن من الناحية الفعلية القبول الكلي للحماية وربما لم يسر لحد الان المسافة الكافية ( على الاقل من حيث المفهوم ) نحو قاعدته الجديدة، اما انه سائر فهذا مالايقبل الشك • وبهذا التغيير فى الموقف السوفيتي فان العناصر الأساسية في مبدأ الاستراتيجية السوفيتية تمر بتعديلات مهمة • ان الامتحان الموجه للولايات المتحدة هو ما اذا كانت مصادرها الاستراتيجية مناسبة لمجابهة مثل هذه الوضعية المتغيرة ، ام لا •

# الفصل الرابع

## استراتيجية الاستجابة : الولايات المتحدة

# الفصل الرابع

## استراتيجية الاستجابة : الولايات المتحـدة

لقد وقفنا على التاكيدات الرئيسية فى سياسة الحرب الباردة الاميريكيين بهذا التركيب لم يكن دائما مقنعا كليا ومشجعا للشعب او كفاحها مع الاتحاد السوفيتي وفقا لمفهوم استراتيجي يقوم على الدفاع والاستجابة والحيادية ٠ ان الوضع والتكتيك انظري المفروض على الاميريكية فيما سبق من حديث ٠ لقد عملت الولايات المتحدة عبر تاريخ القادة٠ ولذا نجد ان هناك تعصبا قويا مناهضا لمجرد «رد فعل» للتحركات السوفيتية قد اصبح العنصر الثابت فى الحوار العام لسنين كثيرة٠ مع ذلك فان الولايات المتحدة واعية تماما من ان تعريفها للقضايا وللنظرية العامة لمواجهة الخطر السوفيتي تترك الكثير لما هو مرغوب فيه ، اضافة الى انها لم تحظ باية تعديلات مهمة فى تنسيقها الاستراتيجي الريئسي منذ ان وضعت فى الاربعينات ٠

ان حديثنا عن الاستراتيجية الاميريكية فى هذا الفصل سوف يركز على هذه النقطة الاخيرة ٠ لماذا عملت الولايات المتحدة على ايجاد بدع استراتيجية بهذه القلة ، خاصة فى ضوء طراز الثقافة القومية الذي يؤكد على الارتجال ، والمرونة والاندفاع اكثر منه النظام ، وطريقة ممارسة الطقوس الدينية ؟ كم كان الاستراتيجيون الاميريكيون متحمسين الى التغييرات الجوهرية فى الوسط الواقعي ، والى اي مدى كانوا مضطرين فى تقريرهم بعدم ترك اي تحدي سوفيتي من دون اجابة ؟ والى اي هدف، في التحليل الاخير ، قد وجه الاميريكيون استراتيجيتهم ؟ ماهو الارتباط العملي الذي نستطيع ان نكتشفه بين الصورة التصويرية الاستراتيجية في

بدايتها وبين القرارات التكتيكية بين يوم وآخر الذي تعبر من خلاله الاستراتيجية عن نفسها ؟

ان الكثير من هذه الاسئلة واشباهها لها اجوبة مقنعة • ان جزءاً كبيرا من الاساليب ، الذي يسير وفقه الاميريكيون لاتخاذ قراراتهم الاستراتيجية ، لايتسم باية سمة خصوصية في صعيديه الادراكي والتطبيقي ، وعلى اية حال فان مثل هذه الاحكام المتفائلة تبدو غير ممكنة بالنسبة لعدد من النقاط الحساسة• ففي بعض الجوانب المهمة هناك فجوة كبيرة قائمة في الاستراتيجية الاميريكية ، وان بعض مايثير الانزعاج الشديد الذي ساد الامة حديثا ينطلق من هذا المنفذ فى الدفاعات الفكرية التي تعتمدها الامة ضد عالم خشن •

**نظرة الولايات المتحدة الى العالم :**

كما ان للسوفيت نظرتهم العالمية الثورية فان للاميريكيين نظرتهم الثورية بطريقتهم الخاصة بهم ، والتي هي نتيجة التحام خاص بين تقاليد قوية وظروف الصدفة التاريخية • ان اهم مايمكن تعريفة من محتويات في المعتقدات الاساسية بشأن السياسة الدولية التي يستقر عليها مفهوم الاستراتيجية الاميريكية هي ثلاثة : الاولى ، النظرية الاميريكية التاريخية في العلاقات الدولية ، الثانية ، الشعور الجديد بالاهمية القومية وبالرسالة التي تكونت مع النصر فى الحرب العالمية الثانية ودور القيادة التي اجبرت الامة على التحرك في نهايتها ، الثالثة ( مايفكر به من قبل التمني كبعد فى التوسع المستمر ) ، درجة اكبر من الواقعية والنظرة الصافية فى تفهم طبيعة النظام العالمي فى القرن العشرين • ان كلا من هذه له دوره فى مفهوم اطار الاستراتيجية الاميريكية •

ان الثقافة الاميريكية تصور العلاقات الدولية بانها تحدث داخل نظام كوني يخضع في سيره لكل من المنطق والاخلاق • وان الاشخاص الذين يشرفون على الحكومات هم انفسهم عقليون واخلاقيون • ثم ان الهدف من العلاقات الدولية هو رفع مستوى المنافع العامة للمخلوقات

البشرية التي يمكن ان تتحقق عن طريق عمل مشترك تقوم به جميع الدول التي من شأنها ان تعمل على حل « المشكلات » كلما ظهرت • اما السلام فانه حالة تقوم تتجية حل الخلافات بالاساليب المحمودة وفقا لجدول ثابت من الاتفاقات الرسمية ( تقصد بها القانونية ) المطبقة على القضايا الخاصة ، وهذه هي الحالة الطبيعية للعالم • اما الحرب فانها امر غير طبيعي ، وانها تحصل تتجية لمظاهر خارجية لايمكن التنبؤ بها بالنسبة للافراد والجماعات التي تصر على السير فى طريق غير اخلاقي وغير شرعي• وكنظام غير طبيعي ، فان الحرب تكون خارج العلاقات الدولية المألوفة • ان مسؤولية الدولة التي تتورط فى حرب هي انهاؤها بالسرعة الممكنة ، ومعاقبة « المسؤولين » عنها والرجوع الى الاحوال الطبيعية بأقل مايمكن من خسارة فى الوقت •

وهذا مع انه لم يوضع بصورة مكشوفة كما نلخصه هنا ، فانه يمثل الصورة المرموقة التي دفعت بالعمل الاميريكي لقرن ونصف من الزمان • ان هذه الصورة المثالية المرسومة فى الذهن ــ مكبرة طبعا ، لدى المؤسسات في السلوك الايجابي التعاوني هو الاسلوب الـذي يعاقب فيه صانعوا الشر ــ وهو الذي حارب الولسونيون من اجله بكل حرارة لوقت طويل • وهذه الصورة لاتزال تؤثر على المفهوم وجو العمل الذي عن طريقه تقرر السياسة الاميريكية بشكل ما كمفتاح معترف به لمحتوى الصورة المتخيلة التي يصور بها الاميريكيون انفسهم • واية توضيحات اكثر او اية سفسطة استراتيجية تأويلية يجب ان تبنى على هذه المبادىء اذا ما اراد المدافعون عنها ان يحظوا بالقبول والتأييد العام •

اما العنصر الثاني في النظرة الاميريكية العالمية فهو المغزى الجديد للاهمية التاريخية الذي فرض على جيل مابعد الحرب ان يقبلوا بشروطه فالى الفترة التي تخللت الحرب العالمية الثانية ، كـان الاميريكيون قد نظروا الى انفسهم ، بقدر ماسمح لهم تاريخهم وقانون تقاليدهم ، بانهم مراقبون غير مشاركين فعليا فى مسيرة السياسة الدولية ، يتعاملون مع نظام هو فاسد ويقوم على السلاح وانهم لامفر لهم من الوقوع بين

فترات طويلة ومنفصلة بمصيدته والاحتكاك المباشر به • اما رسالة الامة العالمية الاعتيادية فهي العمل كنموذج اخلاقي • وعندما تتآمر الاحداث لتجر الولايات المتحدة الى عمق المعركة ، فان الهدف القومي يصبح العمل من اجل ارجاع الامور الى وضعها الصحيح، والى تمكين الاخرين من تغيير النظام القائم وايجاد نظام هو اكثر اعتمادا ، ثم الرجوع من بعد كل ذلك بكل كياسة الى وضع اقل التزاما ولكنه اكثر شموخا ــ وقريب تماما ــ من مراقبة شذوذ السياسة الدولية • وكل هذه الفلسفة الانيقة القائمة على مقولة « التقرب منها او تركها وشأنها » قد كنستها احداث الحرب العالمية الثانية ، ومولد العصر النووي ، وظهور الحرب الباردة •

فأميريكا التي كانت في يوم ما اكثر الامم ترددا الى الاقتراب من الافعوان ، اذا بها تتحرك خلال اشهر عديدة بين منتصف عام ١٩٤٧ واوائل عام ١٩٤٩ الى قبول كامل لدور مسرحي • لقد اكتشفت اميريكا بطريقة ملتوية من خلال العيش وفق نظرة تاريخية غير ممكنة التحقيق • فالعبارة « مسؤولية القيادة العالمية » التي سقطت غالبا من شفاه الاميريكيين كانت تزداد مذاقا في كل مرة • اما اليوم فان الامــيريكيين يتمتعون بمركزهم الحيوي الذي يشبه من يحكم فى مصير الانسان ، على الرغم من انهم يفضحون حقيقتهم الى « الايام القديمة » السعيدة فى عدم مسؤوليتها • ونفس هذه الفكرة تماما التي تجعل بعض اجزاء المعمورة تنظر الى الدور الرئيسي الذي تضطلع به الولايات المتحدة ، فغرب اوربا مثلا ــ التي تتمنى ان ترمي الاشراف الاميريكي جانبا وتنطلق وفقا لمشيئتها ، تسبب اليوم رجفة قوية فى الاوســاط السياســية والاستراتيجية الاميريكية • اما الشعب فانه مقتنع ان الولايات المتحدة مستلعب بالنهاية الدور الاكبر الفريد فى رسم الشكل النهائي للعالم •

واخيرا نأتي الى الواقعية المتدرجة النمو فى التفكير الاميريكي بشان الشؤون العالمية • ان ما اسميناه « بالنظرية الاميريكية » للعلاقات الدولية كانت قــد تمثلت حتى الحرب العالمية الثانية بصورة متخيلة

حالمة اكثر منها وصفا جديا للطريقة التي تدار بها اعتيادياً السياسة الدولية ، انها وهم قدر له ان يعيش مقاوما فى الاغلب كل هزات القرن العشرين حتى عام ١٩٣٩ • لقد كانت تجارب الحرب العالمية الثانية القاسية ، على كل حال ، مفتاحا لتفتح الاعين والتي زادت منها تجربة عقدين من الحرب الباردة • لقد استلمت الولايات المتحدة على الاقل المواضيع المهمة المتقدمة فى السياسة الدولية فى السنين التي بدأت بعام ١٩٤١ ، كنماذج عالية لما يدعوها المعلمون بـ « التعليم المستمر » •

ولنعد الان الى الحديث باختصار عن العناصر الاساسية في الواقعية الجديدة بالقول اولا ، ان الولايات المتحدة هي اقل ميلا فى الستينات مما كانت عليه فى الاربعينات، فيسبيل البحث عن حلول قاطعة للمشكلات او حتى التي تصنف القضايا فى تصنيف مبسط • ثانياً ، ان الولايات المتحدة تقدر انعدام العلاقة ( او على الاقل التطابق ) بين الخلق الشخصي وسلوك الدول • ثالثاً ، هناك تحمس اقل بكثير لتانبل مهمة الاضطلاع بدور تخفيف الازمات فى السياسة الاميريكية ، وحب متقابل اكثر للأبعاد المهمة للعمل الايجابي والثابت واخيرا فان المفهوم المضلل تماماً للبشرية قد استبدل الى درجة كبيرة بالتركيز الشديد وبالفكرة المدروسة الواضحة للمصلحة الاميريكية كمقياس مسيطر على الهدف •

واذا ماوضعنا سوية هذه العناصر غير المتناسقة والمتداخلة لينتج عنها صورة عالمية واضحة للتطبيق من قبل الاستراتيجيين الاميريكيين ، نجد ان الولايات المتحدة تدرك الان على ان النظام الدولي هو نظام غير ثابت ولكنه يمكن العمل من اجل ثباته ، وكنظام غير منظم ولكن يمكن اعطاءه القدرة فى التنظيم، وكنظام لما هو يقرب من الحرب، ولكنه يمكن ان يركب على قواعد مستمرة للسلام • وهكذا فان صورة العالم المتخيلة التي اختارتها الولايات المتحدة تضم بين طياتها صورتها الداخلية لما يجب عمله : ان الولايات المتحدة ازاء ما تجابهه من مشكلة بالذات ، تجد نفسها مضطرة للبحث عن حل •

ان الاهداف المسيطرة على الاستراتيجية الاميريكية بكلمة واحدة ، تتمثل باقامة عالم يسوده النظام والسلام والاستقرار ــ وهي ترجمة علمية للاسطورة القومية السائدة • ومع ان نظرة الناس الى الموضوع تنطلق الى درجة كبيرة من ربح ايديولوجي يقوم على الفكرة التي تقول ان انجاز الولايات المتحدة للاهداف كما عرفت هنا سوف تعود بالنفع على سلامة البشرية باسرها ، وان الدوافع الحقيقية التي تكمن وراء مثل هذا المبدأ يستطيع رؤيتها اكثر الاستراتيجيين الاميريكيين واقعية • ان عالما كهذا سوف يكون عالما قد خففت فيه مجازفات الامن الاميريكي الى نقطة التلاشي تقريبا • حيث يحظي الاقتصاد الاميريكي الاهتمام من اجل المركز المرموق كل رضاء ، والذي تكون فيه التزكية النهائية فى المبادىء الاميريكية حول الفرد والمجتمع كاملة •

**مشكلة الاستراتيجية الاميريكية**

حينما اقنع السلوك السوفيتي فى عامي ١٩٤٥ و ١٩٤٦ صانعي السياسة الامريكية بانهم لايواجهون مناورة من قبل حليف متشوق للحصول على زيادة معقولة فى حصته من الغنيمة وانما يواجهون سياسة فى التوسع تقوم على الدراسة العميقة والامد الطويل ، رأوا بناء على ذلك ان نظرتهم العالمية التي اشرنا اليها تقــدم لهــم تفكيرا يمكن الاستناد عليه في تقدير الاوضاع وتقدير الاستجابات بشأنها • ومن هنا بدأ الاميريكيون ازاء كل تحدي يقوم به الاتحاد السوفيتي ضد اميريكا ، باعطاء التفسير والخصائص الخاصة بمحتواه من اجل اخضاعه لمبدأ استراتيجي دقيق وعام • خارج هذا التحليل المبدئي لم تخرج الولايات المتحدة مطلقا •

ومــن خلال وصفها لقواعد مختصرة علــى مستوى الاحكام الاستراتيجية البعيدة المدى ، فقد اعتقدت الولايات المتحدة ان التحدي السوفيتي يشكل عقبة تمنع اقامة العالم الذي الزمت به الولايات المتحدة نفسها بتحقيقه • وهذا التقرير ، على الرغم من تفاهة نغمته الزائدة ، فانه مع ذلك يضم المدلولات الاكثر حذقا التي اثبتت جدارتها فى جوانب

مهمة عديدة • ففي المفهوم الاستراتيجي الحقيقي فان الاتحاد السوفيتي يشكل فى الواقع « عقبة » وشيئاً لابد ازاحته من الطريق — اكثر منه عدواً لابد من القضاء عليه ، فالعداء السوفيتي اذن وليد الظروف وانه نتيجة قرارات مقصودة ( وبناء على ذلك يمكن تغييرها ) اتخذت من قبل اشخاص • ان هدف العمل الاميريكي ، الذي صنعته نفس شروط صيغته المبدئية ، كان دوما وراء تعديل طراز السلوك السوفيتي اكثر منه تدمير الدولة السوفيتية وشعوبها •

ان الطراز الاستراتيجي الاميريكي ، بعبارةأخرى ، في أدق مفهوم له هو طراز كلاسيكي أكثر منه طراز ثوري • لقد كان دوما يقر ضمنا بالتداخل الاستراتيجي للقوة الكبرى، بحيث انكل طرففيالخلاف يسعى في الحقيقة من اجل الحصول على الموافقة ( اما بالاختيار او بالاكراه ) لمخططاته من قبل عدوه • ان الحرب الباردة ، كما سننظر اليها فى ظل هذه الصيغ لها مضامين نهائية مرعية • انها فى الحقيقة كحـل نهائي لموضوع « اما نحـن او هم » حل يشكل سرقة من قائمة العقلانية والتوجيه •

ان الولايات المتحدة بناء على ماتقدم قد قبلت بالنسبة لمشكلتها الرئيسية ، ضرورة تغيير السلوك السوفيتي فى التوسع وفي جو من التوتر وعدم الاستقرار الى حد ادنى من التعاون على الاقل فى جو من السلام النسبي والنظام• ولم تكن ادارة ترومان على اية حال، ليمضيعليها طويل وقت فى ارساء رسالتها حتى اكتشفت بالتطبيق من أن المهمة هي في حقيقتها مهمة متشعبة • لقد كان على الاتحاد السوفيتي ان يقتنع، بمعزل عن اي موضوع يسير فيه ، بان اي اعتماد على تكتيك العدوان والثورة سوف يؤدي الى العناد وسرعة رد الفعل والاحباط الممكن من قبل الولايات المتحدة • لقد كان على التوسع السوفيتي ان يتوقف قبل ان ينجز أي شيء آخر • وبعد تفكير جدي للكرملين للمرة الثانية فقط بشأن تأثيرالضغط المباشر والهجوم في انجاز غاياته وبالتاليلتقدير اساليب

بديله ، كان الوقت ناضجا فى ان تعمل المرحلة الثانيه من الاستراتيجية الاميريكية عملها • وبناء على تعليل مفهوم السياسة الاميريكية الذي يرى الاتحاد السوفيتي كعقبة وليس كعدو ، فان هدف المرحلة الثانيه ( كما هو الحال مع الاولى ايضا ) كان الزام موسكو بقبول نظام عالمي شامل • وعند هذه النقطة من الحرب الباردة كان المفروض من الولايات المتحدة ان تقبل بمبادرة تكتيكية لترى الاتحاد السوفيتي بطرق مختلفة كيف ان تطبيقاتها هي صحيحة فى الحدود العملية لا الايديولوجية وكم هي قطعية اذا ماضبطت فى سلوكها فقط •

لقد شهد العقدان الاولان من الحرب الباردة في «ايقاف الشيوعية»، الوجه الاول من الاستراتيجية الاميريكية ، وقد طبق كاملا بكل الوسائل الممكنة ، بما فيها الخصومة الواسعة المدى فى كوريا • وبدا ضمنيا في المرحلة الثانيه الرأي ، على كل حال ، بان بعض الاشارات المعترف بها سوف يكون فيها الاتحاد السوفيتي مستعدا للاخذ باساليب جديدة • وبازدياد الدقة والتصلب فى الاستجابة الاميريكية ، مابين اواخر الاربعينات واوائل الخمسينات ، بدت الولايات المتحدة ، على كل حال ، تؤكد اقل فاقل على الاهداف الموضوعية الضرورية لاية مرحلة ثانية اطلاقا ، مناقشة ذلك على اساس ان اية اتفاقية من اي نوع هي غير محتملة مع الاتحاد السوفيتي ، متجاهلة بذلك اي اهتمام لمراقبة تلك الاشارة •

وبالرغم من كل الكفاح الذي احاط بدعم البناء الايديولوجي للحرب الباردة ، فان قليلا من مناصريه قد قدروا التناقض المنطقي الذي وضعوا انفسهم فيه• لقد وجد ان المفهوم الاستراتيجي الاميريكي فى الحرب الباردة باسره كان قد قام على فكرة الاستجابة ، ولكن الاستجابة كبؤرة للانطلاق تكون ذات قيمة فقط اذا ماقبلت بانها نوع من الاستعداد ليوم سيأتي عندما تتعامل مع الاتحاد السوفيتي على اساس اكراهي وهو الذي يعتمد على قاعدة الاخذ والعطاء • وبذلك فان « النصر »

بالنسبة للولايات المتحدة فى ضوء هذه الظروف سوف لايعني بالضرورة « الهزيمة » للاتحاد السوفيتي. ان نظرية الحرب الباردة الكليه التي تهدف الى تدمير الشيوعية كمبدأ وكنظام اجتماعي وازالة الاتحاد السوفيتي كدولة وطنية من الجهة الاخرى ، لامكان لها في اي مفهوم استراتيجي ماعدا انها هجوم مستمر من قبل الولايات المتحدة وتصعيد مقصود للخلاف الى المستويات المحتملة .

ولفهم الاسباب الجوهريه الدخلية للبناء المشترك فى علاقات لم الشعث ، فان الخط الرسمي للولايات المتحدة بين عام ١٩٤٦ وعام ١٩٥٠ كان قد اكد على التضارب في عناصر السياسة الاميريكية واختار عدم اثارة صلة ماذا سيعقب المرحلة الحادة من الحرب الباردة . لقد ظهر التأكيد على « النصر » ولكن لم يصل احد قط الى تعريفه ، وكان الانطباع القانوني الشائع هو ان الحرب الباردة سوف ينتهي التصعيد بها فى يوم ما الى ازمة كبيرة ( ربما حرب ، ربما ازمة نفسية ) ستنجني من ورائها الولايات المتحدة جائزة القناعة الكاملة . لقد بقى امام الرئيس ايزنهاور فى رئاسته الثانية لاتخاذ قرار من شأنه ان يقدر ان هذا الطريق يؤدي الى معركة فاصلة او السقوط ، وأن الوجه الثاني من الاستراتيجية الاميريكية الذي نحتاجه يجب ان يؤخذ بجد كخطوة اخيرة . ولقد كان نصيب عهد كندي القصير المأساوي بالتحرك المتردد الاول لتنفيذ ذلك المخطط. ان « الاستجابة » فى المرحلة الاستراتيجية الاميريكية الثانية لم تعد اساسا مفيداً للعمل . وذلك ان نهاية المقامرة السوفيتية ستكون ( او اذا مافسر التاريخ الحديث بتفاؤل فانه سيكون ) نجاحا استراتيجيا ذا معنى كبيرا بالنسبة للولايات المتحدة ، ولكنه يظل على صعيد المستوى المتوسط . اما على الصعيد الثاني والمستوى الاعلى للاستراتيجية الاميريكية فان المبادرات التكتيكية يجب ان تكون حجر الزاوية فى سياسة الولايات المتحدة .

وانه لامر هام ، مثلا ، ان التغيير الملحوظ فى نغمة وفحوى العلاقات السوفيتية ــ الامريكية ، فى عامي ١٩٦٣ ، ١٩٦٤ ، كان نتيجة مباشرة

بقبول السوفيت للمقترحات الاميريكية • ان معاهدة حظر الاسلحة النووية في عام ١٩٦٣ ، ومقترح الرئيس كندي الثوري الذي عرض في الامم المتحدة لعمل سوفيتي ـ اميريكي مشترك بشأن استكشاف القمر ، كانا يمثلان ، كل بطريقته الخاصة ، مثلا يقتدي به للموقف الذي اتخذته الولايات المتحدة • ولطالما كانت الولايات المتحدة لاتسعى حقا من اجل جني اي اتفاق صعب من موسكو ، فان المواضيع التي نوقشت ليست بذات بال • ومتى ماكانت المبادرة السوفيتية في النهاية قد صدت على اعقابها ، عندها تكون الاستراتيجية قد حققت اغراضها على اتم وجه • ولكن فى حالة وجوب استخدام المرحلة الثانيه بصورة فعليه ، عندها تصبح من مهمة الولايات المتحدة ان يكون لها جدول اعمال واسع للتحدث فى مواضيع حيوية عديدة ، وكلما كان مدى فقرات الجدول الموضوع من قبل حكومة الولايات المتحدة اوسع ، كلما كان الامل فى ان الشكل الاخير لاي اتفاق منسجما مع المصالح الاميريكية •

وعلى كل حال ، فان جميع مادار من بحث عن المرحلة الثانية ، لايمكن ان تكون ذات فائدة دقيقة وانما هي تخمينية • فاغلب الاميريكيين، سواء أكانوا داخل او خارج الحكم ، لم يؤيدوا بعد هذه المرحلة • ومن الناحية الفعلية فان الولايات المتحدة لاتزال تلتزم بمحاربة الحرب الباردة كخطوة استراتيجية هامة ، من اجل الحصول على مفهوم مترابط للفرضية القائلة بان اهداف الاتحاد السوفيتي واميريكا قائمة على المنع المتبادل ، ولانها لابد وان تحقق في يوم من الايام النصر الكلي • وربما يلاحظ الناقد المتفحص ان فى الطراز الاميريكي الاستراتيجي عدم تعادل بين الكل ومجموع الاجزاء ، او على الاقل ان احد الاجزاء ينظر اليه بانه مساو للكل ، وكما سنرى فيما بعد انه كانت ولا تزال هناك اسباب سياسية وعامة وتكتيكية بالنسبة للاميريكيين للالتحام بالوجه الاول ، وان ايا منهما لايمكن تجاهل وجوده ، كما ان بعضها له مفهوم يقوم على اسس عملية متينة •

**الممكن امام المحتمل في سياسة الولايات المتحدة**

عند تحليلنا للافتراضات العملية التي تحكم الادارة الاميريكيةللحرب الباردة مميزة عن المفاهيم المحضة ، سوف تتحدث بصورة اساسية النواتر مابين وجهتي نظر استراتيجية النزاع بين ماهو فى حكم الممكن وبين ماهو فى حكم المحتمل • ان احدى المدارس الفكرية المؤثرة فى الولايات المتحدة تلح على ان الاسبقية الاولى يجب ان تمنح الى المصروفات الطارئة التي اصبحت ممكنه ، بفعل طبيعة الوسط العملي ، اما المدارس الاخرى فانها تناقش بدلا عن ذلك ، فى ان الانتباه الاول يجب ان يعطى الى الاحتمال النسبي للنتائج المختلفة • وهذه بالطبع ، هي طريقة اخرى لوضع النزاع العسكري القديم بين هؤلاء الذين يلحون على استراتيجية تقوم على قدرة العدو وبين اولئك الذين يصرون على تشخيص نواياه •وهذه الازمة ،هي معروفة منذ وقت طويل عند قائد ساحة المعركة في تقديره مجالات الذكاء بأنها غير سهلة الوصول عندما تطبق على استراتيجية قومية •

لقد وجدنا بالفعل كيف ان الولايات المتحدة فى الحرب الباردة قد قبلت ، على الاقل اديبا ، المبدأ القائل بان نوايا السوفيت هي نوايا مغطاة بنسبة من الاسرار الغامضة ومشوهة بنسبة من الايديولوجية بحيث ان كليهما غير قابلين للاكتشاف وانه لافائدة من تحليلها بالنسبة للولايات المتحدة• ان الطريق «الأمين» الذي لخصه لنا الاستراتيجيون في اواخر الاربعينات كان يقوم على الاعتقاد ان النوايا السوفيتية مرتبطة بمكائد القدرات السوفيتية • وتأييدا لهذه الخلاصة ، قدمت مقتطفات لاتعد ولا تحصى من مصادر سوفيتية ايديولوجية رسمية ، والتي اتفقت جميعا على ضرورة عدم التردد في الالتزام باهداف ثابتة ، مقرونة بتكتيك مرن تام • ذلك ان ا يفرد ناقش بان النوايا السوفيتية تختلف تمام الاختلاف عن التطبيق ، كان حاله الصمت عند تذكيره بعبارة « انك لاتفهم الشيوعيين » •

ان المانع فى اية محاولة جدية تسعى من اجل اكتشاف وايجاد قواعد الاستجابة الاميريكية ازاء النوايا السوفيتية يصل بالاستراتيجية

الاميريكية الى وضع الامور المحتملة • لقد اكدت السياسة الاميريكية فى الحرب الباردة مابين ١٩٤٦ و ١٩٦٣ على تطوير الامانيات الاميريكية لمجابهة اسواء ابعاد السلوك السوفيتي المحتمل ، بمعزل عن العوامل المحتملة التي يمكن ان تكتشف فى القضايا الانية • فمنذ البدايات الاولى الحرب الباردة مابين ١٩٤٦ و ١٩٦٣ على تطوير الامكانيات الاميريكية النووية ، اصبحت اعلى الاسبقيات في السياسة الاميريكية تستأنس بفكرة تطوير وادامة تلك القوة النووية • فاي استخدام للسلاح النووي من نوع بيرل هاربر سوف يكون دون شك اسوء مايتصور من كارثة تحل بالولايات المتحدة ، ولذلك فان الاميريكيين كانوا ومايزالون عازمين على منع حدوثها •

وهكذا فان الولايات المتحدة قد وجدت نفسها مستثمرة امكانياتها الفعلية والسياسية والعسكرية الضخمة فى الحرب الباردة فى هدف منع الاتحاد السوفيتي من الاقدام على حرب نووية كلية ساخنة • ومن خلال دراسة العمق والسطح ، في وجه التحولات التي تجري في بقاع واسعة من خريطة العالم ، و فيثورة ماقد يقوم من توقعات ، وفى ظل ماتزداد عليه الامم المتحدة من نضج ، ومايجري من تفجيرات تكنولوجية فى الفضاء ، وكل التطورات المذهلة الاخرى التي غيرت الاحوال فى مسرح السياسة الدولية منذ عام ١٩٤٥ ، فان الولايات المتحدة قد وصلت الى الاعتقاد استراتيجيا من ان الهدف المسيطر والمنسق للسياسة الاميريكية هو الردع العسكري للاتحاد السوفيتي •

وعلى الصعيد الامكاني ( او القدرة ) فان الخلاصة التي لاتقبل اي استثناء هي : ان موسكو تملك من دون شك القدرة لاحلال خطر عسكري كبير يهدد الولايات المتحدة • ولكن مايجب الاعتراف به ايضا هو ان عدم الانتباه بالاحتمال النسبي لهذا مقارنا مع النتائج الاخرى والحكم على الاستجابة الاميريكية للتحديات الاقل شدة والتي تكاد تكون تتعلق تماما بمتطلبات الردع العسكري يفرض عبئا ثقيلا ذا بعد ضيق ومناورة مخشية على الولايات المتحدة •

ان تعصب اصحاب نظرية الممكن فى الاستراتيجية الاميريكية قد اعطى بالضرورة تعريفا صارما « للاستجابة » • لقد وجدت الولايت المتحدة نفسها بعد عام ١٩٥٠ قد تحركت وامتدت الى بقاع كثيرة من العالم ، واقدمت على استخدام مبدأ « الانتقام الكبير » لاية طعنة سوفيتية • ولم يكن هناك اي شيء ادبي لقوات الردع الامريكيي لعمل اي شيء ماعدا الجلوس وانتظار تحريض سوفيتي • وفى نفس الوقت فان المبادرات السوفيتية ذات الشدة الاقل او التدبيرات التكتيكية الغامضة قد وجدت الولايات المتحدة نفسها فيها غير مستعدة من الناحيتين المادية والفعلية لاستجابة فعالة• فمبدأ «الاستجابة المرنة» الذي اقر فى عام ١٩٦١ ، كان لايزال يشكل نظرية عسكرية ( تتمثل بالقيام بما يقل عن القوة النووية لمجابهة طعنة متكافئة ) ولم يمتد الى مقياس المؤشر الكامل للحرب الباردة • ولذلك فان فلسفة الامكانيات كانت قد ظلت تسير فى طريقها سيرا حسنا فى السياسة الاميريكية خلال الستينات •

وهناك اعتبار آخر ينبثق من الاطار الفكري الذي ظهرت من خلاله نظرية التكتيك الاميريكي • ان التبرير للتدابير الاميريكية الخاصة باحتمال مايحدث قد اصبح هو المفهوم السائد المعبر عنه «بالتهديد» من قبل الاتحاد السوفيتي اكثر من اي هدف ايجابي اميريكي آخر • والنتيجة الصافية المتحصلة من هذا الحكم بالنسبة للمناوئين لهذا الرأي والداعين الى تحمل اميريكا مسؤولية اساسية فى عملها كان حرمان الولايات المتحدة من اي تفكير للمبادرة فى اي شيء على الاطلاق لمواجهة السوفيت • ان الهدف العملي فى كل مجابهة كان « الحياد » ( وفى الحالات النادرة ، «تصفية الحساب» ) ازاء التهديدات • اما مفهوم طريق الخلاص الذي يتبع هذه الحالة السعيدة فقد ترك ليبقى دونما الاستفادة منه • هذا وان الحيادية فى التطبيق ازاء اي تهديد خاص قد قدر له ان يسمح بالعودة الى انتظار حذر حتى يختار الاتحاد السوفيتي البدء ثانية فى مكان آخر •

وفى نهاية المطاف، فان الرجوع الى الامكانية فى التخطيط الاميريكي قد كبت التفكير الاستراتيجي الاميريكي بسبب ابتعاده عن الاسبقيات التقليدية التي تحكم عمل الدولة • ومن الناحية التاريخية ، فان الهدف السياسي للدولة هو التبرير الاساسي ــ الوحيد دون شك ــ للعمل ، اما التقديرات العسكرية التي هي تقديرات صلبة لاترحم، فانها تقاس ضد المبادىء السياسية التي تضمها الاستراتيجية • ولكن التقييم السياسي ماهو لا تمرين فى الاحتمال • وقد يقود التفكير العسكري الى الخلاصة التي تقول ان المتغيرات في وضعية تكتيكية هي محدودة فى عـددها ومداها وانها بناء على ذلك قطعية تحليليا ، الغرض منها ازهاق الامكانية فى قضية من القضايا • والقائد السياسي ، على كل حال ، لايستطيع ان يتسامح في مثل هذه الادعاءات المبسطة، انه يعلم ان مدى التقييم فى الاسبقيات هو بالتعريف لايتحدد وان أية افتراضات حتمية او مستحيلة هي بمثابة مجازفة •

ومتى ما اعتقدت الولايات المتحدة بان النوايا السوفيتية ليست بالامر الذي يجب تذكره ، فان العملية العسكرية لصنع السياسة يجب ان تكتشف من قاعدتها السياسية ووضعها فى اطار شبه عسكري • واذن فقد كان من المنطق تماما مناقشة الوجود والبحث عن افضل جواب للمشكلة الاستراتيجية التي تجابه الولايات المتحدة ، بسبب ان نظرية المنضدة الرملية تصر على ان هناك مثل هذا الجواب « الصحيح » لكل سؤال • ذلك ان القرار السياسي والاختيار الاستراتيجي ــ المجال الكلي لوضع الهدف ــ يعتقد بوجوده ، كعامل قائم في المشكلة ( كما هــو الحال عادة في حرب اللعبة ) اكثر منه تحليل لحركة تيار متنقل في نطاق خاص • وعلى ذلك فان النصر فى ضوء صورة مكبرة نسبيا للاستسلام في ساحة المعركة ، قد اصبحت الدافع المسيطر فى العمل الاميريكي ، وان النظام المتصور ،والمبدأ التكتيكي ، وحتى مصطلح الفكر العسكري قد اصبحت معا الحقيبة الفكرية للحرب الباردة فى الولايات المتحدة •

ان الفلسفة الاحتمالية التي تتضمن دراسة جدية للنوايا السوفيتية وقبول مقياس تكتيكي اوسع فى معالجة المشكلات لم ينل اليوم التذمر والقبول المحدد الا بعد كفاح مرير وطويل • اما اصحاب فلسفة الممكن، فقد تاهوا فى عالمهم الاصطناعي القائم على الافتراضات والحتميات • ذلك انهم ولفترة تزيد على العقد من السنين قد تمسكوا بالوعود التي سيكون ضمن عالمهم المتصور هناك مجازفة حرة وتحت ثمن قليل نسبيا حيث توجد الوصفة الاكيدة في النصر • بينما قبلت النظرية الاحتمالية • من الجهة الاخرى ، وثبت رأيها منذ البداية على كلية المجازفة وضرورة الاحصاء الدقيق لكل الشذوذ نسبيا •

وكان من الطبيعي تماما بطء رؤية وصفة الاحتماليين السياسية لكسب مناصرين لهم • ولم يكن امام شدة العقم وضيق مجال المناورة التصوري الممنوحة للولايات المتحدة فى ظل فلسفة الممكن ، الا وان يؤثر على الاوساط التي تصنع السياسة لترى كيف ان مناقشة الاحتماليين المتفائلة على الرغم من ضعف جانبها الميكانيكي ، قد اخذت تحظي بآذان صاغية من اوساط الحكومة والشعب على حد سواء •

**مضامين الاستجابة :**

من اعالي النظرية الاستراتيجية العالمية علينا الان ان ننزل خطوة واحدة الى اسفل لاختيار ماذا ضم وما يزال يضم التصور الاميريكي الواضح والمهم للاستجابة • ماهو التهديد الذي يربط مشاريع الولايات المتحدة غير المتكافئة فى استراتيجية كلية موحدة •

ان التحليل الاميريكي للاستجابة كان قد تكون منذ الايام الاولى للحرب الباردة واستمر كذلك دونما ان يحظى باي تعديل جوهري منذ ذلك الوقت • وهذا بالطبع يضم مايعرف « باحتواء » الاتحاد السوفيتي • وبارتباطه الجذري منذ البداية باول مرحلة يرتبط بها التوسع السوفيتي ، فان الاحتواء قد فرض على الولايات المتحدة مفهوما مبسطا ونظرية تكتيكية سهلة التطبيق • وعلى فرض ان الدافع السوفيتي هو

ثابت ومتكامل ، وان الاعمال السوفيتية تنطلق من هدف واحد ، وان الجهاز الميكانيكي السوفيتي لايقبل الخطأ ، فان الولايات المتحدة قد وضعت نفسها في موضع يحاصر استراتيجية ستالين الامبية فى مكانها • فحيثما سعى السوفيت الى ايجاد منفذ للخروج ، فان الولايات المتحدة ستقاومه مقاومة فعالة ، مستخدمة كل الوسائل المانعة التي تراها ضرورية لمنع الكرملين من جني ثمار عدوانه •

ان فلسفة الاحتواء، في اصولها ، التي دعت من خلال كلماتها المعلنة على الناس الى « استخدام بارع ومتيقظ لقوة مجابهة » فى « سلسلة دائمة الحركة فى فقراتها الجغرافية والسياسية » تقوم على المرونة الواضحة ، والتكييف والتغيير كاماني في السياسة الاميريكية • ولكن ما ان ثبتت نظرية الاحتواء ارجلها على كل حال حتى اخذت بسرعة سمة جديدة• ذلك ان الولايات المتحدة اخذت ترى نفسها وهي ترسم خطاً حول الاتحاد السوفيتي ، قائلة لموسكو ، « الى هنا ولا ابعد من ذلك » •لقد تحول مفهوم استخدام القوة المناوئة البارعة والحذرة الى بديل يتمثل بحاجز متين جدا •

ولكن مع ان خفة الحركة ( وسرعة النباهة ) التي احتوتها الفرضية الاصلية كانت بالنتيجة قد محيت ، فان شيئا اكثر ضرورة وآنية قد ربح بمكانها والذي تمثل بمنهاج عمل منطقي متماسك •

لقد مرت المراحل الاولى فى الحرب الباردة من دون اي احتكاك مباشر بين المتخاصمين • الا انه بعد التعامل الودي الذي لم يؤد الى نتيجة مع موسكو في عامي ١٩٤٥ و١٩٤٦ ، وجدت الولايات المتحدة نفسها مقتنعة بضرورة ادارة ظهرها للكرملين والقيام بتنظيم معسكر خاص بها لكفاح طويل الامد بناء على ماقد كشفته الاحداث لها بوضوح • ولقد كان استخدام الاحتواء فى اول حادثة قد وجه اساسيا نحو العلاقات مابين الولايات المتحدة والعالم غير الشيوعي • وما ان اكملت الولايات المتحدة الخطوات الابتدائية حتى شعرت واشنطن انها تستطيع مواجهة السوفيت وجها لوجه بحد مناسب من التفوق •

والاحتواء كنظرية للاستجابه تطلب من الولايات المتحدة ان تحدد الحدود الكبيرة التي كونت خط عام ١٩٤٧ الفاصل بين الشيوعية والحرية ، من النقطة الشمالية للنروج نزلا الى اسفل نحو اوربا ، فالبلقان ، فالرابط الشمالي للشرق الاوسط ، ثم المرور بجنوب وجنوب شرقي آسيا الى الوجه المحيط بشرق آسيا • لقد كان على الولايات المتحدة ، كقوة محيطة ، ان تجابه منطقة القلب السوفيتية بالمفهوم المشهدي الكلاسيكي للجيوپولتكس : وهكذا بدأت المبارزة الكبيرة •

ولكي تجعل من الاحتواء شيئا فعالا فقد احتاجت الولايات المتحدة الى الاقدام على خطوات معينة في معسكرها غير الشيوعي المشوب جوه بالتردد • اولا ، مد القوة السياسية والعسكرية الى مناطق ملاصقة مباشرة للمعسكر السوفيتي تخدم كمذكر مرئي بان يوم الاحتلال الروسي السهل قد ولى وانقضى • ثانيا ، هذه المناطق الخطرة يجب ان تصبح مستقرة اقتصاديا وسياسيا وان تكون بحالة صحية بحيث تستطيع ان تصد خطر التحركات الشيوعية الهدامة • ثالثا ، ان من الضروري اقامة اتفاقات عسكرية وسياسية بين الولايات المتحدة وبين اولئك الذين تستطيع ان تربحهم كحلفاء لها لاغراض التنسيق فى العمل • والغاية القصوى من هذه المحاولة هي تنظيم المناطق التي تحولت بسرعة الى مناطق عرفت بأسم المناطق الحرة • وخلق قوة مسيطرة بحيث تستطيع أن ترغم موسكو من التوقف من اجل السيطرة على العالم عن طريق الثورة•

وهكذا فان سياسة الاحتواء الاميركية كانت بالاصل لها جانبان رئيسان : الاول : وهو بناء شبكة من تحالفات اقليمية امينة استطاعت بالاخير ان تربط الولايات المتحدة مع اربع واربعين دولة فى اوربا اميريكا اللاتينية وآسيا والاوقيانوس • ثانيا ، الدخول في منهاج اقتصادي وفني وانمائي محتم ودائم لمساعدة الاقطار الصديقة • ولكننا لانحتاج هنا ان نبحث في اي من وجهي سياسة الاحتواء ، لان المنشورات فى هذه المواضيع هي كثيرة بالفعل وانها تزداد فى كل يوم وفى الاغلب كل ساعة • ان اهتمامنا الرئيسي عند هذه النقطة يتصل بدرجة اكبر

مع النظرية التكنيكية للاستجابة الاميريكية كمثل على فكرة الاحتواء ، وهنا يدعم المستويان فى العمل الاميريكي كل الاخر ، وكما اقترح من قبل ، فان الاحتواء فى التطبيق قد عنى بسياسة تقوية الخطوط الامامية المتأهبة للهجوم • ولكن حينما اختار السوفيت عدم الهجوم ، فـان النظرية بكليتها وتطبيقها قد اصبحت الى درجة كبيرة وصفة لهدر الطاقة والمصادر الطبيعية والبشرية والمادية •

وانه لحقيقة ان وزير الخارجية دين اتشيسون كان قد قام بمحاولة مبدئية فى بداية الستينات لنقل الاضواء من الوسط الميت بالانطلاق من منافسة الرأي المؤكد على « اوضاع القوة » : المجابهـة المحلية حيث تكون ارجحية القوة التي تقودها اميريكا فىالمكان المعين متفوقة كل التفوق على القوات الشيوعية بحيث تجعل موسكو تتوقف ومن ثم تترنح فتتراجع • وهكذا فقد شرع الهجوم السايكولوجي المتقابل كمحتوى للاستجابة • ولكن اوضاع القوة ، التي هي من السـهل تعريفها بالصورة المجردة ، قد اثبتت انها صعبة التطبيق فى العالم الواقعي ، على الاقل بدرجة من الدقة هي كافية للتدليل على اية مجازفة اختبارية فى الدفاع السوفيتي • ذلك ان الهجوم المقابل ( الذي دعاه جون فوستر دالاس « بالتحرير » ) لم يظهر مطلقا من استعارة نفي النفي للارض التي يمكن ان تكون منطقة عمل بديلة •

فالاحتواء بناء على ذلك قد تطلب دفاعا سلبيا ومنتظرا ، طالما كان وراءه كل الاميريكيين اليائسين ونافذي الصبر الذين ظلوا يلحون بغضب على «العمل» لسنين عديدة• ولكننا لانستطيع ان ننسى ان ذلك هو مانقصده بالواقع• ان جوهر ماسميناه بالوجه الاول من الاستراتيجية الاميريكية فى الحرب الباردة كان لافشال الهجوم السوفيتي من دون ان تحقق اميريكا نصرا نهائيا• لقد كان امراً جوهريا بالنسبة للخطة ان تقدر ان الحرب الباردة بخروجها اخيرا من ظروف التهديد والتهديد المتقابل البارد جدا، كان على موسكو وواشنطن ان تكونا فى وضعية متعادلة اساسا ، على الرغم من عدم اتفاق الاميريكيين على ماهو المقصود بالتعادل الحقيقي•

إن تصوير الاحتواء بانه « رد فعل » خالص ــ وهذا امر آخر اصبح موضع تشكي عام ــ كان من ناحية ما ، قد تحقق اخيرا • لقد كان مقررا على موسكو التراجع بمعزل عن محاولاتها طالما انها اختارت ان تعمل بطرق مخالفة لوجهة النظر الاميريكية فى المصالح القومية •

ولم يكن هناك ، بعبارة اخرى ، اي شيء جدي خارج السيطرة بالصورة التي طبق فيها الاحتواء ، طالما كان قد حفظ في الذهن بان القول « لا » الى الكرملين كان فقط خطوة تمهيدية للقول « نعم » ولكن فى وقت تال • ولسوء الحظ فان هذا التمييز الدقيق قد صرف النظر عنه مبكرا فى حرارة المعركة ، وان مجال استخدام المبدأ قد توسع كثيرا بحيث اخذ لسنين كثيرة المعنى المرادف لكل مايتعلق بمحاولات الحرب الباردة الاميريكية • وعند هذه النقطة فان الانتقال السهل الى الوجه الثاني قد صور بكل ثقة فى عام ١٩٤٧ بحيث اصبح ليس انه مستحيلا من الناحية العملية وانما نظر اليه فعليا كموضوع يسخر منه •

ومع هذا فاننا حينما نذم الاطار الصلب الذي من خلاله فرض الاحتواء رد الفعل الاميريكي على المبادرات السوفيتية فاننا لانستطيع الاوان تقدر الكثير من محاسنه والفنون التي طورتها الولايات المتحدة من اجل تقوية امكانياته • ان تقديراته التكتيكية الرئيسية التي تقوم على الردع قد خلقت وضعا عسكريا كافي الصدود بحيث ان اي عدو منتظر لايجرؤ على القيام بالهجوم • ومثل هذه الحالة لم تتطلب ، بالطبع ، من ان تكون القوة الاميريكية دائما اكبر من القدرة السوفيتية فى نقطة الاحتكاك او التعادل او حتى النقص المحاط بغموض كاف يمكن ان يكون هو المطلوب • ولقد كان طبيعي تماما ان واضعي التكتيك الاميريكي ان لا يسمحوا لانفسهم مطلقا بقبول ذلك وانهم اصروا دائما على ان حدا ادنى واضحا من السيطرة فقط يمكن ان يكون كافيا للتغلب على السوفيت حتى تحقيق الحد الادنى الضروري فى العمل الرادع •

ان نظام الردع الاميريكي الاساسي كان وما يزال السلاح النووي • وقبل ان تطور موسكو من قدرة قذائفها ، فغد سارت المناقشة التي

ترى ان السلاح النووي الاميريكي سيحرم موسكو من اية فائـدة تجنيها باستخدامها لقوتها التقليدية • وبظهور الاتحاد السوفيتي كقوة نووية ثانية كبرى ، فقد ضـرب ذلك المناقشة الكبرى فى الولايات المتحدة التي دارت حول المبدأ العسكري وطبيعة الردع الثائر الذي ساد لعدد من السنين •

ومن حيث الشكل فا نهذا الخلاف قد ظهر على هيئـة نزاع بين المؤسسات العسكرية بماله علاقة فى التخصـيصات ونظم الاسـلحة المرغوبة • وفي الحقيقة ، فان المناقشة كانت تدور حول طبيعة الردع • فاحدى المدارس الفكرية اصرت على ان الردع لايقبل التجزئة ، اذا ماأريد ردع الاتحاد السوفيتي على الصعيد الاقصى من العمل ، فالحرب النووية، يمكن ان تردع بفعالية فى جميع ( وبالتالي لايمكن تحديدها ) المستويات الادنى • فايقاف الحرب النووية بعبارة اخرى معناها الايقاف الذاتي لجميع اشكال العمليات العسكرية • اما المدرسة المناوئه فانها تدعي ان العقاب يجب ان يتناسب مع الجريمة وان المعتدي المحتمل يمكن ردعه على مستوى واحد فى كل وقت • فمن يقف عند نقطة الردع فى حرب نووية ، يكون مستعدا ليعمل ضمن الطريق التقليدي • فالردع هناك سيكون من مستوى اقل وهكذا • وبينما نرى المناقشة الاولى عبر جهادها ان « نظرية الردع النووي لوحدها تستطيع ان تقوم بكل العمل المطلوب ، نجد ان الثانية وفقا « للاستجابة المرنة » تتطلب انواع غنية مختلفة من الاستجابات الصالحة لاوضاع كثيرة •

ان سياسة الولايات المتحدة من ناحيتي الردع والعسكرية ، في التحليل الاخير ، قد اخذت محتوياتها الاساسية من كـلا المناقشتين • فالردع الاستراتيجي النووي هو حجر الزاوية في نظرية الاحتواء المعاصرة، ولكن الولايات المتحدة تملك وترغب عند الضرورة باستخدام انواع مختلفة من القدرات فى المستويات الاقل كذلك • وهذه هي اذن ابعاد كل من نظرية الاحتمال والامكان •

وعلينا ان نلاحظ ايضا اثناء سيرنا ان فرضية الاستجابة فى الاحتواء قد امتدت الى مناطق اخرى من المجابهة • فعندما قفز الاتحاد السوفيتي على حلقة الاحتواء فى عام ١٩٥٥ بربحه موطأ قدم فى مصر عبد الناصر ونشر نفوذه فى بقاع كثيرة تعودت ان تسميها الولايات المتحدة « بالمنطقة الخلفية للغرب »، رأى التكتيكيون الاميركان المشكلة كجبهة جديدة فى الحرب الباردة • وبناء على ذلك فقد اقدموا على توسيع استخدامهم للتكتيكات التي برهنت على وجودهم فى اوربا ، الشرق الاقصى ،وجنوب شرق آسيا • ولقد تضمن ذلك بمحاولاتها المثيرة للعواطف كمبدأ ايزنهاور ، ومنظمة المعاهدة المركزية وغيرها من المحاولات المقتضبة والعديدة التي هدفت الى تنظيم نصف الكرة الغربي في دفاع مشترك ضد الشيوعية ، والتي مرت فى اختبار امام صعوبة احتواء القوة السوفيتية اذا ماخرجت من قاعدة ارض وطنها • وبهذا الصدد ، فان مما ليس له قيمة ايضا هو ان القائمة المؤشرة لحلفاء الولايات المتحدة في الحرب الباردة تضم فقط ثلاثة من الدول الكثيرة الجديدة التي ربحت استقلالها بعد بعد عام ١٩٤٥ : كوريا ، باكستان والفليبين • وجميع هذه الدول الثلاث قد انهكت في نزاع يخص طبيعة استمرار علاقاتها مع الولايات المتحدة •

ان الدفاع المشترك الموحد ، وتنظيم العالم الحر ، والرغبة في احتمال نزاع مطول ، هذه كلها تمثل المحتويات المهمة للاستجابة فى الاستراتيجية الاميركية نحو الضغط السوفيتي • ولم يكن هناك اية اشارة الى الامم المتحدة فى هذا الحديث لسبب بسيط وهو ان التجارب المبكرة قد اقنعت الولايات المتحدة من ان المنظمة العالمية غير مهتمة جديا بالنزاع مع موسكو ، على الاقل فى المرحلة الحادة • ولم تكن الامم المتحدة وفقا للتعليل الاميركي ترغب فى انتلعب اي دور في العلاقات السوفيتية ــ الاميركية ، الا بعد ان وجدت فقط ان العلاقات بين العملاقين الكبيرين قد استقرت الى الدرجة التي يمكن عندها اجراء مفاوضات دبلوماسية حقيقية • ولطالما ان خطر العدوان المكشوف المتصاعد الى حرب نووية

قد بقى العامل الاساسي من وجهة النظر الاميريكية ، على اية حال ، فان الاستجابات المخططة رؤوس اقلامها فى هذا الفصل كانت بالضرورة عقدة الاستراتيجية الاميريكية • ان قضية العامل الواحد تطلبت بما يعادلها من جواب متبلور دقيق • وهكذا كانت الاستراتيجية الاميريكية فى الحرب الباردة خلال عز الاحتواء •

**تشريح نظرية الحـرب الباردة الامريكية :**

ماذا نستطيع قوله بشأن السياسة الامريكية فى الحرب الباردة بوجه عام الى جانب مابيناه فعلا ؟ قليل جدا او على الاصح بعض النقاط المهمة التي لم نذكرها فى التحليل السابق • على ان بعض الافكار التي عرضناها سابقا بصورة مختصرة في الفصل ، يمكن ان يعاد النظر فيها بصـــورة مفيدة ، وربما يمكن اكتشاف علاقة او علاقتين فيما بينهما مما لم يتوضح فى السابق •

واول حكم نبديه يجب ان يكون حكما ايجابيا • ان ذهنية الجهاز والدوائر المنفذة للاستراتيجية الاميريكية فيالحرب الباردة قد برهنت كليا قدرتها على الايفاء بالمتطلبات التي وضعت لها بالاصل • فلقد « اوقف » فى الواقع الاتحاد السوفيتي ، على الاقل فى مناطق من العالم كان بامكانها تقبل نظرية الاحتواء ، فلا غزو سوفيتي ، ولا توسع لموسكو بقصد نشر النفوذ ، ولا انحرافات جديدة الى الشيوعية يمكن ان تعزى نتيجة لتقصير سياسة الاحتواء في تحقيق اهدافها منذ عام ١٩٤٧ • ان خسارة الصين كان امرا لابد منه حينما اعلن مبدأ الاحتواء ، اذ كان من حيث الاساس ظاهرة وطنية والتي لم تتمكن الاستراتيجية المناوئة من الاسهام فى صدها فعليا ، بينما كان الامر مع المسرحية المضحكة ــ المبكية فى كوبا تمثل سلسلة من الفشل بالنسبة للولايات المتحدة ، والتي تمت فى جو غريب لذهنية الاحتواء • ان نظرية الوخز المقابل فى الاستجابة يتطلب نوعا خاصا من العدوان السوفيتي فى بقاع معينة من قبل ان تكون فعالة : وامام كل هذه الاشكال من العمل وفى بقاع صالحة ، فقد كان نجاحها باهرا •

وفي الحقيقة ، فان للعلاقات السوفيتية ــ الاميريكية ، التي يمكن القول من خلالها ان الحرب الشاملة التي اصبحت ادبيا امر لايفكر به ، يمكن ان يعزى امرها لدرجة كبيرة الى الحسابات الاضافية للطرف الذي مثلته فلسفة الاحتواء • لقد تركت موسكو كل امل من اي نوع من الانواع التي كانت قد حققتها مرة بكسب اقليم جديد عن طريق هجوم متسلل •

ولكن حتى أنصار العناصر الايجابية في الحكم على الاحتواء نجدها تقدم انتقادات من نوع آخر•وانها ثانيا تقف امامنا في علاقة خاصة، تلك هي عدم قدرة الولايات المتحدة فى ظل نزاع مذهل من ان تغير تفكيرها انى المرحلة الثانية فى سياستها ، الى جانب الذهنية التي تبسط كثيرا من المشكلة الاستراتيجية • ان كل واحد منهما يجب ان يوضع امام الحكم الايجابي الذي توصلنا اليه قبل قليل •

لقد لاحظنا فى الفصل الثاني ثبات الخلاف فى العلاقات السوفيتية الاميريكية • وفى الصفحات الاولى من هذا الفصل ، قدمنا رؤوس اقلام لمرحلتي الاستراتيجية الاميريكية التي شددت فيها المرحلة الاولى على الخلاف من اجل هدف معين ، بينما اكدت الثانية على التوافق ،من اجل هدف معين ايضا ولكن ضمن محتوى مختلف • ان افتراض الخلاف كقاعدة في العلاقات الاميريكية ــ السوفيتية ، والذي من خلاله عمل صانعو السياسة الاميريكية منذ عام ١٩٤٧ ، قد برهن على قدرته فى الاستمرار • فكل تحرك سوفيتي قد افترض على انه عدواني ، وان ثقل البرهان قد وضع بكل قوة على اولئك الذين يناقشــون تفسيرا آخر • وفى تأمين اوسع درجة ممكنة من الامن ، فان الولايات المتحدة قد اطالت من النزاع ووضعت جميع اللوم على الايديولوجية الشيوعية والعناد السوفيتي •

كما لاحظنا ايضا ان متصيدي الخلاف مفتتنون بعــدم التقرب لما يفترض ان يقود اليه نوع خلافهم • فقليلون جدا اولئك الذين

يرغبون فى مواصلة منطقهم الى نهايته ، وانهم يوعظون بسلام اميريكا الكوني • واغلبهم يتنبأ بسقوط السوفيت والتحرير السريع والمؤكد للعالم من العبودية الشيوعية • وفى نفس الوقت فان افضل ماتستطيع الولايات المتحدة عمله هو مسك الخيط وعدم جني اي محصول •

ان هذه الطبخة غير الشهية لاستمرار التوتر غير الممكن حله الذي نبعه اسهال مفرقع قد اصيب به الامريكيون بحيث لاتوجد لحد الان اية محاولة اميريكية تذهب ابعد من نظرية الاحتواء • فلا احد يرغب ان يتخيل المجازفة التي تحدثها المبادرات العدوانية الاميريكية الواسعة على موسكو • كما ان تراجع القوة السوفيتة فى شرق اوربا هو موضوع ميت • ولكن الولايات المتحدة لاترغب فى كليهما بقبول الدليل من ان الاحتواء قد ادى اغراضه : فالعلاقات السوفيتية ــ الاميريكية في منطقة الاحتواء قد اصبحت امراً مسوىً • وربما كان توازن الرعب غير ثابت فى حقيقته ، كما تشير اليه النظريات العسكرية ، الا انه تعادل على الاقل ــ تعادل دارت حوله نظرية الاحتواء اصلا • ولكننا اذ نناقش اليوم عدم امكانية حصول تحسن فى العلاقات وانه بناء على ذلك ليست هناك حاجة لاية محاولة تقوم بها الولايات المتحدة فى هذا الصدد ، فان ذلك معناه ذم لافائدة منه لجميع محاولات الولايات المتحدة منذ عام ١٩٤٧ •

واذا كان مبدأ الاحتواء غير مثمر في زاويته التطبيقية ، فان ضريبته الاساسية قد جاءت من عقم ذهنيته • لقد ادعى المبدأ ان المواضيع النسبية للخصوم كانت قد وضعت لجميع الوقت فى اللحظة التي قامت فيها المعركة فى الاربعينات • ان طبيعة التهديد السوفيتي ، والاستجابة الاميريكية المفروضة ، ومواضيع الرهان فى النزاع ، والتكتيك واساليب ادارتها كلها قد قبلت من قبل واشنطن على اساس انها ظروف دائمية لها تأثيرها على شكل السياسة الاميريكية لزمن غير محدد •

وحيث ان التاريخ قد استمر في طريقه مجابهاً ساحات معركة الحرب

الباردة الرئيسية، وحيث ان العوامل الجديدة والغريبة (الغريبة على المفهوم الاميريكي الاصيل ) قد صرخت من اجل جلب الانتباه ، فان رد الفعل الاميريكي كان ضيقا جدا . لقد استقبلت واشنطن كل تطور جديد فى الداخل او على امتداد منطقة الحرب الباردة بكلماتها الدارجة التي تقول « لم يحصل اي تغيير اساسي » ، وانها على مايبدو كانت مقتنعة بان تجاهل العناصر المعقدة سيعطيها امكانية الاستمرار في العيش فـي ذهنة عالم بداية الحرب الباردة المبسطة . لقد عملت الولايات المتحدة كل جهد كبير من اجل ان تدعي بان التقويم التاريخي لايتبدل وانه بالرغم من كل الدلائل المشيرة الى العكس من ذلك فانه لايزال تقويم عام ١٩٤٩ قائماً .

وهذا واضح بصورة خاصة فى مناطق الحرب الباردة التي ارتبطت باتفاقات رسمية وبمراجع اميريكية طويلة الامد : غرب اوربا وجنوب شرق آسيا . ففي كلا هاتين المنطقتين نجد ان حلفاء اميريكا اليوم فى ثورة ضد النظرية الاميريكية فى الحرب الباردة وفي كليهما ( كما هو الحال مع غيرها ) تصر واشنطن فى مناقشتها على ان « ليس هناك اي خطأ مع التحالف الذي لاتستطيع ان تعالجه ازمة حقيقية » . ومن العجب ان قليلا من الاميريكيين المسؤولين من يقدر ان اية ازمة حقيقية من ازمات عام ١٩٤٩ هي شبيهة بموسيقى الموتى وطقوسها النغمية ، بشكلها الفني المتلاشي .

ان تاكيدات الحرب الباردة فى الاستراتيجية الاميريكية تئن من آفةاخرى بالاضافة الى ماتقدم . لقد زودت واشنطن نفسها فى الكفاح السوفيتي الاميريكي الذي يحتل اهمية خاصة فى سياستها الخارجية ، بسلاح ضعيف لمجابهة القضايا التي نشأت خارج محتوى الحرب الباردة. فحينما ظهرت قضيا كقضايا ثورات المستعمرات ، والاعمار الاقتصادي او مايخص اعمال الامم المتحدة ، التي عليها النظر فيها ، لم يكن امام الاستراتيجيين الاميريكيين الذين استنفذوا قدراتهم كليا في الكفاح ضد العدوان السوفيتي ،سوى امرين : محاولتهم لاكتشاف بعد شيوعي

للمسألة وبالتالي معاملتها بناء على قواعد الحرب الباردة والمجازفة بتشويهها وابعادها عن واقعها المعترف به ، او انهم ، من الجهة لاخرى ، بدأوا يعاملونها وفقا لما توحيه اليهم آذانهم ، متخذين قرارات شراء الوقت على اساس منفصل وعلى احسن مايكون فى امل ان بالنهاية سوف يظهر شيئا ما يشير الى خط واضح • ونحن لانحتاج الا نادرا للاشارة الى ان كلا الاسلوبين لم يقد الى اي نصر سياسي او عسكري او جلب الكرامة للولايات المتحدة ، والى ان اكثر المصائب المعاصرة حدة المواجهة للامة قد انسابت من سوء التقدير المبدئي للمشكلات التي لاتخص الحرب الباردة •

ان الوخزة فى هذا التحليل بناء على ذلك ، تحتاج الى بعض التدقيق • لقد قاست الاستراتيجية الاميريكية من الحرب الباردة برجوعنا الى الماضي ، من تقصين : الاول ، ان قانون النزاع والاستجابة الخاص بالحرب الباردة قد عمم بدرجة شاملة ، ليكون قانون العمل ، وبذلك اخرج من محتوى سياسته وارغم على تحمل حمل لم يكن ليتناسب معه • الثاني ، ان مفهوم الحرب الباردة ذاته قد برهن على عدم صلاحيته كأساس للعمل الاميريكي في عالم نما ذاتيا بحيث اصبح اوسع مدى واكثر احكاما • ذلك انه لايمكن ان يسمح لجزء من برنامج خاص ليستمر اكثر وليحل محل استراتيجية الولايات المتحدة الكونية بكليتها • وعلى ذلك تستوجب الضرورة ايجاد طريق اوسع واشمل ، اذا ما اريد للامة ان تمارس مهمتها فى القيادة وفقا لما تتطلبه همة اجيالها القادمة •

# الفصل الخامس

# ميادين الحرب الباردة

# الفصل الخامس

## ميادين الحــرب الباردة

تشكل الحرب الباردة فى مفهومها مشروعا كاملا ، مشتملا على المتخاصمين الذين هم في عدم اتفاق كلي في كل مكان وفي كل وقــت ، ولكن المفاهيم التحليلية والافتراضات السياسية على السواء لاتعكس دوما الحقيقة بدقة ، اذ ان جانبا مهما من شروط الاجراءات قد كشفت منذ وقت طويل عن اعنف مظاهر العداء بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة . ولم يتوفر من قبل جواب صحيح للسؤال : « ماهي ميادين معارك الحرب الباردة ؟ » بدل الاجابة السهلة ، « فى كل مكان » . لقد قامت معارك الحرب الباردة على سلسلة من الميادين المتميزة والواضحة تحت ظروف سياسية خاصة وحالات عملية متناسبة مع كل قضية معينة . هذا وان طبيعة ونتيجة هذه المعارك كانت مختلفة فى كل منطقة من مناطق الخلاف وعلى ذلك فانه لابد من التميز بين عدد من المستويات والاشكال المختلفة للنزاع .

ومن المناسب ان نميز مبدئيا بين المجابهة المباشرة التي يتقابل فيها الرأس مع الرأس فى النزاع الدائر بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة وبين المشكلات الكثيرة بين الجانبين والتي قدر لها ان تضم طرفااو اطراف ثالثة . ان النزاعات الفردية التي تقوم على اساس نقطة ضد نقطة لاتخطىء فى الحساب باكثر من نسبة صغيرة نسبيا من الكمية الكلية لنزاع الحرب الباردة ، اذ ان ماهو اكثر شيوعا هي المعارك التي تقوم حينما موسكو وواشنطن تتقابلان في حالة الدفاع عن التابعين الصغار ، بحيث يوجه الضغط على نقطة مكشوفة فى المعسكر الاخر ،

او المحاولة فى كسب موالين جدد • وانه لما يبدو اكثر تناقضا ان مايمكن اعتباره امرا خطيرا جدا من امور النزاع فى الوهلة الاولى ، بحيث يتوقع منه الاصدام المباشر بين العملاقين ، قد برهن من حيث التطبيق على انه اكثر سهولة من تجنبه والسيطرة عليه وتدبيره من الكثير من القضايا الضخمة التي يدخل فيها طرف ثالث •

هذا وان الشكل الذي يدخل منه طرف ثالث فى قضايا الحرب الباردة قد جاء مختلفا بناء على مكان معالجته من حيث انه فى اوربا مرورا بتخوم آسيا ، او من الاماكن الاكثر بعدا من افريقيا واميريكا اللاتينية • مهما كانت الوحدة المكشوفة بين هذه القضايا غير متعادلة فان ذلك لايمكن ان يكون اكثر من تصور • ذلك ان جميع المحاولات التي جرت من قبل اي من الطرفين والتي استهدفت تصميم المبادىء التكتيكية او القواعد السياسية التي كان مقررا تطبيقها من نقطة معنيه بالاصل قد ادت الى الازعاج والكارثة احياناً •

**التصادم المباشـــر :**

يمكن القول من وجهة النظر الاميريكية على الاقل ، ان التحدي السوفيتي في الفترة التي اعقبت الحرب العالمية الثانية مباشرة قد بان بانه كان موجها انصافا نحو الولايات المتحدة ، من حيث امنها ومؤسساتها ونظامها وطريقتها في الحياة • ومنذ وقت طويـل فقد اقتنـع اغلب الاميريكيين ايضا بان الاستجابة الاميريكية فى اصولها وحاضرها ان هي الا طعنة مجابهة قصدت بها موسكو ، وان سير الحرب الباردة قد تأثر منذ البداية بالمنافسة المباشرة والنزاع بين الدولتين • ومع ذلك فان النقاط الخاصة فى الخـلافات الفعالة فى العـلاقات الاميريكيـة السوفيتية المباشرة هي من الدهشه والصعوبة بحيث لايمكن تحديدها بالضبط وانها مخادعة من حيث تعريفها تعريفا دقيقا وفى ضوء شروط تطبيقية • ان البعد المباشر للرأس امام الرأس فى الحرب الباردة قد لقى اهتماما اقل كثيرا من النزاعات العديدة التي عولجت بالتفويض •

وبامكاننا ان نستخلص من فيض البيانات والسياسات المعقدة لكلا الدولتين على الاقل اربعة مواضيع من الممكن التعريف بها والتي عملت على اختلافهما • ومن ناحية يمكن تصنيفها بانها المواضيع الرئيسية للحرب الباردة ككل ، ولكن من ناحية اخرى يجب الاعتراف بانها لعبت دورا اقل كثيرا من حيث تقرير سير الاحداث من تلك التي هي اقل تضمينا ولكنها مشكلات آنية وفعالة بدرجة اكبر • وهذه المواضيع الاربع يمكن عرضها كما يلي : الاولى ، وهي تتضمن طبيعة النظام العالمي الذي اقامه كل طرف ، الثانية ، النزاع بين ايديولوجيتهما من اجل السيطرة على العالم، الثالثة، طبيعة العلاقات العسكرية بينهما، الرابعة، مقياس المركز العالمي والهيبة التي يريد كل طرف ان يتمتع بها • ومن الواضح فان «النصر» وفق اي من هذه المواضيع التي يتقابل فيها الراس امام الراس هو صعب تعريفه وانه اكثر صعوبة عند اللحاق به •

لقد اختبرنا فعليا وباختصار صور النزاع حول النظام العالمي بينهما • فلقد بنى الاتحاد السوفيتي كهدف عملي له عالما « يكون امينا على الاشتراكية » ، عالما يعتبر فيه الرأسمالي ـ الامبريالي خطرا دائما ومهما ضد سلامة العالم السوفيتي • اما الولايات المتحدة ، التي تعمل من خلال فرضية مختلفة ، فقد وضعت لها كهدف ايجاد عالم مستقر تقيم فيه مجتمعات حرة وصحيحة والذي لامكان فيه للمبادىء الثورية الشيوعية • ان الكون المغلق ضمنا فى كلا النظامين قد قاد كل طرف الى المناقشة التي ترى ان اية خطوة نحو تحقيق هدف الاخر تعتبر بصورة ذاتية ضربة مصوبة ضد نفسها •

وهكذا فان الاتحاد السوفيتي قد عمل دوما على اعاقة المشاريع الاميريكية الخاصة بتنظيم وتأسيس علاقات دولية عن طريق الامم المتحدة ، جنبا الى جنب مع اقامة نظام تحالف باشراف الولايات المتحدة • وبتشديده في التأكيد على فرضيته الثورية ، فان الاتحاد السوفيتي ، قد التزم بالاصرار على قيام عالم غير مستقر وغير امين حتى ياتي الوقت

الذي يستقبل فيه الفردوس الشيوعي • ولقد وجدت الولايات المتحدة من جانبها ان محاولات السوفيت فى بناء نفوذ شيوعي يقدم الدليل على النوايا الشريرة • فمنذ وقت طويل كانت الولايات المتحدة قد طورت مفهوم « الشيوعية العالمية » ليكون عدوها المفضل وان تصل به في النتيجة الى ان استقرار العالم الحقيقي لايمكن ان يتحقق الا بعد محو القوة الحقودة من عالم الوجود •

وهذه صورة النظام العالمي التي احكمت بصورة مبرزة من خلال الجدل والدعاية ، والتي كانت اقل تقصدا من الناحية العملية ، فانها قد انبثقت بوضـــوح والى درجة كبيرة فى الموضـــوع الكبير الثاني بين المتخاصمين : السؤال الخاص بالسيادة الايديولوجية • ومن خلال التحليل الى هذا الحد ، فاننا قد ضغطنا باستمرار على العوامـــل الايديولوجية فى ان تصل الى هذا الحكم المبكر • ولكننا حينما تتكلم عن هـــذه المواضيع التي اسهمت فى قيام استراتيجية المجابهة بالاصل ، فانه ليس هناك من شك ان الاختلافات الايديولوجية يجب ان تعطى مكانا مركزيا• وبالنسبة للملايين من الناس على جانبي الستار الحديدي فان السؤال الحقيقي هو اي من النظامين المتنافسين فى العقيدة سينتصر بالنهاية واقامة نفسه كونه الحقيقة الكونية القابلة التطبيق لجميع بني الانسان •

مرة اخرى ، يجب ان نلاحظ ان الاختلافات الايديولوجية تكشف عن نفسها بطريقة المشكلات الخاصة اكثر من العمل الصلب في الاوضاع الحقيقية • ومع ذلك فان دور الايديولوجية فى التأثير على العلاقات السوفيتية ـــ الاميريكية المباشرة امر لايجوز التقليل من شأنه • فلقد كانت الولايات المتحدة ومازالت مترددة بالم فى التفاوض مع الشيوعيين في حين أن افتراض الروس بانهم اصحاب عقيدة سيئة بنظر الاميريكيين قد جعل منهم أن يقرعوا لها طبولهم بصوت عال وبأستمرار كون الحرب الباردة هي في الواقع حرب استراتيجية وان قيامها لا مفر منه وانها ستستمر حتى يختفي من عالم الوجود هذا الجانب او ذاك • ولكن ماهو غير مؤكد تماما ، على كل حال ، هو هل ان ايا من الجانبين ينطلق في سياسته

من دون دوافع ايديولوجية مطلقة او انهما اليوم يؤكدان على النصر الايديولوجي كثمن للتوافق .

ومن خلال المواضيع العالمية والايديولوجية الغامضة والعامة فإننا ننزل بكل سرعة الى المشكلة الفعلية جدا وهي العلاقات العسكرية . وعلى هذا السؤل بالذات نجد ان النزاع المباشر بين الولايا تالمتحدة والاتحاد السوفيتي هو الذي يحظي بالتأكيد العلني الواسع . رفد يوجد اولايوجد سباق ايديولوجي بين الطرفين ، او يمكن القول بوجود سباق لتنظيم عالمي ، ولكن هناك على اية حال سباق تسلح مفتوح بالنسبة للطرفين يصاحبه سباق غير منظم من اجل فرض الهيبة بين الطرفين .

ويمكن وضع شروط التسلح بكل بساطة . فالولايات المتحدة التي بدأت الحرب الباردة بالتفوق النووي على الاتحاد السوفيتي ، كانت قد اصرت خلالها على ان متطلبات الحد الادنى من الامن تفرض فى الاقل وجود مجال مهم من الارجحية العسكرية على الاتحاد السوفيتي . اما الجانب الاخر ، فقد تطلب من الجهة الاخرى ، حداً ادنى من التعادل فى السلاح مع الولايات المتحدة ووضع نفسه من اجل احتلال مركز القيادة فى بعض بقاع العالم على الاقل . ولم يرغب اي من الطرفين فى قبول الحد الادنى من ظروف الطرف الاخر .

ولقد عقد التنافس عاملان . ففي المكان الاول ، ان منطق الردع قد جعل التسابق بالتعريف شيئاً اقل من لعبة مخيفة . ذلك ان قدرة التدمير قد تخطت كثيرا قدرة استخدام القوة العسكرية المنظمة منذ ان دخل العالم « عصر تخطي القتل » . ثانيا ، ان التسابق قد اصبح نوعيا اكثر منه كميا واصبح النصر في المفهوم العسكري يمكن له ان يتحقق فقط بالنسبة للمتسابق الذي يستطيع ان يصنع السلاح النفاذ ، وليس الذي يصنع عددا اكبر من الدبابات والبنادق والطائرات . وان كلا الجانبين يسعيان من اجل المبالغة فى التقدم التكنولوجي الى جانب

تحقيق الضربات الاكبر فى كل الاوقات التي يجد فيها نفسه رهينة الخوف ، لامور لاتسوى قيمتها •

ان سباق التسلح ربما ينظر اليه كحرب باردة فى عالم صغير : يظهر فيه كلا الجانبين وكانهما وقد اصطيدا فى معركة تخصهما بالاصل ولكنها تستمر بقوة زخمها ،دون ان يكون لاي منهما اي تحسين او تعديل كبير لمركزهما ــ ان تسابق السلاح كان نتيجة حلول بعد هو الازدهار المتأخر نسبيا فى النزاع السوفيتي ــ الاميريكي ، ولكنه اليوم ربما قد وصل اهم مراحله بل اغلاها ثمنا بالتأكيد •

اما الموضوع الرابع، الخاص بالتسابق على الهيبة فله تاريخ مهم• انه واضح من سجل الاحداث • ان الهيبة كانت موضع اهتمام شديد لدى الاتحاد السوفيتي منذ البدايات الاولى للحرب الباردة • ولكن الولايات المتحدة رفضت حتى الاعتراف لنفسها بانها كانت قد ارتبطت فى سباق الهيبة على الاطلاق • فقيادة العالم مركزا وهيبة ، كان قد نظر اليها الاميريكيون بانها حق طبيعي لهم متى ماقرروا قبول تلك القيادة • وحتى الحديث فى مواضيع ذات علاقة بالهيبة مع الاتحاد السوفيتي كان قد بدا للاميريكيين بانه حديث متناقض في مصطلحاته • وقد ظل الامر كذلك حتى حدوث التجربة المرة التي رأوا فيها سبوتنك (Sputink) تغزو الفضاء عام ١٩٥٧ ــ المجال من الانجاز الذي افترضت فيه الولايات المتحدة انه مجالها الاستثنائي الخاص بها ــ الامر الذي سبب الذهول والفزع غير المهذب وادى بالاميريكيين الى ان يقدروا ان الهيبة فى الجساب الاخير هي موضوع حقيقي في الحرب الباردة •

فمنذ عام ١٩٥٧ بدأت الولايات المتحدة تأخذ بجد موضوع التحدي السوفيتي • لقد امتد التنافس الى الامام فى عدد من الاقاليم ، الذي اختاره هذا الجانب او ذاك كمركز ووسط سهل الانقياد لتستغل فيه الدعاية بدرجة واسعة • واكثر المواضيع بروزا ، بالطبع ،كان

سبق الفضاء • وهنا تستطيع الولايات المتحدة ان تتغلب بالاصل على الاتحاد السوفيتي في المراحل الاولى من حومة الفضاء وكان هدف الولايات المتحدة في عهد الرئيس كندي سلب السباق من الاتحاد السوفيتي بضرب الروس في الوصول الى القمر • وبينما كان الروس قد رفضوا التحدي الذي اظهره الاميريكيون ، فان الولايات المتحدة سادت خلال عهد كندي وجونسون ضمن عامي ١٩٦٣ و ١٩٦٤ بان انكرت لنفسها سباقها بدعوة السوفيت للمشاركة في برنامج تعاوني خاص بالاستكشاف الفضائي • ولكن خروتشوف نفسه ادعى في عام ١٩٦٣ ان الاتحاد السوفيتي لم يكن قط قد اعتبر نفسه انه في سباق وتمنى للولايات المتحدة خيرا في محاولتها •

اما البعد الثاني ذو الاشكال المتعددة في سباق الهيبة فقد كان وما يزال يتمثل في النمو الاقتصادي • والذي ظهر ان حملة الانتخاب الاميريكية للرئاسة عام ١٩٦٠ ، كانت قد امتلات بالمقارنات وفي غير صالح الولايات المتحدة غالبا ، حيث بدأ فيها سرعة التقدم الاقتصادي لكلا الدولتين ، وهذا الحديث ، على اية حال سرعان مايتشرب بالتكنيكات وبالاحصائيات الاقتصادية الثورية ، ولكن لايسمع الا القليل منه اليوم • ولكن اي جانب من جوانب الحياة الوطنية في الاغلب يمكن ان تلتقط من قبل الجانبين وتصعد الى موضوع يخص الكرامة : الرياضة ( الاهتمام بجد كل اربعة سنين في الالعاب الاولمبية ) ، الافلام السينمائية، العلم ، الفن ، واي شيء آخر يمكن ذكره •

ونعيد ذكر النقطة ان مجالات النزاع المباشر بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة قد برهنت بانها اسهل جميع النزاعات من حيث تنظيمها والسيطرة عليها ، هذا ان لم تقل في حلها • وبالرغم من عمق وطأة العواطف ، فان المشكلات الاربع المسجلة هنا نادرا ماوصلت الى مرحلة الازمة الحادة • وتفسير ذلك سهل : ففي المواجهة المباشرة مارس الجانبان حريتهما الكاملة تقريبا في مناوراته ووسائل اتصاله مع

الجانب الاخر ، ولم يشعر اي منهما باي احراج بضرورة تلطيف تخديش الشعور الذي يثيره حلفاؤهما بسهولة ،او اي اهتمام بالضجة العامة في الامم المتحدة ، او اي قلق بشأن توافق الرأي الداخلي ، على الاقل على صعيد المدى القصير • ان غموض الرموز الكبير ـ الممتد في مطاطيته حتى البناء الداخلي ـ كالامن العسكري ـ يسمح للقادة المناوئين من الحفاظ على درجة حرارة امنية ودون مستوى الخطر • ان القضايا الخطرة حقيقة هي تلك القضايا التي تتداخل فيها الحكومات الاخرى او العوامل الاخرى مع المناورات التي يقوم بها العملاقان وتؤثر على نتائجها •

**اوربا الميدان الرئيسي :**

ان الميدان الاول من الحرب الباردة كان قد تم في اوربا ، وخاصة المناطق التي خلفها هتلر في المانيا • ان النزاع على طول الستار الحديدي في اوربا ظلّ يشكل العنصر الحساس في الحرب الباردة • ثم ان الاساليب ولااشكال التي اتخذها النزاع في الغرب في الاربعينات قد امتدت مع شيء من التحويرات الطبقية الى جميع المسارح العملية الاخرى • ويتفق اغلب الاميريكيين في شعورهم على ان الحل الاخير في النزاع ، سواء في التوفيق ام في الرؤيا يتحدد في هذا المكان المركز الحساس والخطر ، باعتبار ان الحرب الباردة هي الى درجة كبيرة ظاهرة اوربية •

وبنهاية الحرب الباردة عام ١٩٤٥، كانت اوربا قد قسمت من الوسط وكان ذلك بداية تكوين الستار الحديدي • لقد كان قرار ساحة المعركة ، الذي عدل قليلا في قرارات يالطا وبوتسدام ، قد ترك الاتحاد السوفيتي ثابتا في جميع اوربا السلافية مضافا اليه هنغاريا والمنطقة السوفيتية من المانيا المحتلة • اما الولايات المتحدة وحليفاتها فقد سيطروا على جميع اوربا حتى الغرب من هذا الخط ، على الرغم من ان الاحزاب الشيوعية كانت قوية في فرنسا وايطاليا • أما برلين فقد اجبرت

الاحداث التي تلت فى ان تذكر كل فرد ، بتقسيمها بين القوى المحتلة الاربعة • اما التقدم البارز الوحيد للغرب فقد كان فى اليونان حيث تركت تحت النفوذ الانكليزي بموافقة السوفيت • واذ كانت البقعة المعرضة للهجوم من قبل موسكو قد تمثلت فى يوغوسلافيا ، فان الانزعاج الغربي من احاطة برلين بسور قد سبب الكثير من الاضطراب فيما بعد• وفى الحقيقة لم يبق فى اوربا مكان يعمه الاستقرار والرخاء والسلامة المطلوبة فى المجتمع والحكومة • لقد كان للعهد النازي وسنين الحرب الاثر الكلي فى قلب ميزان التوازن فى القارة باسرها •

لقد حدثت عدة احداث كان قد تم اغلبها بصورة ذاتية ولعبت بمثابة المؤشر لبداية الحرب الباردة • ومن اهم هذه الاحداث بروزا الحرب الاهلية في اليونان ، التي استلمت فيها العصابات الشيوعية المساعدة من السوفيت بحكم تبعيتها • وما هو اهم من ذلك على اية حال، هو عدم رغبة الولايات المتحدة لاحتلالها بعد عام ١٩٤٦ ابان نهب السوفيت لالمانيا بحجة التعويضات فى نفس الوقت الذي انشغلت فيه قوى الغرب فى تقديم سيل المساعدات للامة المضروبة • وكان الاتحاد السوفيتي قد هيأ نفسه بالفعل للكفاح بفرضه قوته العنيفة وسيطرته المنفردة على الدول الصغرى في شرق اوربا ، جاعلا من هذه الدول التي لم تتمتع باكثر من اشهر عديدة من تحريرها من النازيين ، دولا تدور في فلك الشيوعية •

لقد بدأت الحرب الباردة بسلسلة من الازمات الاوربية • فانقلاب كل من تشيكوسلوفاكيا وهنغاريا فى بداية عام ١٩٤٨ ، وحصار برلين خلال ١٩٤٨ ـ ١٩٤٩ اعطت كلا منها صفة رسمية : لقد وجد كل من الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة نفسه فى حصار داخلي في الكفاح من اجل اوربا • وقد كان هذا من الوجهة التاريخية قد احدث ثورة معاكسة بالنسبة لدور اوربا التي ظلت لقرون عديدة مركز القوة السياسية والتي كان تأثيرها يشع فى كل مكان من الكرة الارضية • ولكن المنضدة الان وقد اديرت بحيث اصبحت اوربا هدف وجائزة قوة خارجية عن اوربا •

ولكن بالرغم من ضعف القارة وتدهور تنظيماتها في تلك الفترة ، فان كلا الجانبين قدرا اهميتها العظيمة . لقد ادركت الولايات المتحدة منذ عام ١٩٤٧ انه اذا ما انزلقت كل اوربا الى المعسكر الشيوعي فلا شك انها ستخسر الحرب الباردة .

وكنتيجة لذلك ، وفي ظل التنظيمات الواسعة التي اقامها السوفيت في البقاع التابعة له واستمراره على التجسس وهدم الديمقراطيات الغربية المهزورة ، فقد اتخذت الولايات المتحدة مسألة « حفظ اوربا » رسالتها الاساسية وباكورة اعمالها في الحرب الباردة .

واول خطوة كبيرة في المناورات الاميريكية كانت قــد تمثلت في « مشروع مارشال » الذي كشف في حزيران من عام١٩٤٧، والذي تحول فيما بعد الى قانون عرف باسم قانون المساعدات الخارجية لعام ١٩٤٨ . بدأت بمحاولاتها في تقديم مساعداتها العسكرية والاقتصادية التي ضمها مشروع المساعدة المقدم الى اليونان وتركيا عام ١٩٤٧ . وقد كان هذا بالطبع مسعى استثنائيا ، ليمهد لمشروع ياخذ على عاتقه مواجهة ازمة معينة . ومع ذلك فان ماسمي « بمبدأ ترومان » قد تضمن المحتويات الاساسية للسياسة الامريكية نحو غرب اوربا فيما بعد : فلقد ابدت الولايات المتحدة رغبتها في اعطاء مساعدات مباشرة لدول كانت مهددة بخطر الهجوم الشيوعي من الخارج ، كما ابدت الرغبة ايضا في المساهمة في الدعم لبناء المجتمعات المستقرة لتكون قادرة على صد الثورات الداخلية والتخريبية . ولقد ظل هذا الهدف الاميريكي على صيغته المبكرة هذه دونما ان يطرأ عليه اي توسيع او تعديل قط .

واول خطوة كبيرة في المناورات الاميريكية كانت قــد تمثلت في «مشروع مارشال» الذي كشف في حزيران من عام ١٩٤٧، والذي تحول فيما بعد الى قانون عرف باسم قانون المساعدات الخارجية لعام ١٩٤٨ .
ولم تكن المساعدات الاقتصادية التي قدمت الى اوربا في ظل مشروع مارشال المساعدة الاولى من هذا النوع المقدمة من الولايات المتحدة الى غرب اوربا ، في فترة مابعد الحرب ، وانما سبقتها مساعدات اخرى، ولكن المساعدة التي قدمت في ظل مشروع مارشال كانت قد اختلفت عن سابقاتها من عدة نواحي . فلقد هدف مشروع مارشال الى انعاش

اقتصادي اكثر منه معونة طارئة • وكان قد استقر على قاعدة « معاونة النفس والمنفعة المتبادلة » التي لاتعمل فيها الولايات المتحدة اكثر من سدالفرق بين مايطلبه الاوربيون وبين مايمكن ان يوفروه لانفسهم • وقد تعاملت مع « اوربا » على اساس انها وحدة تخطيطية ، وكانت مسؤولة فى خلق تنظيمات عديدة تتخطى الحدود القومية وتعمل على فائدة جميع المنتفعين بها • وكانت هي المسؤولة عن تقديم الدفعة الحقيقية الاولى لما عرف فيما بعد بالتكامل الاوربي •

ان وجه الانعاش الاقتصادي فى السياسة الاميريكية ازاء اوربا قد استمر لمدة اربعة سنين وقدر له ان يحقق فى الاغلب نجاحا لايوصف • وقد اعطى دخول الولايات المتحدة في هذا المشروع مركزاً اقتصاديا وسياسيا اساسيا فى غرب اوربا ، استمر حتى نهايةالخمسينات ، ولم ينل أي تحدٍ جدي حتى الستينات • ويقف هذا المشروع اليوم كنصب تذكاري للتخطيط المبدع والجريء •

اما الخطوة الاميريكية الثانية،فقد تمثلت بالضمانات العسكرية المقدمة من اميريكا الى دول غرب اوربا ، والتي اخذت شكلها الخاص بمعاهدة شمال الاطلسي لعام ١٩٤٩ • وقبل الوصول الى هذا التحالف كان الوجود الاميريكي العسكري في اوربا قد استند على حق دقيق لاحتلال المناطق المحتلة من قبل العدو المندحر • ووفقا لشروط المعاهدة فقد عملت الولايات المتحدة جهدها الواضح فى التصميم على الاقامة فى اوربا من مصلحة الدفاع عن حليفاتها الجدد من الهجوم السوفيتي • ومنذ الشروع بتنفيذ معاهدت شمال الاطلسي ، والتنظيم الفوقي الذي طورته ( منظمة معاهدت شمال الاطلسي ، (NATO) المنبثقة عام ١٩٥٢ ) ، فانه بدا يوصف منذ ذلك اللحين بـ « حجر الزاوية في السياسة الخارجية الاميريكية •

والخطوة الثالثة والاخيرة فى تطور الاستراتيجية الاميريكية فى اوربا كانت قد تميزت بقرار الامن المتبادل لعام ١٩٥١ الذي غير محتوى

منهاج المساعدة الاميريكية من المساعدة الاقتصادية الى البناء العسكري وتطويره الى قوة عسكرية قوية فى اوربا تحت درع (NATO) • ولقد اكتمل تنسيق البناء السياسي والعسكري لغربي اوربا ضمن سياسة الولايا تالمتحدة بوجهه الفعال عام ١٩٥٥ وذلك حين انضمت المانيا الاتحادية الى الـ (NATO) وبدأت تتسلح مجددا لمصلحة الدفاع عن الغرب •

وهكذا فان المساعدة الاقتصادية ، والضمانات العسكرية ، والدفاع المشترك كانت مفتاح محاولات الولايات المتحدة فى غرب اوربا ازاء الحرب الباردة • وفي نفس الوقت فان الاتحاد السوفيتي فى ظل زعامة ستالين كان يسعى من اجل ضبط مجال نفوذه فى الشرق ، مقتطفا دونما رحمة كل عدم رضا، شادا عاصمة كل قطر تابع لنفوذه اليه بصورة لايمكن الافلات منها • ولم تكن موسكو لتفيق من الصدمة التي احدثتها ردة يوغسلافيا فى عام ١٩٤٨ • وقد حاولت تعليل تلك الخسارة بانها كانت نيجة فشلها من عدم اشرافهاالعسكري والسياسي المعقول • وبين ١٩٤٨ وعام ١٩٥٥ لم يترك الاستراتيجيون السوفيت الا مجالا قليلا للمناطق التابعة لهم للمناورة من خلاله ، واقفلوا الباب امامهم ازاء اي انفصال • وكانت محاولة السوفيت بكليتها فى الشرق قد توجت فى عام ١٩٥٥ حيث تم التوقيع على حلف وارشو ــ وهو الجواب السوفيتي لدخول المانيا في ( الناتو ) (NATO) والتهديد بالمقاومة الشيوعية الموحدة لاي هجوم من اللغرب •

وهكذا فان عام ١٩٥٥ يمكن ان يؤخذ بانه العام الذي وصل فيه ميدان معركة الحرب الباردة الاوربي الى نقطة التنظيم الكامل ، ولكنه هو نفس العام الذي بدأت فيه عملية التحول ايضا • فمع ان مؤتمر جنيف عام ١٩٥٥ كان قد اعتبر رسميا فاشلا بسبب عدم الوصول الى اتفاق رسمي ، الا انه اقر بصورة غير رسمية ناحيتين : الاولى ، بعدم السماح للشؤون الاوربية فى ان تسبب حربا ، والثانية ، اعتبار مشلكة اوربا موضوعا مناسبا للبحث بدلا من اعتباره موضوع طعن • اذ

الاتجاه نحو المفاوضة الذي بدأ في ذلك الوقت لم يقف عند حده فيما بعد. ثم ان معاهدة الدولة مع النمسا التي انهت الاحتلال الرباعي للامة المحررة كانت قد وقعت فى عام ١٩٥٥ ايضا ، وهي اول فترة من الحرب الباردة التي برهن الاتحاد السوفيتي على رغبته فى التفاوض على المشكلة الاوربية الى نهاية مقبولة .

ومنذ عام ١٩٥٥ ، فان المواقف الرئيسية لخصوم الحرب الباردة على القضايا الاوربية وفى اوربا لم تتغير فى حقيقتها ، ولكن طبيعة ميدان المعركة الاوربي ذاته قد مر بتعديلات مهمة . وبعبارة اوضح ، فان اوربا كمنطقة وكوحدة ثقافية قد استيقضت مجددا . فمن خلال اكتشاف احتياطيهم السياسي ونشاطهم النفسي ذي المعين الذي لم ينضب طويلا ، فان الاوربيين على مخلتف الوانهم السياسية اخذوا يرفضون دورهم لفترة ما بعد الحرب في ان يكونوا اجراما نصف سلبية امام ضغط قوى كبرى ، كما رفضوا المحاولات التي تعمل على استمرارها . ولقد ترك ذلك ، بنظر الاميريكيين على الاقل ، اثره الواضح جدا فى الغرب ، ولكن الصعوبة لدى السوفيت فى سيطرتهم على توابعهم والسير فى خطاهم كان قد اصبح ايضا امرا واضحا جدا .

وبأخذنا الحالة الاميريكية اولا : فان الدفع نحو تكامل اوربا ، وهي القوة التي ساعدت الولايات المتحدة على اقامتها فى الايام الاولى من الحرب ، قد تحولت الى شيء جانبي غير متوقع النتائج . ففي اواسط الستينات ، كان قد تحقق تقدم ملموس نحو اقامة تنظيم اقليمي يحقق منافع اقتصادية لغرب اوربا : ولكن هذا كان قد قبل عموما على انه فى مصلحة اميريكا المباشرة. ولكن الذي لم يظهر كما كان متوقعا هو ميلاد الوعي السياسي بالذات احيانا ، كما هو الحال مع ديغول فرنسا ، المزوج بترديد خاطىء لتسلسل الاحداث ولكنه شعور قومي مبالغ فيه ) الذي اخذ شكل الاصرار المتعالي في نبراته الصوتية على دور مستقل لاوربا في الشؤون الدولية . وكما وضح تطبيقيا بعد عام ١٩٦٢ ، فان تاكيد اوربا على ذاتها اصبح له التأثير الواضح فى اضعاف تحالف شمال

الاطلسي وفى اسئلة غير مسرة حول مستقبل دور اميريكا فى الشؤون الاوربية ٠

اما صعوبات الاتحاد السوفيتي فقد بدأت عام ١٩٥٣ بثورة المانيا الشرقية ، ولكن في عام ١٩٥٦ المخيف كان قد فتح شقا متثائباً في الصف الامامي الشيوعي ٠ فبينما ربحت بولندا درجة معتدلة من الاستقلال الذاتي عن طريق ثورة مسيطر عليها بدقة ، اذا بهنغاريا ، نتيجة لمحاولتها الانسحاب من حلف وارشو والسير فى طريق حيادي ، تسحق بالسلاح السوفيتي ٠ وبعد ثلاثة سنين من المحاولة فى استعادة موسكو لسيطرتها القومية السابقة ، اذا بها تقع فى نزاع متردي مع الصين ، مما اثر عليها جوهريا بترك محاولتها لفرض سيطرتها ذات النسق الموحد على توابعها الاوربية ٠ ومن دون اي اعتراف علني قط بخطها الجديد ، فان الابتعاد عن الخط الستاليني من قبل التوابع الذي سار بخطى امامية بعد عام ١٩٥٩ كان قد حمل بوضوح مضامين قومية في السياسة الخارجية لم تخف تماما على الاتحاد السوفيتي٠ ففي خلال النصف الاول من الستينات كان كل تابع من التوابع الاوربية قد تحرك بالفعل فى تنظيم علاقاته مع الغرب بدرجة ما ٠

وازاء مجابهة تدهور مركز كل من القوتين الكبريتين فى اوربا ، فقد بقى اما مهما طريق حقيقي واحد للعمل : وهو التعامل مباشرة مع بعضهما على المسائل الاوربية قبل ان تضعف سيطرتهما على الاحداث اكثر فاكثر ٠ ومهما كانت التأويلات الاخرى لأزمة برلين عام ١٩٦١ ، فانها كانت جزءا من محاولة خروتشوف لحمل الولايات المتحدة على اتخاذ اجراء بعض التعديلات الجدية بشأن الوضع المستحيل لهذه المدينة ٠ اما الولايات المتحدة ، فلم تكن على اية حال ، مستعدة للتحرك ، فى الوقت الذي وصلت فيه الازمة قمتها فيمشهد من الدبابات المواجهة بعضها لبعض على جانبي حائط برلين ٠ ومع كل ذلك وفى خلال السنين التي تلت ، وخاصة فترة الهدوء التي اعقبت المصادقة على تحريم التجارب

النووية عام ١٩٦٣ ، فان ماهو جدير بالاعتبار ان كلا الجانبين اعترف بصورة مكشوفة ان هجوما جديدا سيفرض نفسه بحكم الضرورة يوما ما على المشكلات الاوربية المتحدة المركز ، برلين او المانيا ، او العلاقات الشرقية والغربية ، او التكامل الاقتصادي • ولكننا نشك ان الحرب الباردة التي بدأت فى اوربا ستنتهي فيها ايضا •

**حافـــات آسيـــا :**

ان البقعة الثانية المهمة فى العمل المتداخل للحرب الباردة هـــو مايسميه الاميريكيون « باراضي حافات آسيا » : القوس الكبير المبتدىء بتركيا والممتد اولا من جهة الجنوب الشرقي ومن جهة الشمال الشرقي حتى يصل فى حدوده العليا نحو فرس شرق آسيا وهي اليابان ، وفى هذه المنطقة الكبيرة يوجد عدد غير متناه من الاختلاف فى الجوانب الانسانية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، والتي تشكل نفوسها اكثر من نصف نفوس العالم • ومع تقدير ظروف الاختلاف ، التي تجعل منها تختلف بمشاهدها تمام الاختلاف عما هي عليه في اوربا ، فان مما يجب الوقوف عليه ممن دون دهشة هو ان تكامل المفاهيم الاستراتيجية لكلا القوتين الكبيرتين قد جاءت متوافقة عبر سعيهما من اجل ممارسة كفاحهما هناك •

ان مايجب تقديره هو ان الحرب الباردة لم تكن محلية بالنسبة لاسيا • لقد انتقلت بصورة مسبقة الى الشرق ، والى درجة كبيرة نتيجة لامتداد اجنحة الحرب الباردة لكلا المعسكريـــن • ولـــم يظهر النزاع السوفيتي ــ الاميريكي في آسيا ، على الاقل في شكله الناضج ، الا بعد ان ثبت الجانبان مركزهما ونظما نماذج عملهما • لقد كان لمرور خمس عشرة سنة على الحرب الباردة او اكثر في آسيا القدرة في تقديم برهان عملي يثبت على ان النزاع فيها ليس هو بالنزاع الايديولوجي ولا بالنزاع العسكري ــ السياسي كذلك الذي قام في اوربا • انه نزاع فى الحقيقة يمكن ان ينظر اليه فقط من حيث انه محاولة جزئية ناجحة

من كلا الفريقين للانتفاع من ثروات وطنية وظروف محلية تميزت بعدم الاستقرار •

لقد اعتقدت الولايات المتحدة لاكثر من عقد من السنين ، بان الانتصار السوفيتي الكبير فى حافات اراضي آسيا كان النصر الشيوعي فى الصين • ومع ذلك فان سجل العلاقات مابين الصين والسوفيت حتى خلال سنين الانتعاش السوفيتي كانت غريبة فىاختلاطها بحيث ان بكين بدت تظهر السير في طريق مستقل فى نفس الوقت الذي كانت تزيد من طلباتها على موسكو اكثر فاكثر من اجل مساعدتها • لقد كان التضامن الايديولوجي الطريق الوحيد الذي يربط حقيقيا بقوة بين خصمين طبيعيين ، ولكنه لم يكن قط رابطا عظيما كما قدر له ان يكون ، بحيث اخذ يتصدع فى النهاية تصدعا لارجوع فيه فيما بين عامي ١٩٦٠ و ١٩٦٣ • ذلك ان قيام صين شيوعية هو كعائق بالنسبة للولايات المتحدة هو امر يحمل دليله بنفسه ، اما تفسيره على اساس ان تحقيق الشيوعية فى الصين قد جاءت نصرا للاتحاد الالسوفيتي ، فهو امر قابل للجدل الشديد اليوم •

وما عدا الصين ، فان نجاح السوفيت فى آسيا قد جاء فى فنها ( او قل حظها الجيد ) الذي يعمل على الانتفاع من اوضاعها غير المستقرة وفي ثوراتها المحلية • لقد بذل السوفيت اقصى جهده فى الشرق الاوسط فيما بين عامي ١٩٥٦ و ١٩٦٠ للتغلغل فى الاقطار العربية الصعبة كالعراق وسوريا ، وفي جنوب آسيا بتقديمه صداقته ومساعدته للهند ولاندونيسيا حيث قرع طبوله عاليا ، اما في جنوب شرق آسيا فإنه سعى من اجل الانتفاع من الحرب الاهلية فىلاؤوس اولا ، ومن ثم فى فيتنام ، وكانت حصيلة جهده فى الشرق الاقصى انه سيطر فعليا على شمال كوريا •

اما الولايات المتحدة ، فانها بالمقابل ، قد ضمنت حافات اراضي آسيا في حلقة اصلية من الاحتواء وحاولت بين بداية الحرب الكورية

عام ١٩٥٠ ونهاية الموجة الحادة من الحرب الباردة فى آسيا عام ١٩٥٥ فى ان تربط دول المنطقة ضمن سلسلة من التحالفات العسكرية تحت القيادة الاميريكية • ومن هذه الاتفاقية مابين استراليا ــ نيوزلنده ــ الولايات المتحدة ، وكذلك المعاهدات الثنائية مع الفليبين واليابان والتي وقعت فى عام ١٩٥١ • كما تم عقد تحالف ثنائي مع جنوب كوريا عام ١٩٥٣ وآخر مع تايون فى عام ١٩٥٤ • وقد خلقت معاهدة الدفاع المشترك لجنوب آسيا فى السنة التالية منظمة عرفت باسم « سيتو » (SEATO) والتي ضمت اشتراك ثمانية امم : الباكستان ، الفليبين ، وتايلاند ، وخمسة امم بيضاء هي استراليا ، وفرنسا ونيوزلنـــدة ، والمملكة المتحدة والولايات المتحدة ، واخيرا وفى عام ١٩٥٥ ، قبلت الولايات المتحدة حلف بغداد ، الذي اصبح بعد ذلك ( ١٩٥٩ ) منظمة المعاهدة المركزية (CENTO) وهو اليوم يضم ايران ، باكستان ، تركيا ، والمملكة المتحدة مع الولايات المتحدة المتعاونة مع المنظمة والمرتبطة بتحالفات ثنائية للمساعدة والدفاع المشترك مع ثلاثة من الاعضـــاء الاسيويين •

ان هذه المعاهدات كانت قد استوحت نماذجها من حلف الاطلسي وسعت من اجل تكرار فوائد الـ (NATO) فى المناطق الممكنـــة التطبيق • ان تجربة الولايات المتحدة مع هذه التنظيمات لم تكن ، على اية حال ،مسرة • فلم يظهر من بين الحلفاء الاصغر اية حالة يكون فيها ذلك الحليف راغبا فى قبول قيادة واشنطن السياسية والعسكرية وفق شروط مرضية بالنسبة لها ، على الرغم من انها جميعا ظلت تواقة في قبول الشحن المستمر للمساعدات الاميريكية • وعلى مايبدو لم يظهر اي عضو مؤيد بثبات التعريف الاميريكي للخطر المشترك ؟ كما لم يقتنع احد ، على مايظهر من ان الهدف الوحيد من اقامة قوة تحالف هو لصد اي هجوم موحي به من قبل السوفيت • ان لهؤلاء اهدافا اخرى حاولوا ان يوجهوا الولايات المتحدة اليها • وما ان جاء وسط الستينات حتى جاء

التقدير الاميريكي للمنافع المجنية من المعاهدات والارتباطات التنظيمية ليحث على اجراء تعديل هائل ـ نحو التقليل منها .

ان جزءا من المشكلة بالنسبة لكل من الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة عبر آسيا هي الشكل الغامض الذي يتم من خلاله توضيح النزعات . وازمات آسيا ظلت بالطبع كثيرة فى عددها ، فمشكلة كوريا انفجرت الى حرب مكشوفة فى عام ١٩٥٠ ، وفى عام ١٩٥٦ كان الغزو الانكليزي ـ الفرنسي ـ الاسرائيلي لمنطقة السويس والذي عبر عن تطرف معاكس فى آسيا ، قد جلب وراءه مجابهة جدية ومخيفة ، ثم كانت الحرب الاهلية فى لاؤوس فى ١٩٦٠ و ١٩٦١ وبعدها حرب العصابات (التي كان جزء منها محليا والجزء الاخر عالميا) فى فيتنام بعدعام ١٩٦٢ تلك الحرب التي حملت معها شبحا تصاعديا . ولكن عاملا ثابتا من ازمة الحرب الباردة في آسيا الذي لم يلاحظ خلال السنين الاولى ، قد اصبح قويا ابان انقضاء اعوام الخمسينات وتحولها الى تاريخ . فمهما كان الشكل الذي يأخذ النزاع ، ومهما كان مستوى الخطر والعمل غير المباشر الذي يمكن ان يصله اي من الجانبين او او كليهما ، فانه لمن المستحيل فى الاغلب تأمين مخرج يمكن ان يكون نصرا او فشلا لاحد الفريقين . ذلك ان الاوضاع الغامضة تسير على مايبدو الى نتائج غامضة .

ويعزى بعض السبب فى ذلك الى ان غموض الحرب الباردة يعتبر المعبر الوحيد الاخر عن التعقيد السياسي المذهل لاراضي حافات آسيا . والولايات المتحدة بتفضيلها التقسيم الثنائي البسيط للشيوعيين الذين يحاربون من هم ضدهم والذين تحالفت هي معهم ، قد وجدت نفسها وقد وقعت مرات عديدة فى شباك قضايا عقيمة مصطنعة . وفى محاولتها فصل الجوانب المتطرفة من الحرب الباردة الى اوجه متعددة ، فان واشنطن قد سلكت غالبا بقوة ، وان كانت غير فطنة ، لتدمير جميع الاوجه البديلة ماعدا تلك التي تتطرف الى اليسار او تتطرف الى اليمين. ولقد حدث هذا فى اماكن اخرى غيرها فى تركيا ، فى جنوب كوريا ،

في العراق، فى لاؤوس وفى فيتنام • ولقد ساءت احوال كل هذه الاقطار، ماعدا لاؤوس الى مايمكن ان يوصف بثورة ضد النظم التي ساندتها الولايات المتحدة بحيث فقدت تلك النظم مساندة شعوبها ، بينما وجدت لاؤوس نفسها وقد حوصرت بحرب اهلية مما دعا الولايات المتحدة الى ان تميل الى مساندة العناصر اليمنية بقوة ، وبجميع الوسائل عدا تلك التي تلتزم بارسال قوة عسكرية •

ولقد اختار الاتحاد السوفيتي ايضا من التيارات المتشابكة في الحياة السياسية ، القائمة في آسيا وبالاعتماد على مايبدو على الاحزاب الشيوعية المحلية بالدرجة التي يؤثر فيها سنان الرمح من تخريب ، وظل يعمل فى نفس الوقت على تحسين العلاقات الدبلوماسية مع النظم الوطنية• لقد بدت موسكو وهي تسعى من اجل اقامة شبكة هجومية مضاعفة فى في دول كمصر والعراق ( ببعد ثورة عام ١٩٥٨ ) والهند وبورما ، واندونيسيا واليابان ولكن النظم المحلية ، مع انها ترغب ، عادة بقبول الروبلات السوفيتية والمساندة الدبلوماسية السوفيتية كما لو كانت دولارات الاانها مع ذلك رفضت ان تلعب اللعبة بالطريقة السوفيتية • فاغلب الحكومات الاسيوية وجدت ان من الضروري والنافع منع احزابها الوطنية الشيوعية، وبذلك حرمت موسكو من احد سواعد سياستها ، وفى نفس الوقت ، فان مواقفها العالمية الحيادية لم يجر عليها اي تعديل في اي اتجاه بسبب علاقاتها الحسنة التي تتمتع بها صدفة مع الاتحاد السوفيتي •

لقد تعقدت صعوبات الاتحاد السوفيتي فى آسيا بعد عام ١٩٥٥ بازدياد دور الصين الشيوعية • فبكين لم تكن لتخدم فى الحقيقة قط كحصان مطارد لموسكو في اية نقطة ولكن بعد هدنة ١٩٥٤ فى كوريا واندنوسيا ، بدأ الصينيون بصورة مكشوفة ادارة سياستهم الامبريالية الخاصة بهم فى آسيا • وببنائها على العناصر الاسيوية الثورية المناوئة للبيض، وضعت نفسها موضع القوة المناوئة للاستعمار والمحررة للاسيويين فى شؤنهم كبديل لكل من موسكو وواشنطن • ان التباعد بين الصين والسوفيت له اسبابه الكثيرة ، ولكن بالتأكيد لايمكن اعتبار المنافسة

العلنية مابين الزعيمين الشيوعيين الكبيرين في آسيا بانه سبب ثانوي، والذي يشخصه بكل وضوح التأييد السوفيتي للهند اثر حادثة الهجوم الصيني على ذلك القطر في عام ١٩٦١ وعام ١٩٦٢ •

وهذا الوضع يضع الولايات المتحدة ثانية في ازمة • فبعد ان كرست اميريكا جهودها على مفهوم وحدة الحرب الباردة ، وجد صانعوا السياسة الاميريكية انفسهم انهم مجبرون على استخدام القليل من التميز الدقيق في تحليل اوضاعهم واختيار حلهم البديل • ومما هو اكثر تعقيدا الدور الذي لعبته بعنف الحركات الشيوعية في آسيا ــ مثلا في فيتنام الشمالية ــ التي كانت ضد اميريكا ، ولكنها بدت مصممة في ان تبقى خارج اي من محوري القوة للصين وللروس •

وبقدوم عام ١٩٦٤ فان كلا العاصمتين قد فقدتا كثيرا من قدرتهما لليسيطرة على الاحداث في آسيا وكثير من تشوقهما لحسم جميع الاسئلة الاسيوية المتعلقة بشروط الحرب الباردة ايضا • ومع ان قوة الدفع التي اعلنت بقرارات سابقة ظلت تحمل كلا منهما في السير الى الامام عبر الطرق المألوفة، فان الاتفاق الذي توصلا اليه حول موضوع لاؤوس مثلا واستمرار السياسة الاسيوية يفترض ان كليهما يتناقض في تفاؤله حول الامل في حل اي شيء مهم في اراضي حافات آسيا • لذا فان التوتر والخطر سيظل نصيب آسيا لسنين كثيرة ، وان اثارة المشكلة مجددا هو امر محتمل ، ولكن الحرب الباردة في آسيا تدور بوضوح حول تركيب جديد وباتجاه جديد •

**الامتدادات الاكثر بعدا : افريقيا واميريكا اللاتينيــة :**

ان ادخالنا لافريقيا واميريكا اللاتينية كمواقع للتهديد في الحرب الباردة في حديثنا ليس بسبب انها تقدم نقاطا تتشابه في تفاصيلها ولكن الاكثر من ذلك هو انهما تشتركان في خصائص عامة : فكلاهما، بالرغم من انشغال اميريكا مع كاسترو في كوبا، يشكلان تهديدا ثانويا في النزاع ، فليس هناك في قضية المواجهة في الحرب الباردة لاي منهما نقاط يمكن ان

يقال عنها انها قاسية ماعدا المثال الوحيد المتمثل بازمة كوبا لعام ١٩٦٢ • وسوف نناقش تلك القصة العارضة بتفصيل اكثر في الفصل المقبل • وبخلاف ذلك ، فان شمول افريقيا واميريكا اللاتينية في الحرب الباردة لايمكن تقديره باكثر من امر خارجي ، ذي اهمية قليلة نسبياً لكلا الفرقين، وبذلك يستحق اهمية ثانوية فقط •

لقد اتت الحرب الباردة الى اميريكا اللاتينية وافريقيا جنوب الصحراء في اواخر الخمسينات تماما ــ بعبارة اخرى ، بعد ان جمع كلا المعسكرين تجربة معينة فقط في آسيا في ادارة السياسات العالمية محيط غير غربي • ان سير الحرب الباردة في هــذه المناطق يفترض بقوة بان كليهما قد تعلم شيئا مهما من تجربته الاسيوية السابقة ، وهو عدم توقع ربح كبير من مشروعه • كما لم يكن هنالك في الاغلب توقعاً استثنائياً لقضية كوبا المنفردة ، التي دفعت بنفسها بنشاط كبير على كلا القارتين •

لقد كانت اميريكا اللاتينية تعتبر عالميا منطقة نفوذ اساسية بالنسبة للولايات المتحدة ، حشرت بامان تحت الجناح الاميريكي لحلف ريــو لعام ١٩٤٧ والتنظيم الدقيق للدول الاميريكية • ومعنى ذلك ان التغلغل السوفيتي هنا يعتبر طبيعيا اثارة استثنائية للولايات المتحدة • اما افريقيا ، فانها من الجهة الاخرى ، قد انفجرت بعد عام ١٩٥٧ الى دول جديدة متعددة الالوان وربما كان اصدق وصف لها هي أنها اخذت تبدو وكأنها بقعة بكر صالحة لاستغلال القوتين الكبريتين اللتين لم تصلا نسبيا الى الى مستوى اللعنة الامبريالية التي ثار ضدها الافريقيون• وهذه الحكومات الجديدة لم يكن لديها جميعا التجربة ، وان اغلبيتها كانت غير مستقرة ، ناهيك عن ان القارة قــد انهكت بالعواطف السياسية الشــديــدة • ومع ذلك وحتى من خلال هذا المناخ الملائم ، فقد كان من المستحيــل للحرب الباردة ان تغرس موطأ قدم ثابت فيها •

وحتى الوقت الذي بدأ فيه الاتحاد السوفيتي طعنته الى داخل اميريكا اللاتينية ــ ونقصد بذلك نجاح ثورة كاسترو في كوبا فانه

مما لايمكن انكاره هو ان الولايات المتحدة كانت بقدر مايتعلق الامر بالحرب الباردة تنظر بدون قيد او شروط الى جمهوريات اميريكا اللاتينية بروح من العطف النابع من واقع الامر، ان لم يكن من ناحية رسمية. ولقد كانت تشكيلات البناء العسكري والسياسي الشيوعي الخطر مبعث اهتمام شديد من قبل الولايات المتحدة بحيث انه لم يترك مجالا كبيرا امامها للتخطيط الجدي البعيد لمواجهة ظروف عدم الاستقرار والشغب التي خلقتها تلك التشكيلات المدمرة في وسط وجنوب اميريكا . كما لم يكن الهجوم السوفيتي في اميريكا اللاتينية ، بالاضافة قائما على غير اساس . ذلك ان موسكو وجدت في كوبا والبرازيل وفنزويلا ودولا اخرى غيرها من ظروف افتقاد العدل الفظيعة والتذمر ما يمكنها من الاستناد عليه لفك قيود الشيوعيين المحليين التابعين لها . وهذه باختصار هي قصة كوبا فثورة كاسترو قد تكون او لاتكون شيوعية فى روحها ، ولكن التأثير السوفيتي فى كوبا لم يصبح بالتأكيد حقيقة بعد مدة من تحقيق الثورة لنجاحها .

وامام هذا التحدي السوفيتي في اميريكا اللاتينية فقد كانت استجابات الولايات المتحدة ازاءها مختلطة . ولقد تمثل رد الفعل المبدئي بالمحاولة الاعتيادية المتمثلة بتشجيع خلق حكومات قوية فى معاداتها للشيوعية ضمن المنطقة باسرها ، وذلك بغية ربط الدول اللاتينية برباط اكثر قوة بالولايات المتحدة فى كفاحها الصليبي ضد الشيوعية العالمية ، ولاقامة قوة عسكرية تدخل فى ترتيبات فكرة تضامن نصف الكرة الغربي. وهذا الاسلوب ، على كل حال ، قد استحدث بدعة مقاومة اللاتينيين لسببين الاول ، ان المحاولة الاميريكية لاعادة تقوية نصف الكرة الغربي على اساس عسكري سياسي قد جاءت صفعة لجزء كبير من الزعامة التي تتمتع بها بعض حكومات اميريكا اللاتينية صاحبة التأثير، بما فيها المكسيك والبرازيل وشيلي ، والثاني ان خصومة الشيوعيين وخصومة الكاستروية تحمل بكل سهولة خطورة تفسيرها بانها خصومة للحركة الاصلاحية ، وان القادة التقدميين من اميريكا اللاتينية لم يرغبوا فى ان تكون محاولاتهم حديثة الميلاد فى التقدم بان تتلاشى لصالح ازدياد شدة قوة السيطرة

العسكرية ــ السياسية • ونتيجة لذلك فقد ضربت الولايات المتحدة في خطها الثاني على الرغم من انها لم تترك رسميا الاول ــ خط الهجوم الذي يرمز له بالتحالف من اجل التقدم لعام ١٩٦١ •

ان التحالف كان منهجا للمساعدة مع شيء من الاختلاف • انه وعد بمساعدات اميركية واسعة ولأمد طويل الى اللاتينيين ولكنه تحالف من اجل ان يعطى بالمقابل تقدما نحو الاصلاح والتحديث فقط • وان استمرار مساعدة الولايات المتحدة كانت تعكس اتفاقا واضحا يقوم على تأمين موقف معقول في معاداة الشيوعية من قبل كل دولة لاتينية • ان اسلوب الجزر ــ والعصا كان له نتيجة يمكن التنبؤ بها تقريبا • فبعد عام ١٩٦٣ حدثت سلسلة من الانقلابات ضد نظم منتخبة من قبل الشعب هزت اميركا اللاتينية بحيث وجدت الولايات المتحدة نفسها فيها وقد تحالفت مع حكومات ديكتاتورية تطلب المساعدات الاميركية تحت شعار تبريري وهو معاداة الشيوعية والكاسترویة • ومن خلال هذه الكارثة لم يكن بامكان واشنطن العثور على مخرج سهل امامها للخروج منه •

اما في جنوب الصحراء الافريقية فقد سعى الاتحاد السوفيتي مبدئيا على نشر صداقاته وبالتالي تأثيره على عدد قليل من دول افريقيا المستقلة حديثا والتي قد ضابقتها مشاعر ملتهبة مفعمة بعدم الارتياح او القومية العدائية والحركات المعادية للاستعمار : وهي غانا وغينيا ومالي • وفي عام ١٩٦٠ جرت محاولات للاستفادة من توجيه الازمة الحادة في الكونغو لصالحها الاني • الا انه بدا واضحا بعد عدد قليل من السنين ، عدم قدرتها على اية حال ، من تحقيق اي نجاح • وبناء على ذلك فقد هجرت الدول الافريقية المتفجرة اساسا فكرة محاولتها في خلق ازمة جديدة مع جيرانها وامكن صد التحدي الشيوعي في الكونغو على اعقابه • على ان التوسع السوفيتي في افريقيا كان قد ظل يشكل خطرا كافيا باجراءات مضادة ولكن دونما ان يتمكن من تحقيق نتائج صلبة •

لقد جابهت الولايات المتحدة الخطر السوفيتي في افريقيا بكثير من الاحاطة . لقد كان منهاج واشنطن خاليا تماما من اي محتوى عسكري — سياسي . ففي الكونغو انها عملت عن طريق مسعى الامم المتحدة الجماعي، بينما ظل اسلوبها الكلي فى افريقيا متسما فى التصميم على ان يظل غير مباشر . فسلمت كميات معتدلة من المساعدات الفنية والاقتصادية بشيء من اللباقة والتحفظ غير الاعتيادي ، وكانت مدعمة باشارات ثابتة من اجل دعم العلاقات العامة ، كفرق السلام التي حققت ربحا تدريجيا ولكن بزيادة حقيقية لحسن النية . ولم تمارس الضغط السياسي الايديولوجي الا بدرجة قليلة جدا، على الرغم من ان السياسة الاميركية دعمت بسكوت الحركات النامية نحو اقتصاد بـ ( وربما فى النهاية نحو سياسة ) افريقي متكامل . وفى ظل مصطلحات الحرب الباردة ظل مفهوما بكل ثبات وقوة ان افريقيا كانت وقد صممت على ان تظل حيادية ، وبذلك توصل الاميريكيون بالنهاية الى ان افريقيا الحيادية هي ايضا غير خاضعة للنفوذ السوفيتي . وبهذا القدر على الاقل ، يمكن تصنيف موضوع النصر فيها .

# الفصل السادس

## معالم القضايا والازمات

# الفصل السادس

## معــالم القضايا والازمات

ان احدى الخصــائص البارزة فى الحرب الباردة كما مارســها الاميريكيون هي نظريتها العقلية المتمثلة بسلسلة من الازمات • فلقد فهم النزاع مع الاتحاد السوفيتي منذ البداية بانه يتطلب استعدادا حازما لتفهم قضية بعد اخرى ، تختلف كل واحدة منها عن الاخرى في موضوعها ولكنها تثير جميعا قضايا مرتبطة تخص العدوان السوفيتي والاستجابة قطعا لمواجهة الولايات المتحدة ، وانه متى ماتم احاطتها وتبديدهــا ، فانها توضع جانبا لتهيئة الامة لاستلام القضية التالية لها •

والذي يشكل النقص فى هذه النظرية لفترة طويلة ، وكما اشرنا فى الفصل السابق ، هو بعض التكتيك المميز لتقرير اي من المواضيع هو من الناحية الجوهرية اكثر اهمية من الاخر • وهذه الاسبقية المحيرة فى الحكم ظلت تشكل المشكلة التي على الولايات المتحدة ان تحلها • وبالنظر لعدم قدرتها فى اكتشاف وسائل عملية لمجابهة المشكلات المهمة في الوقت التي ترفض ان تنزعج بالقضايا القليلة الاهمية ، فان واشنطن قد فضلت عبر فترة الحرب الباردة ان تلعب دورها بامان وذلك باعطاء كل ازمة اقصى ماتستحقه من مقاييس الانتباه والعمل •

ومن خلال الرجوع الى الوراء فقط ، فقد تمكن الاميريكيون من اكتشاف المعالم المهمة لبعض النقاط البارزة فى الحرب الباردة • فلقد وجد ان عدداً قليلا من المجابهات قد اثر بصورة غير متوازية على سير النزاع ، اما بسبب من الاهمية الموروثة لبعض القضايا او بسبب طبيعة القرارات المتخذة من قبل محركات النزاع الحقيقية • ومن خلال تتابعها

الحاصل تم اكتشاف اكثر التطورات المناسبة في الاتجاهات العامة داخل معركة النزاع •

ان السياسة الاميريكية منذ البدايات الاولى لسنين الحرب قد تحددت بصورة اساسية بالقاعدة التنظيمية التي عرفت باسم القطبية الثنائية • وكمفهوم فى السياسة العالمية فقد دل مصطلح القطبية لما يقرب من جيل بانه أكثر من الحقيقة المبسطة والقائلة بان الولايت المتحدة والاتحاد السوفيتي كقوتين كبيرتين وقد انشغلتا بنزاع كبير مستمر يعود الى تاريخ بعيد ، ذلك المضمون الذي استخدمته ولاتزال تستخدمه الصحافة ، وكذلك فى الاحاديث اللعامة • ان مفهوم القطبية الثنائية يضم نظرية كاملة فى كل من السياسة الدولية والسياسة الخارجية الاميريكية •

فى اواخر الاربعينات ، عندما نال المصطلح قبولا واسعا ، فان مفهوم القطبية الثنائية قد افترض ان هناك فقط قوتين مركزيتين فى العالم ـ الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي ـ وان هناك موضوعا واحدا فى السياسة الدولية ـ هو العلاقة بين القوتين • وكما رأته الولايات المتحدة ، فان مضمون القطبية الثنائية كان واضحا • لقد كان على الولايات المتحدة ان تركز جميع انتباهها ومحاولاتها على مشكلة الاتحاد السوفيتي ، وبقيامها بمثل هذا العمل فانها تبدي اهتماما بجميع مصالحها المهمة •

لقد اشرنا فى الفصول السابقة الى بعض النتائج غير الموفقة وغيرها ، من جراءالنظرة الضيقة للولايات المتحدة • وموضوع هذا الفصل الرئيسي البحث في الدرجات المختلفة للقطبية الثنائية فى الماضي ومالها الان من انعكاس دقيق وفعلي على نقاط تاريخية مختلفة ، كيف اصبحت القطبية الثنائية حربا باردة وفى اية فترة ، وماهي قيمة المفهوم اليوم لصانعي السياسة الاميريكية •

ونستطيع القول بوجه عام وفى ضوء تطابق القطبية الاميريكية فان فترة الحرب الباردة يمكن ان تقسم الى اربعة فترات رئيسية • الاولى

امتدت من نهاية الحرب العالمية الثانية الى بداية للحرب الكورية ، التي تمتعت خلالها كلا القوتين الكبيرتين ببعض النجاح باستخدام فكرة القطبية الثنائية على النظام السياسي العالمي • وهذه الفترة كانت فترة السيطرة القصوى للقوى الكبرى على الاحداث •اما الفترة الثانية فقد تضمنت الحروب فى كوريا واندونيسيا من عام ١٩٥٠ وحتى عام ١٩٥٤ • واذ شهدت هذه الفترة ان الدول الكبرى غير قادرة على اتخاذ قرارات نهائية ، الا انها على الاقل استطاعت تجميد الشؤون الدولية في حالة من العقم العسكري • اما الفترة الثالثة فهي التي تضم تصفية فكرة القطبية الثنائية ــ فى وجه مقاومة القوى الكبرى ــ والممتدة من نهاية مؤتمر جنيف لعام ١٩٥٤ حتى فشل مؤتمر باريس للقمة عام ١٩٦٠ • واخيرا، الفترة الرابعة التي بدأت فى عام ١٩٦٠ واستمرت الى حد هذا اليوم، والتي تميزت بازدياد قبول الحقيقة، من قبل كلا القوتين الكبيرتين، وهي ان مجال سيطرتهما قد تناقص ، وبالتالي ازدياد رغبة الفريقين فى معاملة احدهما للاخر على اساس ثنائي •

وضمن كل من هذه الفترات فان بالامكان فرد ازمة واحدة او ازمتين كحد اعلى لتلخص بدقة الفترة التي يمكن التفكير فيها كصورة لعالم صغير للحرب الباردة فى تلك الفترة • اما الاوجه المختلفة التي تأخذها الازمة فى اوقات مختلفة والانتقال من واحدة الى اخرى فانه يمكن ان يلقي الضوء العالي على تطورات الاتجاهات •

**حصــــار برلــين :**

ان الحصار السوفيتي لبرلين فى عام ١٩٤٨ واستجابة الولايات المتحدة له كان قد شكل الازمة الاساسية الاولى في الحرب الباردة • وحتى تلك النقطة فقد كان النزاع غير مباشر وبياني واستعدادي • ففي برلين تم الاختيار الاول الكامل للقوة ثم تلاه مااتخذ بشأنه من تصميم •

لقد حدثت الازمة خلال فترة تصاعد فكرة القطبية الثنائية ، حينما اقتنع الفريقان ايديولوجيا وعمليا بان ايا منهما يستطيع ان يحرك قوات

كاملة داخل كتلته مستخدما اياها فى الطريقة التي يراها مناسبة • ولقد كان البرلينيون والالمان لا اكثر من مخلب القط فى النزاع• وبالرغم من المحاولات التي بذلت على الصعيدين المحلي والتعاون الدولي ( على الاقل من جهة الولايات المتحدة )، فقد بدت أزمة برلين بدايتها وكانها وقد قدر لها ان تحدث تصادما سوفيتيا ــ اميريكيا • ومن اجــل معرفــة الدوافع والاستراتيجية والتكنيك فاننا بحاجة الى ان نذهب الى ابعد من القيادات العليا للدولتين •

ان سبب حصار برلين والازمة التي رافقتها هو امر معروف جيدا • فالحلفاء الغربيون ، بقيادة الاميريكيين ، كانوا قد قرروا في عام ١٩٤٨ اتخاذ خطوات جدية من اجل انعاش اقتصاد المانيا الغربية • وكجزء من هذا المخطط تم القرار على اصدار عملة جديدة للمناطق الغربية الثلاثة وجعل هذه العملة الجديدة وهي المارك الالماني نافذة لجيمع برلين بمــا فيها الاتحاد السوفيتي • وازاء ذلك اعترضت موسكو ،واصر الغرب على خطوته ،وتتيجة ذلك اغلق السوفيت الممرات الارضية من الغرب وحتى عاصمة المانيا السابقة • وما كان من الولايات المتحدة الا ان تستجيب لذلك الاجراء بكل سرعة باستخدامها النقل الجوي المشهور ، ولكن ذلك تم فقط بعد تقدير وهجر الوسائل الارضية الداخلية • ولكن الامر من الناحية العملية كان اختبارا عقيما برميه الاشياء من بعيد الى داخل برلين •

لقد صاحب الازمة تصعيدا سريعا خلال صيف عام ١٩٤٨ بحيث بلغ مستوى الهضبة فى التوتر ، حتى اضفى بالتالي متعفناً • وما جرى هو ان موسكو لم ترغب في فك الحصار ، اما الولايات المتحدة وحلفائها فلم يهجروا طريقة « الرفع الجوي » • ومن خلال سير النزاع بالاضافة ، فقد اتخذ الجانبان موقفا ثابتا بحيث شكل قاعدة صابة « لمسألة برلين » التي تلت • لقد اصر الاتحاد السوفيتي على اخلاء برلين من قبل الغرب • اما الولايات المتحدة فقد اعلنت بدورها رفضها فى ان « تدفع خارج

برلين » وان نيتها هي البقاء هناك حتى تتوحد المانيا • وهكذا فقد عمل الجانبان بكل قوة على دعم موقفهما في الايام الاولى بحيث لم يجد ايا منهما منفذا معقولا لتعديل موقفه •

وهناك امر فرعي آخر انبثق من حصار برلين وهو عدم قدرة الامم المتحدةفعليا فى معالجة نزاع القوى الكبرى ، ومع ان المفكرين النظريين قد اشاروا ابان انعقاد مؤتمر فرانسسكو عام ١٩٤٥ الى ان الامم المتحدة ــ والمقصود بها مجلس الامن ــ اعتمدت على اجماع القوى الكبرى من اجل ان تكون فعالة ، فانه لم يظهر شيء من هذا القبيل حتى ازمة برلين حيث بدأ الجهاز الرسمي لصنع السلام المتمثل بمجلس الامن وقد ظهر اخيرا بانه قد وصل الى نهاية مغلقة • اما رغبة موسكو فى استخدام الفيتو بغية اعطاء امتيازات حقيقية تدعم الموقف السوفيتي ، فان ذلك قد ابان بان الامم المتحدة فى ظل ميثاقها الاصلي لافائدة انية ترجى منها لاغراض الحرب الباردة لاي من الطرفين •

وصحيح ان النهاية المتفق عليها بشأن برلين كانت قد تمت مناقشتها في الامم المتحدة ، على الاقل فى مراحلها الاولى ، ولكن المسألة من حيث تكتيكاتها وموضوعاتها والتفهم الذي اوقف الخلاف كان عملا ثنائيا • وكانت النتيجة ان توصل الفريقان الى حد ادنى من الاتفاق الذي استند على تعديل جزئي كان كافيا بان يسمح للفريقين بالتراجع عن المواقع غير المربحة التي وصلوا اليها • واما الاتفاق ذاته فلم يصل وكما برهنت الاحداث فيما بعد ، الى شيء بشأن برلين ، ولكنه جعل من الممكن فتح طريق الى المدينة، كما دفع باطراف الحرب الباردة بحمل نزاعهم الى مناطق اخرى •

ولعل من المفيد ان تتذكر ان التفهم الذي عن طريقه تمت التصفية قد دعا ايضا الاربعة الكبار ــ فى الحقيقة السوفيت ــ والاميركان ، الى الدخول فى حديث حول مستقبل المانيا • لقد كانت المشكلة الاكبر لالمانيا اساسا هي التي ادت الى قيام قضية برلين والتي تجسدت فعلا

عام ١٩٤٨ ، وظلت قائمة بالفعل خلال الستينات ، اذ لاحل ممكن لبرلين الا من خلال مدى اوسع يتناول النظر في جوهر القضية الالمانية • لقد فشلت المفاوضات الجديدة في ان تؤدي الى اية نتيجة ، ولكن من الواضح ان كلا الجانبين قد وجدا بعدئذ كما يبدو عليهما اليوم بكل وضوح حاجتهما فى البحث عن حل اذا تعجل الالمان وحاولوا ان يأخذوا الامور بايديهم •

وهكذا ومن خلال ازمة حصار برلين باسرها لعام ١٩٤٨ ــ ١٩٤٩ نجد ان نغمة جوهر النزاع قد وضع من قبل القوتين الكبيرتين• لقدتنازعت موسكو وواشنطن على المانيا المندحرة • لقد اثار السوفيت الازمــة لكي تفي باغراض الاستراتيجية والتكنيكية ،بينما اختارت الولايات المتحدة السرعة والمدى والشدة وسمة الاستجابة الغربية •واما الازمــة فقد قدر لها ان تستقر عند مستوى كان حصيلة تأثير السياستين على بعضهما واستمر طيلة المدة التي رغب فيها الجانبان فى استمراره • ومن وجهات نظر كثيرة ، فقد وضحت برلين ظهور مجرى القطبية الثنائية فى اعنف صوره • ان مايجب تذكره ، مثلا ان الولايات المتحدة صادقت خلال الازمة على مشروع مارشال وحولته الى قانون وتفاوضت بشأن حلف شمال الاطلسي ، بينما قوّى الاتحاد السوفيتي قبضته على الثورات التي اجتاحت الدول التابعة كبولندا التابعة وتشيكوسلوفاكيا وهنغاريا واقنعت نفسها بخسارة يوغسلافيا •

وقد كان لبرلين بالنسبة الى الاميريكيين اهمية خاصة • فقد كان الاتفاق الجوي عملا علنيا جدا ضد العدو الجديد بل المكروه ليكون بعلاقته رمزا كبيرا لقضايا اخرى كثيرة جدا • وكان من السهل التحدث عن المشكلة لافهام الرأي العام : الولايات المتحدة تتمسك بموقفها امام جميع القادمين ودونما اي اهتمام بالعواقب • اذ ليس هناك اي تعبير آخر اكثر تهدئة للشعور القومي المجروح يمكن تصوره • ومع انه تعبير وطني ونبيل الا ان جانبه السياسي يمثل صورة حمقاء للنزاع مع الاتحاد السوفيتي ، بحيث ان الحكومة الاميريكية على اية حال ، لاقت صعوبة

كبيرة في تخليص نفسها • وكما كانت احدى المدن الالمانية ــ ميونخ ــ قد امست فى خلاصتها خائفة وضعيفة فى استسلامها للدكتاتوريين ، فان مدينة اخرى ــ برلين ــ قد تحدث صورة لخنــدق اخير ومكان مقاومة غير مثمرة وخوف عام على غرار نموذج تهدئة ميونخ بحيث ادى الى كبت السياسة الاميريكية فى المانيا منذ ذلك الحين •

**الحــــرب الكورية :**

اذا كانت ازمة حصار برلين لعام ١٩٤٨ يمكن ان تعتبر بانصاف كازمة تشكل نقطة البداية للسنين الاولى مــن الحرب الباردة فى اوربا خلال الفترة حينما كانت فكرة القطبية الثنائية سائدة، فان الحرب فى كوريا التي بدأت في ٢٥ حزيران من عام ١٩٥٠ ، قد دخلت فى فترة كانت فيها آسيا وقد اصبحت مسرحا اساسيا فى الحرب الباردة والتي اصبح فيها مبدأ الوقوف فى كل شيء الحالة المقبولة فى النزاع • ومن خلال قصة برلين العارضة ، فان كلا الجانبين قد تمسك بعقيدته الاصلية القائلة بان ايجاد منفذ للحل معقول لهو امر محتمل وانهما كانا بالفعل قد تمكنا مــن السيطرة على وضع كانا يتحركان ضمن حدوده • وبينما كانت الحرب الكورية تسير فى انحدراها المر ، على كل حال ، فان كلا الجانبين كانا قد اجبرا مع التردد على قبول تناقص احتمال النصر عن طريق الهجمة المباغتة • ٢ ا ارغما على اختيار الوضع المؤلم والقائم على الدليل الذي لايمكن انكاره وهو تردي قدرتهما من السيطرة على كل من الاحداث والحلفاء • لقد وجدا نفسيهما ان عليهما المساومة والمداهنة من اجل حماية مرور خطهما الداخلي بسلام كون كلاهما قد فقد قدرته لصنع سياسة عسكرية شاملة للحرب الباردة •

لقد كانت الحرب الكورية النتيجة المنطقية لسياســة ســتالين المتصلبة ، التي اختبرت وتمخضت بالفعل عن ازمة اوربية وحذر فــي الشرق الاوسط • لقد اختار الاتحاد السوفيتي الذي حط فى اوربا ، وخاب امله فى مشاريعه في الاماكن الاخرى ، فحص قرار اميريكا عــن

طريق تصعيد النزاع الى حالة شديدة • اما التتبع الدقيق لسير الاحداث التي دفعت الى الهجوم على شمال كوبا فهو مايزال غير معروف كليا ، ولكن هناك اليوم قليل من الشك في أن هدف الهجوم الشيوعي علـى جنوب كوريا لم يكن هدفا عاما وانما كان هدفا جزئيا وفي الحد الادنى فقط • واذا كان هذا هو الهدف الاساسي ، فان افضل توقع لهم هو الانتظار بصمت والسماح لانتشار الفساد السريع في جنوب كوريـا بغية سقوطها بايديهم • ان الواقع الحقيقي من الهجوم كان لاختبار قوة مبدأ الاحتواء في مكان غير مريح بالنسبة للولايات المتحدة وتحت ظروف تختلف عن مكان سابق طبق فيه هذا المبدأ •

واذا كان الاستراتيجيون السوفيت قد توقعوا ردا اميريكيا ضعيفا ومتذبذبا ، فان حساباتهم يجب ان تصنف ضمن الاخطاء الرئيسية فى الحرب الباردة • لقد كان للسرعة والمدى فى استجابة الرئيس ترومان ان افقد القيادة الشيوعية صوابها • لقد مرت القوات الاميريكية فى المعركة بسرعة ، بحيث انها كادت تكتسح الجزيرة باسرها ، مما دعـا الى حدوث اعادة في التشكيلات وهجوم مضاد والذي ادى اخيرا الى بدء ممارسة الضغط على خط نهر يالو • وما كان من الصين الشيوعية الا وان تتدخل بسرعة ، مما جعل ان تشكل العملية الصغيرة التي قامت بها ، على حد قول الجنرال ماك ارثر « حربا جديدة تماما » •

والذي يبدو واضحا اليوم ان القوات الشيوعية لم تتوقع فى ان تجد ضرورة للقتال على مثل هذه الشروط والمدى الواسع • وبدلا من ان يكونوا هم الذين يتحكمون فى سرعة وظروف النزاع، فان القوات الكورية الشمالية والصينية وجدت نفسها فى حالة دفـاع استراتيجي وانهـا تحارب تماما من اجل ارواحها • وفي ظل هـذه الشروط كـان قرار الولايات المتحدة ـ الامم المتحدة الذي لايفرض التوقف عند خط عرض ٣٨° وانما السير الى نهر اليالو يجب ان يعتبر كقرار قوي لشن هجوم مقابل ، بدلا من اداتته ، كما هو الامر غالبا ، كونه كان تحويلا

من اجراء يتخذه البوليس من اجل الدفاع الى حرب عدوانية • وهذا الموقت هو الذي اعتقده الناطق بلسان الهند • لقد كان تحدي الامم المتحـــدة قد فرض على موسكو وبكين اختبارات صعبة ، وبرهـــن على ان الاحتواء ، يعطي بعدا عسكريا، وانه يعني اكثر بكثير من المعارضة البسيطة وتحييد محتمل للمبادرات الشيوعية وربما يعني ، تحت ظروف مناسبة ،هجوم مضاد نشط •

ان الضغط الاميريكي الملحاح في المراحل الاولى من النزاع الكوري هو الذي ادى الى رد القوة لصينية • ذلك ان رغبة الاميريكيين فى الدفع بالمجازفة الى مستوى اعلى قد عجل اللحظة التي زاد فيها الخط البياني من تأشيره لزيادة التكاليف والمجازفة بحيث تعدى نقطة المردود المتناقض او على الاقل النقطة غير المرنة • وحينما وصل الجانبان الى النقطة وهي ان « كسب » الحرب فى كوريا يتطلب توسيع الحرب ، فان ايا منهما لم يكن راغبا فى الاسترار فيها • وان منطـــق تنامـــي القوة الذي كان قد اخفى في برلين انفجر اخيرا بصورة مكشوفة فى كوريا • وعليه فان ربح الحرب الباردة بصورة مطلقة ، يحتم الاستمرار فى حالة البرودة ، اذ انه متى ماسمح بالانفجار بالتحول الـــى نزاع عسكري ، فان الطريق الامين لتجنب مجزرة بشرية كلية هو تخلي جميع الاطراف عن فرصة القرار السياسي •

لقد تابعت الولايات المتحدة فى تحقيق اهداف حربها الباردة باتخاذها الاجراءات عن طريق الامم المتحدة • ولاول مرة استطاع مجلس الامن ان يقرر بصورة ايجابية ويسمح باستخدام قوة عسكرية ضد المعتدي • وكان كل فرد قد قدر كليا فى حينه من اجل تدخل مجلس الامن فى الاضطراب الكوري كان من قبيل الصدفة وحسن الطالع ، وان الذي جعل ذلك ممكنا فقط هو الخطأ السوفيتي الناجم من مقاطعة المجلس حين اثير فيه الموضوع • اذ ما ان رجع الممثل السوفيتي الى استخدام ذلك الجهاز استخداما مقصودا بعد خمسة اسابيع ونصف من تقديم المشروع للمصادقة ، حتى اصبح دور مجلس الامن في هذه

المسألة دروا مزهقا • وهذا لم ينه الموضوع كما تتذكر • اذ ان المبادرات الاميريكية التي جاءت على الصيغة المشهورة في قرارات « الاتحاد من اجل السلام » مكنت الجمعية العمومية من اتخاذ قرار حول السؤال الذي شل مجلس الامن بسبب فيتو احدى الدول الكبرى ( والذي كان من نتائجه اتخاذ تعديل معقد على قواعد سير العمل ) ، والذي اعقبه بعد حين من تغيير فى اتجاه الرب لتخويل الهيئة الاوسع بتولي الامر •

ان تغيير التركيز فى الامم المتحدة من مجلس الامن الذي تسيطر على اعماله القوى الكبرى ، الى الجمعية العمومية حيث تلعب فيها الدول الاصغر القيادة بمجرد قوة العدد ، قد فسرت فى الولايات المتحدة في نفس الوقت بانها ضربة اساسية فى التكتيك • فبتخطي مجلس الامن اخذ يناقش الاميريكان بان الولايات المتحدة عن طريق الجمعية العمومية تستطيع ان تتجنب الفيتو السوفيتي ، مما يخدم الاغراض الحقيقية للمنظمة ، ويمكنها من تحقيق مصالحها ايضا وهذا الافتراض الاخير كان قد قام على الحجة التي تقول ان رغبات الاميريكيين ستكون دوما كافية لخلق اغلبية صلبة فى الجمعية العمومية حتى بدا التخطيط الاميريكي المصمم بدقة يجابه الصعوبات •

لقد حصل الانتقال الى الجمعية العمومية بصورة ذاتية جنبا الى جنب مع تطورات هامة فى الحرب الباردة : الاولى وهي تحلل جدي للصلابة التي قام عليها عالم القطبية الثنائية • صحيح ان يوغسلافيا انفصلت عن موسكو عام ١٩٤٨ ، ولكن بلغراد حتى عام ١٩٥١ استمرت فى العيش كطرف غير ملائم للجسم ، قطع من قبل الاتحاد السوفيتي ولكنه لم يقبل من قبل الولايات المتحدة • الا انه عندما قادت الهند عددا من حليفاتها الاسيويات فى ثورة ضد اميريكا لانهاء الحرب فى كوريا ومن بعدها حول موضوع رد السجناء اختياريا الى اوطانهم ،

كانت الولايات المتحدة لاتملك القوة من منع هذا الانفصال عن الامور المدرجة من قبل في عائدياتها « الى الغرب » • ومن هذه اللحظة يمكننا تسجيل تاريخ بدء التدهور الحقيقي لنظام القطبية الثنائية •

ان تلك الدول التي رغبت وبالتالي انسحبت نحو ما اصبح يعرف بعد فترة قصيرة « بالحياد »كانت قد عاونها بطريق لايقبل اليأس الدور الجديد الذي قدر للجمعية العمومية ان تلعبه • لقد هيمنت على الميدان واخذت فرصة فى القيادة على الرغم من انها تركت عالم القوى ـ الكبرى، وان المثل الذي وضعته فى هذا الوقت كان قد برهن بانه جذاب لاغلب الدول الحديثة التي خلقت فيما بعد •

وبعد كل ماذكرنا من قول وفعل ، فان الخدمة الكبيرة التي قدمتها الحرب الكورية اي النزاع السوفيتي ـ الاميريكي هي الاعتراف من قبل كلا الطرفين بان تصعيد التوتر فى ازمة ما ، الى حرب ، معناه ان عاجلا ام آجلا الاختيار الصعب بين الموت او الرعشة النووية • ونفس هذه النقطة قد اثيرت فى مايقارب من نفس الظروف والوقت التقريبي في الهند الصينية،حيث الفرنسيين حاربوا الحرب الباردة نيابة عن الولايات المتحدة ، على الاقل فى ظل المفهوم الاستراتيجي • فلم يكن صدفة ان مؤتمر جنيف لعام ١٩٥٤ ، الذي دعى من قبل الدول الكبرى لدراسة مشكلات كوريا وجنوب شرق آسيا ، ان يحقق لا اكثر من ان يسجل ، بطرق اخرى ، القرار المطابق للعقم • وهذه الجلسة التي تم فيها يأس جميع الاطراف ، كانت واضحة بحيث شكلت نهاية الفترة التي كانت فيها القطبية الثنائية مفيدة وذات معنى بناء للسياسة وافتتاح مرحلة جديدة التي لم يتجاسر اي من الجانبين مرة اخرى من الاعتماد بهذه الدرجة من العلنية على المبدأ الذي لم يقبل اية مناقشة فى حينه وهو « التكتل الثنائي » •

**هنغاريـا والسويس :**

ان الاتجاه الواقع خارج تنظيم القطبية الثنائية المتصلبة لعالم الحرب الباردة والذي اصبح بديهيا خلال النزاع الكوري، كان قد استمر

طيلة الفترة الباقية من الخمسينات • لقد كان واضحا على الجانب الغربي من الستار الحديدي ان الولايات المتحدة كانت ضمن اساليب تكتيكية تحظى بموافقة حلفائها الصغار خلافا لاسلوب الاتحاد السوفيتي القائم على التهديد، ومع ذلك فانه حتى موسكو كانت قد واجهت بدرجة ملحوظة تدهور وحدة وتماسك كتلتهما • ففي ازمتين ذاتيتين وان اختلفتا تماما في اغلب جوانبهما ، الا انهما بدتا متصلتين اتصالا مباشرا فى تجسيدهما لضعف قدرة قادة الحرب الباردة في الحفاظ على تنظيم شؤونهم الخاصة بهم • وهاتان الازمتان كانتا قد ظهرتا في عام ١٩٥٦ •

ان الازمتين اللتين هزتا العالم فى تشرين الاول وتشرين الثاني من ذلك العام كانتا قد انبثقتا من جذور غير متعادلة • لقد بدأت قضية هنغاريا العارضة بهياج يكاد يكون ذاتيا قام به سكان بودابست ضد الضغوط التي مارسها النظام الستاليني • لقد حدثت ضد ستارة من التوتر الواسع فيشرق اوربا الذي صاحب بداية الفوران فى حركة للقضاء على الستالينية • لقد ثار الهنغاريون ضد حكومتهم السائرة فى ركاب السوفيت وضد جيش الاحتلال الاحمر • ولقد تمتع الثوار فى البداية بنجاح مذهل • ولكن اقتراف نظام ناجى الثوري لخطأ تكتيكي باعلانه ان الحكومة الهنغارية الجديدة قد قررت الانسحاب الى مايشبه الحيادية النمساوية وهجر حلف وارشو كان نذير شؤوم ضده • لقد كان هذا اكثر مما تتحمله موسكو• ذلك ان الجيوش السوفيتية التي بدأت الانسحاب بالفعل اذا بها ترجع بقوة وتسحق الثورة من دون رحمة•

ومن الجهة الاخرى ، فان ازمة السويس ، كانت قد ظهرت اثر تأميم شركة قناة السويس من قبل نظام الرئيس عبد الناصر فى مصر في صيف عام ١٩٥٦ • وبمرور عدة اشهر وبعد محاولات غير مثمرة قامت بها قوى الغرب لاقناع ناصر بتعديل موقفه ، اذا بغزو انكليزي ــ فرنسي ــ اسرائيلي لمنطقة قناة السويس ليتبعها • وبينما كان الجيش

الاسرائيلي مهيئا له القيام بدور ما ، الا ان الانكليز والفرنسيين ، بسبب تأخر حسابهم المتعلق بالقدرة وترددهم السياسي ، لم يتركوا التأثير الملموس في تظاهرتهم هذه (*) • وفي نفس الوقت حاولت الامم المتحدة ان تجد مرتكزا لاجراء ما • وما كان من مشروع الولايات المتحدة المقدم بايقاف النار الا نقض ( بالفيتو ) من قبل كل من بريطانيا وفرنسا • وحين رفضت الولايات المتحدة المشروع السوفيتي القاضي بتدخل سوفيتي اميركي مباشر ومشترك ، فانها لجأت الى الجمعية العمومية • ومن خلال سلسلة من الاجتماعات التي وصلت الثمان تم التوصل الى تكتيك جديد : وهو خلق قوة عالمية من الدول الصغيرة فى الامم المتحدة قوة طوارىء (UNEF) تذهب الى منطقة القنابل وتراقب المنطقة بين الاطراف المتخاصمة • ومن خلال هذه الخطوة فقد كان من الطبيعي ان تتخذ الجمعية العمومية خطوة ثانية تطلب فيها انسحاب جميع القوى المتحاربة وكانت النتيجة ان انسحبت قوى الدول الثلاث الغازية حانقة ، امتثالا للقرار ، تاركة الامم المتحدة في سيطرة منفردة لساحة القتال •

ان هذه الاستعراضات للازمات ترينا كيف انها غير متشابهة في بدايتها ونهايتها ، الا ان العلاقة بينهما هي اكثر من مجرد مصادفة فى الوقت • ان كليهما يوضحان محاولات نحو حرية العمل لجميع الاعضاء الصغار فى ائتلاف الحرب الباردة • ولقد كان قادة الأئتلاف مستعدين لقيادة هذه الحركات فى الاتصال العاجل ولكن فقط على حساب وضع سوابق سيئة الطالع فى المستقبل •

ففي قضية هنغاريا كان الاتحاد السوفيتي قد سمح له الوقت والظروف فى اخماد العصيان باسلوب استثنائي تعافه النفوس • لقد ضربت موسكو عرض الحائط احتجاجات الامم المتحدة وفرضت قوة عسكرية ونظام كلي موالي للنظام السوفيتي على الشعب المغلوب على امره • ولقد كانت استجابة الغرب لهذه القوة صارخة ولكن دونما نفع ، كون الطريق المقترح الوحيد امام الولايات المتحدة وحلفائها كان

* هذا الراي للمؤلف لا يقدم الصورة الكاملة للعدوان . ( المعرّب )

احد امرين ، اما الاحتجاج الفارغ او التهديد العسكري ، ولقد تم اختيار الامر الاول مع التنبؤ بنتائج معتمة • ولقد بدأ في حينه ان الاتحاد السوفيتي ازدراء منه لرأي العالم المتمدن ، ان بامكانه استخدام قوة مكشوفة مرة اخرى بغية تحقيق نواياه •

ومع ان الوقت كان يمضي وانعكاسات العصيان الهنغاري وقد وصلت ابعد زوايا العالم السياسي ، فان هذا الحكم السريع للنصر السوفيتي في هنغاريا اخذ يتغير • لقد دفع السوفيت ثمنا غاليا لاعادة احتلال هنغاريا مقابل خسارة التعاطف من دول كانت تكن المشاعر الطيبة له في العالمين الغربي وغير الغربي ، ومقابل خسارته الثقة من الانظمة التابعة ، ومن زيادة المحاولات التي فرضت عليه آنئذ من اجل تأمين امبراطورية تابعة • وبعد مضي عدد قليل من السنين بدت النتيجة المقبولة في العالم غير الشيوعي بعدم امكانية حدوث هنغاريا اخرى في الامبراطورية السوفيتية • ان مثل هذه العملية الهدامة كانت غالية جدا بحد ذاتها ، وعلى اية حال فان اتجاه السياسة السوفيتية بدا وكانه يهدف نحو تحقيق ضغط موسكو على توابعها اكثر منه زيادتها • وفي خلال الستينات عمل الكرملين كل جهده لازالة مابقى من ذكريات القصة العارضة في الغرب ولدى شعوب شرق اوربا •

وبنفس الاسلوب فان مركز اسرائيل في قصة السويس العارضة، مع انها اساسية بالنسبة لجوانب مشكلة الشرق الاوسط ، ولكنها خارجة عن الحرب الباردة • وفي الحقيقة ، فان السلوك الكلي لاسرائيل خلال ومنذ بدء الازمة يمكن ان يفسر بانه محاولة ثابتة لاعطاء اسرائيل موقعا خاصا في الحرب الباردة يكون في صالح الولايات المتحدة مقابل مايدعيه العرب من سياسة موالية للسوفيت • وبهذه الطريقة فقط ، يناقش الاعتذاريون الاسرائيليون ، يمكن لامتهم المتحاربة ان تؤمن على سيل ثابت من المساعدات الاقتصادية والعسكرية التي يحتاجونها كل الاحتياج • الا انه من زاوية التقابل الاستراتيجي في

الحرب الباردة ، فان البعد المتناقض فىازمة السويس يتمثل برغبة الحليفتين الاوربيتين الاساسيتين لاميركا لازدراء رغبات الاميركيين والسير في منافعهما الخاصة •

وهنا ايضا وبدخول الدول الصغرى المتآلفة التي سيطرت على الجمعية العمومية ، تمكنت الولايات المتحدة من اسكات ثورة حلفائها ، على الاقل فى الاحوال الانية • ولم تستفد اي من الدولتين من مجازفة السويس ، اذ ان كليهما في الواقع قاسى من النهاية المخجلة لمحاولتهما التي كانتا تحلمان من ورائها استعادة الايام الفاتنة لبناء الامبراطوريات وسيطرتها • ومع ذلك فان بناء التحالف الغربي كان قد صفف بصورة اكيدة ، ليس بالقدر الذي اتخذت فيه الولايات المتحدة موقفا معارضا لبريطانيا وفرنسا وانما الاكثرمن ذلك نتيجة القرار الانكلو ـ فرنسي الساعي وراء مصالحهما الخاصة وعلى حساب روابط الجماعة • وهذا ليس القصد منه اثارة المنافسة القائلة بان الدول الاوربية كانت سائرة فى طريق خاطىء وان الولايات المتحدة كانت في الطريق الصحيح الكلي • ففي الحقيقة ان الولايات المتحدة قد توصلت الى القناعة فى ايام ١٩٥٦ بان السياسة الدولية ذات بعد واحد وانه بناء على ذلك فان متابعة الحرب الباردة كهدف وحيد للحكومات المعتدلة قد اصبح بالفعل نادرا فى اخطاء سجلات الاحداث • ولكن التحالف الاطلسي ، كما تعلمت الولايات المتحدة من تشارلس ديگول خلال الستينات لم يسترجع قوته ابدا من جراء الصدمة التي تلقاها عام ١٩٥٨ •

ومن زاوية معينة ، اذن ، فان الازمتين التؤمين في هنغاريا ومنطقة قنال السويس عام ١٩٥٦ ، يمكن ان تعتبرا كتبرير لمبدأ القطبية الثنائية ، منذ ان كان كل له امكانية انتشال حلفائه عند انجاز مقاصدهم الواضحة • وعلى اية حال فقد اصبح الامر بالنتيجة واضحا ان خصوم الحرب الباردةفيالحقيقة قد خسروا أكثر مما ربحوا • فلقد سار السوفيت منذ حادثة هنغاريا في طريقلا يقوم على القطبية الثنائية، كصبره مع هرطقة گومولكافي بولنده، وتقاربه مع تيتو في يوغسلافيا، وفيموضوع

التباعد الصيني ـ السوفيتي • وعليه فانه يود اليوم اعادة تنظيم فى العلاقات مع كتلة الاتباع من خلال رأفة السوفيت التي لاسابق لها ومن خلال الاستقلال الذاتي للاتباع • وهنا علينا الانبالغ فى مدى هذا التحول فى التضامن الشيوعي ، المعروف لدى خبراء الكرملين بالمراكز المتعددة ، اذ ان الرجوع الى الوراء يوضح بجلاء ان الازمة الهنغارية ، وهي التي لم تتمكن من ان تحدث سابقة لقاعدة يمكن للاتحاد السوفيتي ان يقوم بتكرارها ، تمثل بدلا من ذلك مانراه اليوم كآخر نفس لتكتيك مبدئي بال •

ولا تزال الولايات المتحدة ايضا تدفع ثمن نجاحها في هيمنتها على حلفائها الاطلنطيين اثناء ازمة السويس • لقد استمر التحالف السطحي من دون ان ينقطع حبله بعد عام ١٩٥٦ ، على الاقل لعدة سنين • ولكن التقشف الداخلي بدا واضحا ، على اية حال ، بعد عام ١٩٦٠ ، فالتوتر الحالي بين فرنسا واميريكا يستقصي بعض جذوره من احداث السويس• ان اغلب الاميريكيين يميلون الى توجيه اللوم للرئيس ديگول علـى البعاد الجدي عن اميريكا ، ولكننا يجب ان لاتنسى ان مجازفة فرنسا فى السويس سبقت رجوع ديگول الى الحكم بسنتين وان رأي الجنرال فى اهداف الولايات المتحدة فى غربي اوربا وطبيعة التحالف تختلف قليلا فقط في تحليلها عن تحليل حكومة فرنسا لعام ١٩٥٦ لمثل هذه الامور • والولايات المتحدة بمقاومتها للمصالح الفرنسية فى الشرق الاوسط ، قد اصبحت عدو فرنسا ، فاذا التحالف الغربي قد ضعف فى بنائه فانه اذن لاخير فيه • وهذا الرأي المزوّق بالمبالغات البلاغية ، هو مـن حيث الاساس مناقشة ديگول فرنسا السائدة فى السنين الاخيرة •

ولقد اصاب العلاقات الانكلو ـ اميريكية جرحا بسبب السويس ايضا • لقد برهنت الولايات المتحدة في ان تتحول قـوة غـير غربية ضد حليفتها الغربية الاولى ، اذ ان نهاية طريق الامبراطورية قد اصبح واضحا لكل بريطاني اثر الانسحاب الفجائي لقوة الغزو للسويس • ومع قبول بريطانيا بعدم قدرتها على ان تلعب دورا عالميا مستقلا ، وان

هذا! وان جاء ضمنيا كإقرار بالاعتماد الكلي على قوة الولايات المتحدة وان لم تعترف به ، فان الحالة المخزية التي وصلت اليها كانت قد قدمت دليلا ذاتيا بعد سته سنوات ، وذلك حينما اصبحت لندن بالنتيجة مركزا نوويا للولايات المتحدة ، اثر اذعانها السلبي بشطب منهاج اطلاق القذائف الجوية الذي بنت عليه المملكة المتحدة جهازها النووي الرادع الخاص بها •

ومن جراء ما اصيب به من ضربات عام ١٩٥٦ ، فان نظام القطبية الثنائية للحرب الباردة لم يتماثل الى الشفاء مطلقا، وخلال تلك السنة نفسها كان نظام الحياد قد اصبح حقيقة واقعة فى العالم غير الغربي الجديد ، ولكن قادة المعسكر الغربي ظلوا يعتقدون ان من الضروري ابقاء الحرب الباردة على حالتها • وحتى بانسحاب دول بمفردها او كتل صغيرة منها من احضان العملاقين ، فإنهما ظلا يشعران ان منطق القطبية الثنائية انه قائم • وبالتأكيد فان الحلفاء الاساسيين لكلا الجانبين على الاقــل ، الذين تجمعوا فى الناتو (NATO) فــي الغرب وفــي وارشو فى الشرق سيظلون باقين في المكان المخصص لهم والقيام بمهام مرسومة •

لقد شتت هنغاريا والسويس هذا الاعتقاد • فلقد كان رد فعل قادة الفريقين قويا ازاء الضربات الموجهة لوحدة التحالف الداخلي بحيث تمكنا من اتخاذ بعض الاجراءات الناجحة • ومع ذلك فإنهما خرجا بقناعة من ان التماسك الداخلي ظل كما كان عليه الامر في السابق ، مثلما ظلت القدرة الكلية للمبادىء قوة لاتقاوم في الحرب الباردة كلية •

وابتداء من عام ١٩٥٦ ومابعدها فان قادة الجانبين كانوا مضطرين لصرف جهد ملحوظ لخطب ود نفس الحلفاء الذين ظنو مرة انهــم حلفائهم على مدى الزمن • وبالرغم من تكرار ثورة الغضب القاسية في التعامل مع التوابع « اغلبهم يمثلون الالتواءات والانعكاسات للسياسة السوفيتية الداخلية » ، فان موسكو منذ عام ١٩٥٦ اخذت تتبع بوضوح المقاومة الضعيفة : حيث قدمت لشرق اوربا الامتياز تلو الامتياز وان نظاما بعد آخر اخذ يبتعد عن الستالينية مستجيبا جزئيا اكثر فاكثر لرغبات

شعوبهم . اما الولايات المتحدة فانها اخذت بدورها تواجه ازدياد فى المقاومة داخل الناتو (NATO) امام تصميم السياسات الموحدة والاستراتيجية المفروضة من قبل واشنطن . فبينما نالت المانيا معاملة خاصة ولطيفة فقد ظلت العلاقات الخاصة مع المملكة المتحدة تمسك بها واشنطن لاعطاء لندن اقوى احتمال للشعور بالقناعة . وكانت فرنسا فقط وهي التي اعتبرتها واشنطن « غير معقولة » فى مطالبتها فى دور متساوٍ ومستقل ، فانها لم تستسلم ماعرفته باريس بالرعاية المطلوبة، لان حالة عقم العلاقات الفرنسية الاميريكية قد برهنت على تدهور القوة المعنوية للتحالف الغربي بصورة شاملة .

لقد سعى كل جانب ما امكنه التكيف نحو الاوضاع الجديدة التي سادت بعد هنغاريا والسويس . ولسوء الحظ ، على اية حال فان المهمة كانت مستحيلة ، على الاقل من زاوية المفاهيم ، فما ان اعترف ان الحلفاء الصغار الذين لهم مصالحهم الخاصة يجب ان تذعن لها الدول الكبرى ، فان تخيل موضوع واحد كعامل مقرر لوحده فى السياسة الدولية بالنسبة للجانبين أمر قد اخنى عليه الزمن . ومع ان اللغة التي استعملت من قبل كلا الجانبين قد بقيت تعطي رائحة كبريتية ، الا ان الوضع العام اخذ يعطي الوانا زاهية بعد عام ١٩٥٦ حيث ان درجة الشدة للحرب الباردة بدت تقل حتى اكثر مما كانت عليه بعد عام ١٩٥٤ . اما القطبية الثنائية فقد تركت الخصوم القدماء ملتزمين بمبدأ عسكري مستحيل وفي صورة للخلاف الكوني .

### جـــدار برلين وازمة كوبـــا :

ان سنين الرئاسة الثانية لايزنهاور فى الولايات المتحدة ١٩٥٧ — حتى ١٩٦٠ كانت قد تميزت بالتقلب وكانت بالنهاية فترة محاولة غيرمثمرة من قبل الجانبين لاكتشاف قاعدة لتخفيف شدة الحرب الباردة . لقد جرى البحث فى نزع السلاح ولكن دونما نتيجة مثمرة ، كما ان القضايا المهمة الخاصة ببرلين والمانيا لم تصل الى نهاية . وما تم لم يكن اكثر من

مبادرات فى التبادل الثقافي • ولم يكن أي أحد ممن يشغل المراكز العليا مستعد انذاك لمواجهة الحقيقة وهي ان تعديلات اساسية للمواقف المعقدة كانت ضرورية اذا ما كان هناك رغبة فى الخلاص من عذاب ألم التوتـر الدائم والفشل وتحقيق بعض الربح • لقد زار الرئيس خروتشوف الولايات المتحدة فى عام ١٩٥٩ مرافقا بروح «كامب ديفيد» ثم كانت عودة زيارة المستر ايزنهاور المقصودة الى موسكو ، التي وقفت لتعقب مؤتمر القمة لعام ١٩٦٠ ( والذي هو بحد ذاتة محاولة اخرى لاكتشاف قاعدة للاتفاق ) الا انها الغيت بفعل النتيجة المرة التي آلت اليها حادثة طائرة البوتو ($U_2$) •ومع ذلك وبرغم ما صاحب الحادثة الاخيرة من فشل وما حملته من شكوك وسباب ، فانها لم تحدث اي تغير ملحوظ لحالة العلاقات بين الخصمين المثقلة عاصمتيهما بالغموم •

وفى بداية عام ١٩٦١ كان فحوى الحرب الباردة قد تغير تغيرا حادا• ذلك ان الجبهة الجديدة التي اشادها الرئيس جون اف • كندي قد اعتلت السلطة فى الولايات المتحدة ، وبدأت‌الاحداث تسير بسرعة اكثر ، تكاد تكون آنية ، ان لم تكن اكثر تعقيدا • وفي خلال العشرين شهراً الاولى من حكم كندي القصير مرت ازمتين عاصفتين لم تشهدها فترة مابعد الحرب من قبل وجرّتا معهما الولايات المتحدة الى حالة اكتساح كلي للحرب الباردة •

وهاتان الازمتان المجابهة بين السـوفيت والاميريكان في قضية حائط برلين خلال صيف عـام ١٩٦١ ، والقصة المثيرة للاعصاب وهي الخاصة بقذائف كوبا فى خريف عام ١٩٦٢ • وهاتان الحادثتان لاتتوفر فيها المعلومات الكاملة بالنسبة لغير المشترك فيهما ، وان لاتتوفر فيها المعلومات الكاملة بالنسبة لغير المشترك فيهما ، وان النتائج الفعلية لاي منهما لم يكن بالامكان التنبؤ بها آنئذ • ومع ذلك فان الازمتين ، وخاصة حينما ينظر اليهما سوية ، يفترضان بقوة ان الاختلاف فى النظرية والمبدأ كانا امرين مسيطرين على سياسة الجانبين حتى فى لحظة التوتر الشديد

فى احداث كل منهما • لقد كان هناك شيئا مختلفا فيهما يكشف عن اتجاه لا سابق له فى تطور الحرب الباردة •

و لعل من المفيد ان نلخص فصول رواية الازمتين بالاشارة الى تأكيد عزم الجانبين باتخاذ كل احتراس امام احتمال تصعيد غير منتبه اليه الى اعلى ، والى اعطاء اية فرصة من شأنها ان تؤدي الى تدهور الهيبة ، والى تجنيب العدو مثل هذا الطالع ، وبالتالي الوصول على الاقل الى خطوط عريضة تعبر عن صورة من التوافق • ولم يكن اي من هذه الاهتمامات واضحا آنيا اثناء فترة قيام الازمات ذاتها • وبالنسبة للولايات المتحدة كان للادارة الجديدة النشطة اثرها في رص الصفوف فى الداخل واقامة علاقات عامة طيبة كان من نتائجها زيادة الوعي والدعم لكل الحلول التي تعمل على حل الازمتين • ناهيك عما كان من اثر بالغ لصياغة الالفاظ والاستعارات اللفظية من احكام فى السياسة الاعلامية • وبالرجوع الى الوراء فان السرعة النسبية والخروج الهادىء المذهل من كلا الازمتين لايمكن الا وان يترك اثره على المراقبين المعاصرين •

ان الوضع فى برلين لم يتحسن خلال الخمسينات بعد نهاية الحصار الاول • لقد كان الاتحاد السوفيتي هجوميا فى موقفه فى اكثر من مناسبة • وبعد موت ستالين خاصة ، استخدمت موسكو لبعض الوقت سياستها الخاصة بالعربة والسياط ، محاولة بصورة ذاتية اغراء الولايات المتحدة اجراء مفاوضة من اجل الوصول الى اتفاق جديد بصدد المدينة ، ومثيرة فى عين الوقت ازعاجات طفيفة لحمل الولايات المتحدة وحلفائها على الانسحاب • ولم ينجح السوفيت قط في الوصول الى ايّ تعديل فى الموقف الاميريكي حيث ان الغرب وجد في المدينة وفقا لحق الاحتلال وان اتفاق القوى الاربع الاصلية الذي يقضي بفتح منفذللدخول الى المدينة والحركة داخلها مازال قائما • وفي نفس الوقت فان حرية الحركة من منطقة من مناطق برلين الى اخرى كان يتم نتيجة هروب بالجملة للاجئين القادمين من المانيا الديمقراطية ( المانيا الشرقية ) الى غرب برلين وبالتالي الى الجمهورية الاتحادية ( المانيا الغربية ) • وفى اوائل عام

١٩٦١ كان سيل الهاربين قد نما الى حد كبير وان الدعاية التي استلموها في الغرب كانت مزعجة بحيث ان الاتحاد السوفيتي والمانيا الشرقية وصلا الى النتيجة التي تقضي بعمل شيء ما .

ان الخطوات التي ادت الى بناء حائط برلين هي معقدة وذات صلة محدودة ببعضها فخروتشوف كان يعمل من دوافع مختلطة حينما اتخذ قراره الخطير . لقد كان من جهة تواقا للتخفيف من القلق الذي اصاب نظام اولبرشت (Ulbricht) في شرق المانيا ، ومن جهــة ثانية رغبته المخلصة لاخراج موضوع برلين بتعقل خارج وضعه الشاذ في السياسة الاوربية ، ومن جهة ثالثة حبه في التطلع على مدى عزم الادارة الجديدة في المقاومة ، ومن جهة رابعة ، الخوف المحض من صعود المانيا الغربية الى مركز سياسي وعسكري متفوق . لقد ظهرت الازمة في البداية حول نقاط تكتيكية تخص حق حكومة المانيا الشرقية في السيطرة على انتقال العسكريين الى شرق برلين ، بينما اصرت الولايات المتحدة على وثيقة اتفاقية الاحتلال الاصلية الكاملة التي لاتذكر اي شيء حول الالمان الشرقيين . اما السوفيت الذين بدوا غير مسيطرين تماما على شؤونهم فقد تناوبت اصواتهم بين المعقولية وبين الخصام التأنيبي .

ولقد قامت الولايات المتحدة بنصيبها من اشارات التهديد ، اخصها بالذكر دعوة جزء من احتياطيها العسكري من اجل اعداد قوات اميركية في اوربا . وثبتت ادارة كندي موقفها على انه موقف ثابت ففي خطاب الى الامة في تموز استحضر رئيس الجمهورية صور الحرب العالمية الثانية مقترحا ان برلين مثل ستاليغراد ، ممكن الدفاع عنها اذا كان حماتها « رجال شجعان » واذا بقشعريرة تهز الكيان السياسي الاميركي من داخله ، فما كان من نداء الحرب البياني الا وان يسري بحرية في رجال الجبهة الامامية الجدد ليبرهنوا على قوة باسهم وتصميمهم . وحينما واجهت الدبابات الوفيتية والاميركية بعضها لبعض على طرفي حاجز

برلين الذي كان قد تم تشييده في آب ، بدا للكثير كما لو كان ارمكيدون (Armageddon) قد حل أخيرا وان نهاية كشف الاوضاع على حقيقتها قد قربت •

ومع ذلك فان المواجهة المفتوحة لكلا القوتين عند حائط برلين كانت بعيدة عن ان تكون مقدمة لكارثة ، الا انها كانت بدلا من ذلك ارتفاعا لمنسوب المياه نحو علامة خطرة ، ولكن لسحب كلا الجانبين دباباته ، بدا الجو يتناقص فى نحسه ، حتى وصل اخيرا الى حالة المواثقة بالعيش فى سلام لتحمل محل توقعات الحرب • ولا نستطيع ان نقول ان ازمة برلين لعام ١٩٦١ قد حلت ، ولكن من الواضح ان موسكو وواشنطن كانتا تواقتين بدرجة متساوية على ان لايسمحا بالوقوع فى نزاع يعبر مستوى الحل • وبنفس الطريقة فان النتيجة المباشرة للحادث برهنت على ان كلا المعسكرين كانا راغبين فى تجنب اية مواجهات اخرى التي يكون فيها الاستسلام للحرب ـ والتي اعطاها البعض لونا سماه « القرقشة » ـ الطريق الوحيد المفتوح • ومثل هذه النتيجة للأزمة التي ليس لها خلاصة لم تفرح كلا الحكومتين الالمانيتين : فكلا من اولبرشت واديناور قد تأسفتا ان ولي امرهما لم يدفع بقبضته بدرجة من الجد الذي تمنياه • ولكن في نهاية المطاف لم ير اي من العملاقين اي سبب ليخاطر بحرق نفسه فى اختطاف بندقته من نار تزداد فى حرارتها •

وفى ربيع عام ١٩٦٢ فان اكبر ازمات الحرب الباردة ، من وجهة النظر الاميريكية على الاقل، كانت قد بدأت تحدث ضغطا متصاعداء وهذه الازمة تخص نظام كاسترو فى كوبا ، الذي اخذ يزداد اعتماده على الاتحاد السوفيتي باستلامه المساعدات الاقتصادية والعسكرية ، وباقامة السوفيت لقذائفهم على الارض الكوبية • وقد ضغط هذا الموضوع على اعطاء الحرب الباردة خلاصة منطقية تكاد تكون نهائية وكشف عن اتجاهات جديدة •

وسوف لانحاول هنا بان نقص ثانية القصة بكاملها ، لان اهتمامنا لاينصب على تفصيلات الازمة نفسها وانما على مضامينها داخل المحتوى

الاوسع للحرب الباردة • والحقائق الاساسية هي : ان هناك قذائف سوفيتية فى كوبا ، وان الرئيس كندي فرض حجرا صحيا على كوبا حتى تنقل منها ، وان السفن السوفيتية المتوجهة الى كوبا قد رجعت الى الوراء ، وان بعض هذه القذائف قد نقلت ، فادى ذلك الى ان ترفع الولايات المتحدة الحصار ، وهناك شؤون اخرى يسطرها السجل العام، الا انها ليست تماما جزءا مما اصبح يعرف بالفعل بالاسطورة ، والتي تتضمن الحقائق التي تقول ان الحكومة الكوبية لم تسمح قط بالتفتيش الفعلي على المنطقة التي طلبتها الولايات المتحدة ، كما ان هناك مخابرات سرية بين كندي وخروتشوف اثناء الازمة ، وان المواجهــة العسكرية التي اعلن قيامها اثبتت بمفردها صعبة التحديد بالضبط ، وان اهم مــن كل ماتقدم هو ان القضية باسرها كانت قد نظر اليها على اساس ثنائي مابين موسكو وواشنطن •

ان الازمة الكبوبية ، خاصة من وجهة نظر الولايات المتحدة ، تشكل مثلا مفيدا فى عدم التوازن مابين البلاغة الكلامية والعمل والتيعلى كل قوة كبرى فىالقرن العشرين ان تراقبها• لقد كانت الملاحظات الاميريكية العامة قد صبغت بالعزم والتهديد، ولكن طرق العمل الخاصة التي سلكتها الولايات المتحدة تركت الاتحاد السوفيتي مرتاحا جدا بحيث وجد مهربا للحفاظ على ماء وجهه • لقد اظهرت موسكو ازدواجية متعادلــة ، الاحتجاج والالتزام بالدفاع عن كوبا ضد العدوان الاميريكي العدواني واستنكار الجعجعة الاميريكية ازاء القذائف ، ومع ذلك فانها كانت تسلك عمليا فى جميع الوقت بطريقة تسمح لتصفية سريعة للازمة • ان الازمة الكوبية ، بعبارة اخرى ، كانت منذ البدايات الاولى لها قد اديرت على مستويين ، ذلك المتعلق بالحديث العمومي وذلك المتعلق بالمستوى الاعلى في المفاوضة • وحتى خلال المرحلة الحادة ، حينما كان الاميريكيون مقتنعين بان الحرب كانت احتمالا وقتيا ، فان عدم التكافؤ هذا كــان مشهودا • ان اكثر الابعاد الظاهرة لطبيعة المستويين من الازمة كان تبادل المخابرات السرية بين الحكومتين • وان المدى الكلي لها لــم

يعلن عنه فقط ، كما ان تفاصيل الازمة لاتزال غير واضحة • ويكاد يكون مؤكدا ، على اية حال ، ان هذه الرسائل قد غطت اكثر بكثير من السؤال المنفرد الخاص بكوبا • وهنا نستطيع ان نتمعن فقط ، ولكن تسلسل الاحداث التي تلت تفترض بقوة بان اساس العمل لما بعد فترةكوبا للعلاقات السوفيتية الاميريكية كانت قد وضعت في نفس الايام والاسابيع التي كان فيها الشعب الاميريكي ( والكثير من شعوب العالم كذلك ) فى توقع حدوث مجزرة بشرية •

ان التساؤل عن حقيقة مخطط ازمة كوبا انه كان بالطبع قصة مسرحية ، فان ذلك لايعلم به الا المشتركون الرئيسيون • اما ان جانبا كبيرا منه كان شباك عرض فهو مايبدو محتملا • فبعد سنة من ظهور الجانبين وكأنهما يقتربان من حافةالحرب ، فان وسائل الاتصال فى الولايات المتحدة كانت تتحدث بصورة مكشوفة عن « العهد الجديد » فى العلاقات السوفيتية ــ الاميريكية ، حيث الحكومتان كانتا تبحثان بجد عن مجالات اخرى من الاتفاق والتوافق ، وان الحرب الباردة كانت تفتقد قبضتها على صعيد التصور الشعبي• انها تتحدى شعورنا العامالذي اعتقد ان التحول بكهذا سرعة وشمول فى مناخ العلاقات لهو امر محتمل بين القوتين الكبيرتين اللتين اعلنتا عن نفسيهما منذ زمن طويل بانهما عدوين لدودين • وحتى فى فترة التغيير السريع فليس هناك احتمال في اعادة نظر شاملة ، لان هناك الكثير من النظم والطرز السياسية التي لابد لسياستها القومية من ان تمر بتغيير معاكس للاتجاه فى اقل من اثني عشر شهرا •

وخلال حادثة كوبا كان الاتصال يتم بين واشنطن وموسكو فقط • لقد اتخذت الولايات المتحدة قرارها فى فرض حصار على كوبا وطلبت من بعد ذلك من منظمة الدول الاميريكية المصادقة على سياستها واخبرت شركائها في الناتو (NATO) عن الخط الذي سارت عليه • فليس هناك بعبارة اخرى ، ادعاء بتضامن الحلفاء او القيام بعمل

موحد . ولا اقل اهمية ذلك ، الحقيقة القائلة ، وهي انموسكو قد اتخذت قراراتها الذاتية بشم رائحة الرغبات الكوبية . وفي الحقيقة فان اسف كاسترو على النتيجة التي آلت اليها الازمة كانت واضحة كل الوضوح . ففي لحظة من لحظات الاهمية الحقيقية والخطر الشديد فان خيال القطبية الثنائية كان قد حطمه الفريقان بدون رحمة ، اثناء تعاملهما مع بعضهما فى الجو الكلاسيكي الذي نمت فيه دبلوماسية القوى الكبرى . ومن خلال هذا الضوء ، بالاضافة ، فان تنظيم العلاقات السوفيتية ـ الاميريكية بعد قضية كوبا ، اخذت تخضع لطراز يقوم على تفهم اكثر . ان كوبا تمثل مثلا لعلاقات دائرة ، يمكن ان يوضح مع حد ادنى من خسران المصلحة والوقت المتآلف مع الضرورة التي شعر بها الفريقان فى الاستمرار بالبحث فى امور اكثر اهمية .

ان كلا من برلين وكوبا لايمثلان تماما ازمة حرب باردة كونهما كانا مثالين جديدين لتطور ديناميكية الخلاف السوفيتي ـ الاميريكي . فكلا الفريقين تمسك ، خلال هاتين الحادثتين بضرورة الهيمنة على الاحداث . كلاهما كان راغبا بناء على ذلك على فرض وعلى تكريس الجهود فى وضع قيود لتخفيفالتوتر هي اكثر بكثير مما فرضته اية قضية اخرى . ان كلا القضيتين ، اذن ، وخاصة كوبا ، ينتميان بدرجة اكبر الى عصر يمكن ان نسميه فى الفصل القادم ( بعصر التغيير الكبير ) اكثر من عصر القطبية الثنائية الضيق للحرب الباردة .

* * *

# الفصل السابع

# التغيير الكبير

# الفصل السابع

## التغيير الكبير

لقد ناقشنا الاطروحة القائلة بان الحرب الباردة كنظام عالمي وكطراز منظم للسلوك بين الدول قد جابه فعليا هكذا تغييرات هائلة بحيث ان فترة التوتر الشديد من عام ١٩٤٥ ــ ١٩٦٢ يمكن تصويرها الان كفترة تاريخية مغلقة • ونحن لانشير بالطبع الى انه كان قد اكتشف فى تاريخ معين فى الماضي القريب نسبيا اتفاق القوتين الكبيرتين على « غلقها » • اذ ان الكثير ــ ربما اغلب ــ التراكيب الفوقية للنزاع السوفيتي ــ الاميريكي قد ظلت تعمل اليوم ، وان الكيان البياني الكلي لسلالة الكفاح قد بقى دونما اي تغيير • ولكن الضوابط الاستراتيجية للمجابهة الاصلية هذه الايام قد الغمت بحيث ان ديناميكية التقوية الذاتية في صراع القطبية الثنائية قد فقدت الكثير من قوتها • فالتغيير الكبير فى مضمون العلاقات ــ السوفيتية ــ الاميريكية لم يعدل فعليا الحرب الباردة فقط وانما امتد الى النظام السياسي العالمي الشامل ايضا •

دعنا ، حبا فى توضيح مشروعنا ما امكن من وضوح وعدم غموض ، اثبات نقطة واحدة ، كرس محاربو الحرب الباردة خصامهم من اجلها لمدة طويلة والتي بواسطتها اقاموا حواجزهم وهي : ان الايديولوجية السوفيتية ظلت تكرس نفسها فى الستينات بثبات كما كانت عليه فى الاربعينات ، نحو هدف الشيوعية العالمية ، وان الولايات المتحدة قد التزمت بصورة دائمية على احباط مشاريع موسكو المشؤومة ، فعلى المستوى العقائدي والمبدئي لاتزال الحرب الباردة عنيفة كما هو شأنها على الدوام • ولكن الاستراتيجية هي تقليد فى الحياة • ان التطبيق السوفيتي ــ الاميريكي للنزاع ( الذي لم يكن انعكاسا حقيقيا

للايديولوجية على اية حال) قد ابتعد عنما كانت تتطلبه التراكيب النظرية المبسطة ، وان العلاقة مابين الموعظة والعمل قد اصبحت الان غير قائمة من الناحية العملية • ذلك ان الاتحاد السوفيتي ربما ينوي فى يوم من الايام غزو الولايات المتحدة قد يكون تفسيرا للايديولوجية ، ولكن بالنسبة للاهداف الاستراتيجية فان هذه الخلاصة تكاد تكون بعيدة الصلة ، على الاقل بالنسبة لمشكلة الكفاح مع السوفيت التي تقوم على اساس التخطيط لها يوما بعد يوم •

وعليه فان علينا ان نتطلع الى دليل للتغيير في الحرب الباردة يعتمد بدرجة اقل على الاقوال العامة منه طريق سير الاحداث الفعلي • وهنا يكون تحليلنا السابق للنوايا السوفيتية ذا فائدة : الجوانب الجديدة في العلاقات الاميريكية ــ السوفيتية تكون اكثر سهولة لفهمها ومشابهتها اذا ما ركزنا على طرز السلوك اكثر منه على الجمناستيكية الايديولوجية• ولاسباب واضحة جدا فى تأمين الوفاق الداخلي ، وفي قيادة التكتل الداخلي ، وفي الحفاظ على فكرة ثابتة ، فان الحكومات تنكر رسميا بأنه قد حدث اي تغيير جوهري في السياسة وتدعي بانه مهما كانت التعديلات التكتيكية التي يمكن ان يشار اليها فانها لايمكن ان توصف باكثر من محاولات لاكتشاف طرق افضل لتحقيق اهداف ثابتة • ومع ذلك فلا يجب ان ينخدع اي فرد • ذلك ان السياسة الدولية تتكون من التقابل في العمل الاستراتيجي ، وانه حينما تكون طرز الاستجابة واضحة وثابته فى اختلافها مع الاهداف المعلنة ولكنها بالتقابل سهلة التوافق مع القواعد الاستراتيجية الاخرى، فاننا محقون فى قبول عدم التكافؤ هذا كدليل على التعديل الاستراتيجي • هذه هي الحالة السائدة اليوم •

**جوانب التغيير :**

ربما كان اهم مايؤكد نظرية التغيير فى الحرب الباردة ، وبالتأكيد اكثر الاحكام الاستراتيجية المتعلقة التي اتخذها كلا الجانبين ، هي الخلاصة التي نالت قبولا واسعا الان والقائلة بان حربا كبرى بين

الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة هي امر غير محتمل جدا ، وانها مستحيلة ضمن حدود اية حالة قائمة . وهناك اسباب عديدة تقف وراء هذه الخلاصة ، والتي تشير جميعا الى نفس المعنى : فلا يستطيع اي من الجانبين ، تحت الظروف السياسية والتكنولوجية القائمة التأكيد الكافي لنصر ذي معنى يمكنه وحده ان يجعل من المقامرة عملية تسوى القيام بها . فالحرب تكون استراتيجيا مقبولة فقط لاغراض سياسية وذات اسبقية عالية ومجدية وبالتالي تخسر جاذبيتها حينما يكون الهدف السياسي غير متناسب مع الوسيلة المختارة . ان تناقضات العصر توحي ان التحسس الهائل في التكنولوجية الحربية قد جرد الحرب من صلتها السياسية ، وجعلها تقوم باجراءات قاسية ضد خصوم الحرب الباردة .

ومتى ماقبلنا ان الحرب المكشوفة هي توقع غير عملي ، فان الاسس الاستراتيجية لسائر العمليات السوفيتية ـ الاميركية تثير التساؤل بمعزل عن اي جانب من جوانب الستار الحديدي المطروقة . نحن نعلم ان الولايات المتحدة قد استندت فى هجومها لفترة من الزمن على المشكلة من حيث علاقتها بالاسس والضرورة الملحة بصد او افشال اي هجوم سوفيتي . ولقد راينا ايضا ان اهتمام السوفيت بامنها المادي ضد اي هجوم غربي قد ظل دوما الدافع ذي الاسبقية القصوى لاستراتيجية موسكو . والتهديدات ، كما لاحظنا ايضا ، يجب ان تمثن من جوانب تشمل كلا الاهمية والاحتمال .

واذ ان احتمال قيام الحرب قد تناقص ، فان المضمون الاستراتيجي لكلا الجانبين قد اصبح بالتقابل غير ذي قيمة ، واي تعديل فى التقدير الاساسي لاحتمال الحرب ، اضافة الى ذلك ، يتطلب ، اوتوماتيكيا في الاغلب ، اعادة فى التقدير الاستراتيجي على طول الخط السياسي ويفرض شيئا فشيئا نظرة تعليلية جديدة لكلا الفريقين .

وهناك تغيير ثوري استراتيجي كبير آخر فى الحرب الباردة ، الذي حدث منذ الخمسينات ، الا وهو قبول كل من واشنطن وموسكو بالاقتراح القائل ان نسبة كبيرة ومتزايدة من العلاقات السياسية الدولية

تقع خارج نطاق الحرب الباردة • فبعض المناطق الجغرافية فى العالم وبعض اشكال المشكلات الوظيفية قد اعترف بها من قبل الحكومتين اليوم بانها غير مثمرة بالنسبة لاغراض الحرب الباردة • ولقد لاحظنا الانكار الذاتي الضمني للقاعدة التي تخرج اغلب جنوب الصحـراء الافريقية من التعلق المباشر في النزاع الشرقي ــ الغربي والقطب الجنوبي بصورة اكثر تفصيلا ــ وفقا لمعاهدة ــ قد اعتبر منطقة للتعاون والعمل المشترك • اما التجارب القضائية للاسلحة النووية فقد منعت بمعاهدة تمت فى عام ١٩٦٣ : وفي نفس السنة تمت اتفاقية شراء الحبوب التي ناقشت بكل براعة ان العلاقات الاقتصادية لم تكن منطقة سياسية منتجه فى النزاع ، وهناك حقول اخرى كالتعاون الفني ، المساعدة الخارجية ، مساعدات التنمية وما شابهها كانت قد اعطيت مناقشة حديثة من قبل الحكومتين لتأكيد ما اذا كانت هي ايضا تلحق بمنطقة العمل التي تقـع خارج نزاع القوى الكبرى •

ومع ذلك وبسبب ان هناك مشكلات اكتشاف الفضاء او السيطرة على النمو السكاني التي قررت كونها تقع خارج مضـمون الحرب الباردة ولاتطلق يد القوى الكبرى فى ضرورة وضع سياسة واتخاذ موقف بشأنها • وهكذا فان الناحية الثانية الكبيرة فى التغيير : لقد وجدت كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي نفسيهما انهما ملتزمتان باتخاذ قرارات لوضع سياسة تختلف عن القرارات الاستراتيجية لعام ١٩٤٩ ، والمعدة من قبل والتي كانت تحمل غالبا معها سمات شاذة جدا •

ان الشعب الاميريكي وصانعو القرارات في حكومة الـولايات المتحدة الذين اعتادوا في ان يستخرجوا السياسات حول الحرب الباردة من المبادىء العالمية المبسطة ، وجدوا ان اكتشاف وتطبيق الاسـس

البديلة فى العمل قد برهنت على انها صعبة ومتعبة • فيتناقش ثلة مؤثرة من الرأي العام الاميريكي ، انه اذ لم تساعد المساعدة الخارجية على « محاربة الشيوعية » فان المنهاج لايبقى له مايبرره • واذا لم يكن استكشاف الفضاء سباقا مع الاتحاد السوفيتي ، فليس هناك قوة كافية تشجع على القيام بالمحاولة • ولكن بالرغم من هذه الضغوط فـان القرارات هي امور ضرورية • لقد بدأت الولايات المتحدة فى ان تكتشف تدريجيا في اواخر الخمسينات واوائل الستينات ، اسبابا مقنعة للعمل الى جانب « الخطر الشيوعي » • وبقيامها بذلك ، فقد اضطرت للاعتراف لها تدريجيا على انها استجابات متشابهة للجانب البعيد مـن الستار الحديدي • وبذلك اصبح مجال التحدث والتفاوض على المواضيع الخاصة ممكن ، لابل حتى انه مؤمل فى بعض الاحيان ، على الرغم من بقاء المشكلات •

ومن نواحي عديدة فإن اكبر تغيير مذهل فى الحرب البـاردة الرغبة المعاصرة للخصوم للمبادرة في قبول فرضية جديدة فى العلاقات والمتمثلة باحتمال وجود اسس مشتركة والرغبة في الوصول الى اتفاقات محددة على مصالح مشتركة • وابتداء من عام ١٩٤٧ وحتى الخمسينات فان الفرضية الوحيدة في الاستراتيجية الاميريكية كانت قد قامت على الاعتقاد القائل بعدم الانسجام الكامل في المصالح مع الاتحاد السوفيتي• وقد قدمت موسكو بدورهافي كلا جانبي التنظيم الايديولوجي والسياسي التطبيقي ادلة كثيرة على انها كانت تشارك هذا الاعتقاد • وهذا الاتفاق على عدم التوافق شكل اساس بداية الحرب الباردة • الا انه اعترف فيما بعد وبصورة مكشوفة (كما فعل الرئيس كندي فى خطابه فى الجامعة الاميريكية بتاريخ العاشر من حزيران من عام ١٩٦٣) على ان هناك بعض المجالات التي لها اهمية تتفق خاصة عليها الامتان الكبريان ، والتي ليس بامكان مضمون الحرب الباردة من ان يحدث فيها اي تغيير •

ان اهمية تتائج الاعتراف المتبادل في المناطق ذات المصالح المشتركة قد نقلت الحرب الباردة من مستوى يكاد يكون كفاحا ميكانيكيا

من اجل الزعامة الى مستوى مسيطر عليه بعناية بحيث يوازن مابين الاتفاق والاختلاف . ان الحرب الباردة في عالم الكليشهات المعاصرة هو من الان فصاعدا عالم ممكن تنظيمه اكثر من عالم يسوده اقتتال . وانه لمن البديهي القول ان النزاع سيبقى البعد السائد في العلاقات بين موسكو وواشنطن لفترة غير محددة . وما هو مهم بصورة خاصة ، على اية حال ، هو الوصف القائل بان النزاع سيستمر تحت مظلة من الاتفاق وانه سوف لايسمح له مطلقا بالتصعيد الى النقطة التي تحدث تهديدا لبناء المصالح المشتركة العليا .

ولقد قيل بان اية قضية من قضايا الحرب الباردة هي سهلة الانقياد الى المساومة ، وان مفهوم المضمون المدمر للنزاع يخضع الى بديل الحساب الهادىء . وانه اذا ماوجد ان مسألة من مسائل الحرب الباردة قابلة للتوافق ، فان مسائل اخرى قد تتبعها ، حيث يمكن بالتالي تقرير ايا منها يمكن الاتفاق عليها وتحت اية ظروف يحتاج فيها الرجوع الى محاربين وعقائديين بدرجة اقل منها الرجوع الى السياسيين والدبلوماسيين . ومتى مافتح الباب مرة للمفاوضة ، فان المواقف المحددة تصبح عائقا اكثر منها مصادر للقوة ، كما ان الزيادة في العقائدية تصبح مصدرا للازعاج ، وان الزيادة في الروح العسكرية تصبح مصدرا للتباعد . وانه لامر مقبول وحصيف في الولايات المتحدة الان التحدث عن « التوافق » .

ان مستوى التوتر العالمي للحرب الباردة كان من الممكن تقبلة فقط بانكار امكانية التفاوض في القضايا الكبرى . ومتى ماالتف الحلزون بصورة معاكسة مرة ، فانه قد برهن تماما على صعوبة ايقافه وهو متجه نحو الاسفل ، كما هو الشأن مع صعوده الى الاعلى . وهذا الاحتمال الذي شغل لمدة طويلة ، كلا الحكومتين لهو امر واضح ، ثم انهما غالبا ماذهبا الى مسافة معينة لتنبيه شعوبها من اي توقعات زاهية وانهما حذرين لعمل ما يمكن عمله لمنع هروب التفائل في داخل البلاد بدلا من ضغط ايديهم في الخارج . ومع ذلك فانه من الصعب

تصور كيف ان العملية ، بعد ان سارا الى البعد الذي وصلا اليه ، يمكن الان ايقافها • ان سلوك العامة على جانبي الستار الحديدي الى جانب العالم غير المنحاز قد انغمس فعليا وبشدة فى هذه الامور وان اي اجراء لاحلال خيبة الامل فيها سوف يكون خطرا جدا فى هذه الايام •

ان من الصعب تحديد لحظة الاتجاه المعاكس • ان الاتجاه الجديد قد وضع بصورته المبدئية خلال الاشهر مابين مؤتمر جنيف لعام ١٩٥٤ ومؤتمر القمة لعام ١٩٥٥ ، ومع ذلك فقد بدا الكثير من الشـــدة فى العلاقات السوفيتية ــ الاميريكية خلال الجزء الاخير من الخمسينات • ولقد جاءت لحظة الحقيقة العظمى عند جدار برلين عام ١٩٦١ عندما واجهت الدبابات بعضها لبعض • وهنا وصلت مهارة الدولة الى نهاية ميته • اذ ان كلا الجانبين وجدا نفسيهما ادبيا على الحافة ، فى وقت لم يكونا فيه راغبين فى الدخول فى حرب كونية كما لم يكن اي منهما ليعلم عن الكيفية التي يمكنه بواسطتها ان يكتشف طريقا مريحا يتمكن بواسطته الانسحاب من دون ان يعطي اية اشارة للاستسلام• واذا كانت هذه هي النهاية التي آلت اليها بيانية وديناميكيـــة الحرب الباردة والتي قادت الدول الكبرى الى تمسك كل منها بمنطقه جديا ، فاننا نستطيع ان تتصور كلا الحكومتين قائلة اذن ان الوقت قد حان لوضع نهاية لذلك والبدء بخطة عمل جديدة • ان ازمة كوبا ، كما تتذكر ، كانت ازمة سادتها سيطرة دقيقة • فكلا الجانبين بتعلمهما الدرس المحزن في برلين ، بدا مصممين على تجنب حدوث نفس النوع من الوقوف فى هذه الفترة• ولقد تبع كوبا تحول سريع ومشهود فى مناخ العلاقات السوفيتية ــ الاميريكية والذي نراه اليوم • ولقد بدا من المنطق الاعتقاد ان خلال الفترة مابين آب ١٩٦١ وتشرين اول ١٩٦٢ كانت قد اتخذت قرارات حاسمة كان لها التأثير على سير التاريخ •

**اسباب التغيير :**

لماذا ؟ ماذا جلب الحكومتين الى نقطة غيرا فيها عمليا استراتيجيتهما، او على الاقل اساليب تحليلهما الاستراتيجي ؟ هل بامكاننا ان نتحد ايا من العوامل المسببة التي ادت الى هذا التغيير الكبير ؟

علينا مبدئيا ان نلاحظ ثلاث حالات للسياسة الدولية ، امتازت بزدياد اهميتها منذ نهاية الحرب الكورية ، والتي كان لها الشأن الكبير في هذا الاتجاه • الاولى فى اهميتها النظرية والعملية هي توازن الرعب ، والذي احل العقم بالسلاح العسكري والذي منع الجانبين من حرية اللازمة لتنفيذ سياسته • والثانية وهي ابتعاد قوى عدم الانحياز من الحرب الباردة ونجاحها في تأمين استغلال تكنيكي • والثالثة وهي ظهور عائلة نامية من المشكلات التي ليس لها مساس بالحرب الباردة والتي لاتتناسب وطرز القطبية الثنائية والتي يجب اذا ماأريد التعامل فيها على الاطلاق ، مهاجمتها بطريقة مختلفة • وهذه التقديرات الثلاثة تلاحمت مع بعضها بحيث انتجت مناخا دوليا ذا ميزات مختلفة •

ولربما كان اهم من اي من هذه لمفهوم النزاع السوفيتي الاميريكي، على اية حال ، هو ظهور مواضيع متعارضة تشترك بسمة واحدة وتلك هي الرعب : وكل واحدة هي اكثر اهمية للدولة الكبرى المعينة فى استمرارية متابعة الحرب الباردة • وهذا يعني القول ان بعض الاوضاع الان تلطم موسكو او واشنطن بصورة مباشرة اكثر مما يفعله النزاع المتبادل مقابل الستار الحديدي والذي فرض بناء على ذلك تسجيل رئيسي للاسبقيات •

ففي حالة الولايات المتحدة كان على الحرب الباردة ان تاخذ اهمية من الدرجة الثانية ــ عمليا ان لم يكن نظريا ــ بالمقارنة مع اهتمامات اخرى ذات اهمية آنية • وربما كانت اكثر هذه القضايا شؤما وعلى المدى البعيد موضوع اوربا الغربية ــ التي انتعشت اقتصاديا ، واكدت وجودها سياسيا، وتحررت نفسيا ــ حيث انتقلت من موضع شريك ضعيف للولايات المتحدة الى وضع تستطيع ان تلعب من خلاله كعامل مستقل فى الشؤون الدولية • ان اوربا الجديدة ، التي يرمز اليها بالنفور الفظ من قبل فرنسا الرئيس ديگول نحو اميريكا ، تصر الان على ان يكون صوتها الممثل لها مسموعا فى المجالات السياسية والاقتصادية • ان الجنرال ديگول الذي ظل ينادي منذ وقت طويل باقامة قوة اوربية رادعة كبديل للضمانات التي يوفرها الناتو (NATO) وباقامة مجتمع اقتصادي اوربي ( السوق

المشتركة) كان قد بدأ بالفعل حملته ضد البضاعة الاميريكية. والأوربيون عموما ، تحت زعامة فرنسا ، قد ابانوا بوضوح رفضهم السير الاعمى وراء القيادة الاميريكية ، فى المستقبل .

والى جانب النزعة الانفصالية الاوربية قامت ثورة ذاتية ضد الزعامة الاميريكية في بقاع اخرى من العالم. ففي اميريكا اللاتينية كانت هرطقة كاسترو قد قوت من عضد عدة حكومات اخرى ( بنما التي اثارة عجب الكثير من الاميريكيين ) فى المقاومة المكشوفة للزعامة الاميريكية . وفى جنوب آسيا فقد اعتبرت الباكستان دعوى نزاعها مع الهند ذا اسبقية قصوى امام تناقض الانشغال الاميريكي مع الصين الشيوعية ، حتى انها ذهبت الى مدى اكبر خلال عامي ١٩٦٣ و ١٩٦٤ بحيث نظمت علاقتها مع بكين . اما مقاومة فيتنام لمحاولات اميريكا لاصلاح نظامها وترددها فى انهاء حربها باسلوب معقول فقد اثار الحمق وسبب الذهول بالنسبة لصانعي السياسة الاميريكية . وحتى الفلبين واليابان ، اللذين لهما صداقة طويلة مع الولايات المتحدة ، فان الحقد القومي ومعاداة الاميريكية قد اوقف شعر راسهم .

والاتحاد السوفيتي له مشاكله الخاصة به ايضا . فثورة الاتباع كانت قد بدأت فى اوربا خلال عام ١٩٥٣ ووصلت قمتها عام ١٩٥٦ ، ولكن مشكلات موسكو الحقيقية تعود بتاريخها الى التباعد الصيني — السوفيتي الذي تم في اوائل الستينات . فما ان وجد النظام السوفيتي نفسه داخليا وخارجيا فى خصام لايمكن الرجوع عنه مع الصين على طول الاربعة الاف ميل لحدودها المشتركة واكتشافه كذلك ان الصين منافسا مكشوفا له على قيادة الحركة الشيوعية العالمية ، اذا بالكرملين يجد نفسه عاجزا عن الادعاء بان الجانب الاكبر من سياسته العالمية يتركز على الكفاح ضد الامبريالية الاميريكية . لقد اثار الصدع فى وحدة التضامن الشيوعي السطحي اسئلة مهمة تخص الدفاع والامن السوفيتي ، هي اكثر خطورة اذا ما قورنت باية ايديولوجية مناوئة قد تقوم من شمال اميريكا . ومن هنا فقد غدا الاتحاد السوفيتي غير متمكن من الاستمرار فى الحرب

الباردة باية طريقة عدا الطريقة الشكلية مادام ظهره مفتوحا للضغط الصيني المباشر واجنحته مهددة بحصار بكين التي تقيمه عن طريق سيطرتها على الاحزاب الشيوعية المحلية فى آسيا وافريقيا •

وهكذا ، ومن خلال المحيط العالمي الذي تغير مسرحيا خلال فترة سنين قليلة ، فان البناء الاستراتيجي القديم قد فقد صلته • ومنذ ان كان اي مفهوم استراتيجي ماهو الا نتيجة لتصميم في مفهوم الهدف، وتطبيقه على الخصائص الاساسية لحالة حقيقية ، فان اي تعديل هام فى اي منهما يجب ان ينتج ضمن مفهوم شامل • ان المفاهيم الاستراتيجية لكلا خصمي الحرب الباردة قد جرى عليها في الواقع تعديل والى درجة ماتحديد ، لمواجهة الحالة الجديدة التي يجد كلاهما ضرورة العمل من خلالها •

ان اهم اساس وافضل حكم استراتيجي ذي مدى بعيد يجد قبولا لدى الجانبين اليوم ، حتى وان كان لايزال ضمنيا ، هو التخلي عن فكرة النصر الكامل على الفريق الاخر كهدف حقيقي له معناه • ومع أنه لايزال هناك الامل في ان اية ثغرة تكنولوجية او عمل سياسي خاطىء كبير يتخذه العدو قد يفتح طريقا محتملا نحو النصر الكلي او التبرير له ، فان استراتيجي" كلا الجانبين يعترفون لانفسهم الان ان اي احتمال فى النصر لأي منهما هو من الضعف بحيث ان التخطيط الجدي له على هذا الاساس هو لا اكثر من تمرين فى العبث • ان الاسلحة الفتاكة ، وردع النظم ، والنفقات العالية والمجازفة في عصر نووي ـ حراري قد عرقلت بشدة كل نظريات النصر • ومع ان كلا من الحكومتين يستمر فى الحديث عن نصر نظري ، الا ان ايا منهما لايستطيع ان يدخل حقيقيا الفكرة فى احصائية المفهوم المعاصر للاهداف الاستراتيجية •

ونتيجة لهذا التعديل التنازلي للاهداف الاستراتيجية النهائية لكلا لكلا الحكومتين ، فان الاهداف الوسطى والمبادىء التكنيكية للخصوم قد تناقصت على نفس النمط في مقياسها ومدادها • ومن ناحية عامة فان

هذه الامور قد توضحت بصراحة بحيث تم عن طريق وضع الاهداف التكنيكية الوسطية ، مما عمل بالتالي على احلال تكييف اكثر واقعية فى المواقف ، والى التقليل من النزعة العسكرية التي ادت بدورها الى التخلي عن المواقف الخاصة • ومنذ الاشهر الاخيرة من عام ١٩٦٢ فان كل جانب قد تجنب بعناية الضغط على الطرف الآخر الى زاوية لاخلاص منها ، وبدا يطور مواقفه المدروسة ليترك مجالا شرعيا للاخر يستطيع من خلاله ان يقدم مقترحات مقابلة • وهذا لايعني ان الحرب الباردة اصبحت فى بعض الحالات الغامضة والاشكال اللفجائية وقد تخلت عن عصر القنابل النووية ــ الحرارية وعادت الى مايشبه مؤتمر فينا ، ولكن التشرب المعتدل فى الشعور بالثقة الذي يعتبر اساسا حقيقيا فى الطريقة الدبلوماسية هو مايمكن ملاحظته فى الاتصال العام المتبادل حديثا بين واشنطن وموسكو •

وحين الرجوع الى كل ماقيل وعمل ، على اية حال ، فان السبب الرئيسي في التغيير الكبير فى الحرب الباردة هو التناقص فى الاهمية النسبية للنزاع السوفيتي ــ الاميريكي لدى كلا الخصمين • ولفترة تزيد على الاثني عشر سنة التي تلت عام ١٩٦٥ فأن ممارسة الكفاح كان العنصر الخطير فى الاستراتيجية القومية لكل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي • وبمرور السنين ، على كل حال ، تحول النزاع تدريجيا من درجة الشدة ومن تصاعد اضطراري فى المواجهة على مايبدو، والذي كان من اجل استمرار الزعامة ، الى تزايد النفقات واستهلاك فى الوقت وبالتالي الى طريقة الحياد الذاتي فى الحياة • وفى نفس الوقت، فكما ان الحرب الباردة اصبحت مشروعا اقل انتاجا بانسبة لمطبقيها فان كل جانب قد اكتشف لنفسه مجالات اخرى في العناية والعمل مالا يمكن استغلالهااو تقديرها بالدرجة الضيقة فى النزاع السوفيتي ــ الاميريكي •

ان النزاع بالنسبة لكلا الجانبين اليوم ربما لايزال اخطر محاولة فردية يمكن انينشغل به الطرفان،ولكن لايمكن تصنيفه منالان فصاعدا

بانه الشيء المهم لوحده دون غيره • ان الحرب الباردة ستبقى كظاهرة اساسية لسنين كثيرة في السياسة العالمية ، ولكنها سوف لاتستطيع ان تكون قلب وروح العملية باسرها •

**نتائج التغيير على النظام العالمـــي :**

يجب علينا عند هذه النقطة ان نواجه بدقة مشكلة البيضة ام الدجاجة • هل ان التعديلات الاساسية لشروط الحرب الباردة هي التي يعزى اليها احلال التغييرات الكبيرة فى عملية السياسة الدولية الواضحة اليوم ، ام ان التطورات المستمرة فى السياسة الدولية بوجه عام هي التي اجبرت الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي على تطوير الاستجابة ازاء بعضهما ؟ ومن الواضح ان هذا سؤال مهم يحمل بين طياته مضمون سياسة قوة كبرى في عالم متغير • ولسوء الحظ ، فأن من المشكوك فيه جدا ان اي احد ، وحتى من يصنع السياسة في واشنطن وموسكو ، يستطيع ان يقدم جوابا يقتنع به كل فرد •

ان القوى الكبرى تهتم دائما فى الحفاظ على اسطورة السيطرة على محيطها السياسي ، وان اجابة الموظف الرسمي السوفيتي او الاميريكي على هذا السؤال تطمح فى التاكيد على تأثير قرارات القوة الكبرى على مناخ الشؤون العالمية • اما الدول الاصغر فانها لاسباب واضحة وبدرجة متساوية تتوق الى التقليل من دور القوى الكبرى والى تكبير مكانتها بحيث انها ترغب اثارة المناقشة القائلة بان التغير في الحرب الباردة ان هو الا نتيجة لعوامل هي ابعد من سيطرة القوى الكبرى • الا ان كلا الجوابين يقبل بطريقة ما صلة عوامل المحيط العامة فى التداخل مع استراتيجيات الحرب الباردة •

وربما كان اهم تغيير في السياسة العالمية خلال السنين الماضية هو ارتقاء مبدأ المرونة • فلعقد من الزمن او اكثر بعد عام ١٩٤٥ وبدء الحرب الباردة كان النظام السياسي العالمي يتميز بصلابة واضحة • وكانت الشؤون العالمية تستطيع ان تتحرك فقط ضمن محور واحد ،

وذلك هو الصراع السوفيتي ـ الاميريكي • وطالما انه لايمكن تحقيق اي تقدم فى هذه المنطقة ، فلا شيء اساسي جدا يمكن انجازه فى العالم قاطبة •ومنذ اواسط الخمسينات ، على اية حال ، فـان هذا البناء الضيق ، اخذ يرتخي تدريجيا اثر انفساح المجال للاخرين للقيام بمناورات اخرى ، واذن فان مجال الاحتمالات المفتوحة اليوم لجميع المشتركين فى اية مجابهة عالمية قد اصبح كبيرا نسبيا •

ان النتيجة الاساسية لهذة الحقيقة هي المحور العام لجميع المواقف المحددة • وكون الكتلة السوفيتية الان قد انشقت بالاصطدام مع الصين وجموح الاتباع ، كما ان ماقد حدث من تفكك لكتلة الناتو (NATO) بسبب من توتر خطير داخلي ، فقد امسى ان هناك دول قليلة غير مهمة فقط من العالم يمكن ان تكون في موضع ثقة من قبل الاخرين على الاقل لفترة نسبية من السنين • وبذلك يبقى التألف الاسلوب الفعال والعمل الميكانيكي المقبول ، ولكن التألف اليوم قد اصبح وقتيا ونافعا •

وبينما تفقد تجمعات الحرب الباردة شكلها المحدد ووحدتها ، فانه يحصل نفس الامر بالتقابل بالنسبة للكتلة اللحيادية • فعدم الانحياز كموقف سياسي اوكمبدأ يستمد معناه وصلته من وجود التحالفات نفسها التي تمتنع من الانضمام اليها ، ووجود حرب باردة تتخذ موقفا حياديا ازاءها • وعندما عملت تعقيدات القوة لغموضها وشذوذها على تنظيم العالم غير المنحاز لنفسة وليتخذ موقفا ضدها، فان نقطتة تحتل اهمية وربحا اقل حينما يعلن ان لاشأن له بالاخرين •

ان كل ماتقدم يوحي بان الفترة المعاصرة هي فترة شركاء تميزت بازدياد غرابتها • وبمعزل عن اية قاعدة ، فان الولايت المتحدة والاتحاد السوفيتي، مهماكانت المشكلة بينهما ،فانهما سيكونان دئما فى وضعية تتميز بالمناهضة الكلية والفعالة ،ذلك ان النظام العالمي قد انتج بالفعل امثلة لدول كانت ذات مرة فى نزاع مع غيرها ثم اتخذت منها موقعا عدائيا ليخدم ، بناء على تقاليد السياسة العريقة ، اغراضا ذات مدى

قصير • فاية خصومة جديدة تظهر الى حيز الوجود فى ظل مرونة النظام العالمي الحديث ، فانه يكون من الممكن اليوم ربطها بخصومة قديمة اما ان تكون قد تلاشت اوانها قــد خفتت فى ظل الظرو ف الحديثة •

وبالامكان ملاحظة التأكيد على دور المرونة بطريقة اخرى تختلف بعض الاختلاف وذلك باعداد قائمة اصغر من المشكلات العالمية التي قد صرف النظر عنها اليوم كونها مستعصية الحل اولانها يؤمل منها ان تحدث هجوما • ففي اثناء شدة الحرب الباردة كان كل شيء قد صنف تقريبا ماعدا الممارســة البسيطة للكفاح • واي موضوع لايتناسب ومتطلبات السياسة الانية من قبل هذا الفريق اوذاك ، فانه كان ينال الحفظ لوقت غير محدود وليثار بعد « نهاية الحرب الباردة » • ومع ان كثيرا من الاهتمامات المألوفة قد ظلت بصورة استثنائية صعبة الحل اليوم ، فانه لايزال هناك بعض المراقبين المطلعين من يؤكد بان حلها سيظل دوما صعب الوصول حتى يأتي الوقت الذي تنقشع فيه غمة الخلافات مابين الروس والاميريكيين بدرجة يعترف فيها الطرفان وبصورة نهائية • ففي خلال فترة الخمسينات كان طابع الظروف غير مناسب وحتى خطرا بالنسبة للاميريكيين ليبحثوا بصورة مكشوفة مع الاتحاد السوفيتي امكانية او الرغبة فى ايجاد طريق للتفاهم ، بينما اصبح مثل هذا الموضوع فى اواسط الستينات الموضوع العام الذي اخذت تتحدث فيه الجهات السياسية والصحيفة والعامــة • وعلى هذا النحو اصبحت مواضيع السيطرة على السلاح ووضع المانيا ومستقبل برامج المساعدات ومواضيع اخرى كثيرة تخص علاقات القوى الكبرىوقد ازيحت من صنف المواضيع المستعصية الحل واعيد تصنيفها بحيث اصبحت مواضيع لها امكانية الحل بالرغم من الصعوبات والتعقيدات التي تكتنفها •

ان ماينطبق على الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي له اهمية مضاعفة بالنسبة للدول الاقل شأنا • فالقوى الصغرى التي لم يكن لها لسنين طويلة حمل مصالحها الخاصة اللهم الا فى المجالات التي انسجمت تلك المصالح مع غرائب مناورات الحرب الباردة، نجد ان اغلب هذه القوى

اليوم لا تمتلك حرية اكبر في تحقيق سياساتها الخاصة وحسب وانما هي ايضا قدحققت قدرة جديدة لتحقيق مصالحها فى العواصم الكبرى • لقد ربحت الامم المستقلة حديثا نتيجة لانهيار الامبراطوريات الاوربية الاستعمارية الكثير جدا من جراء هذة التطورات • ان تفضيل هذة الامم الشديد لعدم الانحياز كاساس لسياساتها ونشاطها العام الذي تمكنت من خلاله تحقيق اهدافها قد جعل منها بصورة مدهشة اعضاء فعالة في النظام الدولي بالرغم من افتقارها الى مقومات القوة القومية المألوفة غالبا •

لقد ذكرنا لحد الان عدة قضايا جديدة نالت من قبل جميع الدول بعض اهتمامها اليوم • واذ ان بعض هذة القضايا قد انبثقت من الثورة التكنولوجية التي شملت بالطبع كل مناطق استكشاف الفضاء ، فان قضايا غيرها هي من نتاج مراجعة النفس ، واكثرها وضوحا فى اثبات الوجود وتلك التي تتمثل في الشعوب غير البيضاء وغير المتطورة في كل مكان • على ان بعض هذة القضايا قد نمت من جراء التردى السياسي العام فى الحياة الدولية ، كتلك التي تخص الانفجار السكاني والامور المتصلة بها كالصحة والغذاء ولاستخدام • وبالاضافة فلا يزال هناك قضايا غير مااتقدم تتعلق بالصعوبات الاقتصادية ، سواء تلك التي تكونت من خلال توقعات النمو في العالم غير اللغربي اوتلك المنبثقة من الحاجة الى التنمية الاقتصادية والتوسع التجاري من قبل الامم الصناعية • بعبارة اخرى كل القضايا التي يتناولها الدبلوماسيون فى احاديثهم وتعاملهم اليوم والتي لايشكون فى انها ظهرت خلال فترة تزيد قليلا عن عقد من السنين •

لقد كانت هذة القضايا موضع التنافس والالتزام والحلول فى الحرب الباردة • واذن فلا عجب فى ان يفقد الخصوم الكبار كثيرا من طاقاتهم من اجل تحقيق نجاح آني وتقديرات ذات درجة قصوى من قبل جميع الحكومات ازاء قضايا الحرب الباردة • ومن الممكن القول بكل تبسيط ان هناك اليوم عمل دائب على المسرح الدولي يضم الكثير من

الاطراف المشاركة التي يسعى فيها كـل منها بنشاط من اجل تحقيق غاياتة ، وان الولايات المتحدة والتي نرجو من بعض محاولاتها ان تجد الشيوعية وقد وصلت الى القعر في كل الامور، وان السوفيت الذي يدعو بالتقابل الى ان جميع الشرور ناتجة من مؤامرات الامبريالية ، نجدهما وقد اغرقنا دعواتهما بكل سهولة .

اما مجال التغيير الكبير الثاني في الاوضاع العالمية فقد تضمن زيادة عدد مراكز القوى الكبرى فى العالم . فلقد بدا فى عشية الحرب الكورية كما لو ان هناك مصدرين فقط للقوة الحقيقة وهما واشنطن وموسكو . ومنذ ذلك الحين بدت كل من الهند والصين كقوتين كبيرتين فى مجال صفوفهما واسلوبهما الخاص بهما. كما ان افريقيا جنوب الصحراء التي هي لاتزال في المراحل الاولى للتكامل السياسي ، فانهما مع كل ذلك اخذت بالفعل تشكل قوة كبيرة . اما اميريكا اللاتينية وجنوب شرق آسيا فانهما بدأ يمرنان عضلاتهما السياسية واخذا يبحثان عن الطرق التي تزيد من امكانياتها ومن ان يلعبا ادوارا مستقلة . وبالطبع ، فان كلا من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي يمسكان بمركزيتهما الفريدة فى الشؤون الدولية ، طالما ان ليس هناك اية قوة اخرى تستطيع ان تنافسهما فى احداث اي تدمير . وهكذا فان اية مشكلة لاتثير اسئلة تخص القوة النووية ، معناها ان المتنافسين الكبار في الحرب الباردة يظلون في التوافق الملحوظ .

هذا وان المؤسسات الجديدة في النظام الدولي لاتزال بحاجة الى ان تكون دقيقة تمام الدقة . ومن دون شك فان الامم المتحدة هي الاهم من كل هذه المؤسسات الجديدة التي مرت بتحولات حادة منذ نشأة فكرتها الاولى كأداة لتأمين سيطرة الغرب ولتقوية قيمه السياسية في العالم . اما اليوم فان قلب المنظمة وهي الجمعية العمومية ، فتسيطر عليها الدول الصغرى التي تتميز بنظرتها المناهضة بشدة للاستعمار والى

تقسيمها الى مناطق تصويت متميزة • وبسبب النقض الذي تعاني منه طبيعيا وعسكريا ، فان الجمعية العمومية تتمتع بدور كبير ومتنامي في جميع موضوعات العمل المشترك الموجه للسياسة العالمية ، اما الهيئات الدولية الاخرى الفعالة منها والاقل فعالية فانها تتضمن الهيئات الاقليمية الاقتصادية كمنظمة الوحدة الافريقية ، والمنظمات المتخصصة الاخرى كمنظمة الصحة العالمية والبنك العالمي •

ان ما يجب الالتباه اليه هو ان هذه الهيئات تعكس التغيير اكثر منه الوضع القائم ، اذ حتى اكثر المؤيدين للامم المتحدة لابد لهم وان يعترفوا بان اهمية اية هيئة تتجلى اساسا في كونها قامت نتيجة التغيير في النظام الدولي اكثر منه اهداف وجودها الظاهرية • ومع ذلك فاذا كان التغيير ثابتا واذا كان سير السياسة الدولية هو السعي حقا من اجل ايجاد طرق جديدة للعمل ، فان مايبدو محتملا هو ان تطوير هذه الهيئات سيسرع في خطاه اكثر منه السير ببطء بسبب ان الوعي السياسي العالمي يسير مبتعدا عن القطبية الثنائية وانه سائر نحو مايقرب من تعدد الاقطاب في ظل النظام الكلاسيكي •

وهناك ناحية اخيرة في التغيير تجدر ملاحظتها وهي : ان السرعة الكبيرة التي تجرى فيها الاحداث اليوم ظلت كذلك منذ ان خفت وطأة الحرب الباردة • وهنا نجد ان التقدم التكنولوجي والمرونة السياسية قد اصبح بامكانها الاسهام في تمكين القوى الاخرى من تحقيق جميع انواع التطوير بسرعة اكثر بكثير مما كان متوقعا قبل عدد قليل من السنين فقط • واذا كنا تتنبأ باحتمال حدوث ثورة او التصارع مع مضامين التكنولوجيا العسكرية الجديدة في اميريكا اللاتينية ، فانه يمكن القول بامان بانه مهما سيحدث فانه سيحدث بسرعة • ان السياسة القائمة على احتمال التغيير في التنظيم الدولي لهو اكثر احتمالا من الدول التي تتوخى الثبات في العلاقات في الفترة المعنية • ذلك ان افتراض السير في طريق مرن هو اكثر امنا اليوم من قبول التوقف عن الحركة •

**الفترة الانتقالية : الاخطـار والفرص :**

لقد اقدم العالم على فترة انتقال من عالم الاستراتيجية العقيمة للاستقطاب الثنائي الى عهد المرونة والتغيير في اوائل الخمسينات من حيث شدتها ولياقتها ، ولكنها ظلت قائمة من حيث معناها ونظامها • ومما تجدر الاشارة اليه هو ان فترات الانتقال التي ينازع فيها القديم على البقاء والتي لم يكتمل فيها الجديد نموه بعد ، هي فترات صعبة لايجاد طريق العيش ، كما انها صعبة الفهم • ففي عصر تسوده الاسلحة النووية وحركة التكتل تصبح فيه مسألة ضغوط الانتقال مسألة معقدة بوجه خاص •

وعلينا ان لاننسى ابدا الخدمة الحقيقية التي ادتها القطبية الثنائية يومها فـــي تركيب وتبسيط السياســة الــدولية • لقـــد كانت كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي ، في اوج قدرتهما للسيطرة على العلاقات الدولية باسم الحرب الباردة ، قادرتين على التقليل من تقلبات سير اية قضية الى درجة كافية بحيث يمكنها جعل ممارســة سيطرتهما عليها ممكنة ، لقد كانت العملية تسير وراء حصر قوى التغيير وتوجيهها الى خطفردي معين ، حتى وان كانت تخص قضية حرجة وخطرة ، تستوجب بذل العناية لادارة مجرى احداثها ، ولكي تصبح امراً يخص بصورة أساسية كل من القوتين الكبيرتين • لقد اعطت سطحية مبدأ استراتيجية القطبية الثنائية على مافيه من تناقض ، قوة حقيقية له • فبتبسيطه للكون سياسيا استطاع الاستقطاب الثنائي ان يكون عمليا امام القطبين العالميين لمجابهة الخضم الهائل من الاحداث •

واليوم يعاني الفريقان الكبيران نقصا في السيطرة المؤثرة على مناطق نفوذهما • فمنذ بداية فترة مابعد الحرب تقريبا ، وعلى الاخص منذ اواسط الخمسينات ، فان جوانب اكثر فاكثر من جوانب السياســة الدولية اخذت تفلت من قبضة قوى الحرب الباردة • فالعالم الذي نما معتادا ( ان لم يكن منسجما اطلاقا ) على طراز السيطرة الذي يحكم العلاقات مابين العملاقين الكبير ين المتخاصمين ، هو اليوم مشغول في

فرحته ، الا ان هذه الفرحة محاطة بخطر مهمة استكشاف حدود الحرية الجديدة • ومن هذا الوضع ينجم الخطر الكبير الى جانب الفرصة الكبيرة المتاحة امام الزمن المعاصر •

والذي يبدو ان النظام السياسي الدولي كما لو كان يقترب من عدم استقرار كلي فرضته قسوة الحرب الباردة ، الى تعديل جديد في تعدد القوى • والثورة في جميع اوجه الحياة الدولية تقريبا هي قاعدة اليوم • وبينما يتدهور بالمقابل الوضع التقليدي ، فان توازن القوى المسؤولة فى نظام ناضج قد حرم من كل تأثير بسبب النزاع الاميركي السوفيتي •والدول الحديثة التي يتملكها تحمس كلي من اجل وجودها ومصيرها ، هذا الى جانب عدم المبالاة والحقد المقصود الظاهر في ممارستها لتأثيرها والذي اصبح طابعها الغالب فى التنكيل ، قد استغلت بكل جد الانشغال السوفيتي الاميركي فى الحرب الباردة •

وخلافا لما هو متوقع ـ وخلواً من اي تبرير ـ فان مثل هذا الوضع قد ادى في الحقيقة الى حدوث ازمة • فالدول اللانووية تتوقع اليوم اتوماتيكيا استمرار لانفوذية ردع الغطاء النووي وتسلك دوما كما لو كانت الحرب نتيجة مستحيلة لمناوراتها • وفي نفس الوقت فان العملاقين النوويين يدركان بالم الاخطار التي يتحملانها ومسؤولياتها الكبيرة ولكن مع ذلك فانهما مرتبكان كثيرا فى نزاعهما الطويل الذي لم يتمكنا حصره ضمن تصميم مشترك يبعده من الاخذ بالاوضاع الى حالة مدمرة • انهما يعيدان اشكال الاخطاء فى تاريخ احداث النزاع احيانا ، بينما نجدهما احيانا اخرى يقومان بمحاولات يائسة مشفوعة بحماس ضعيف لتنظيم علاقتهما مع بعضهما •

ومن نواحي عديدة ، بناء على ماتقدم ، فان فترة السياسة الدولية المعاصرة هيفترة مليئة بدرجة اكثر من الرعب اذا ما قورنت باحلك ايام الحرب الباردة • فلم تكن المرونة لتؤدي الى بهجة صافية ، اذ يمكن اكتشاف ذلك بين الاميركيين بالاعراب عن حنينهم الى عالم الاستقطاب

الثنائي لفترة الخمسينات كونه اقل تعقيدا • ومع ذلك فان هذا الموقف يمثل الاقلية بين الاميريكيين اذ ان اغلب الاميريكيين يفضلون ظروف الستينات على الخمسينات •

وفى الواقع فان الاستقطاب الثنائي المتشدد لم يتمكن من خلق احتمال تجنب الكوارث النووية ، ولكن الحرب الباردة بنضوجها قد ادت الى دفع ثمن عال للاستقرار الذي تمكنت من توفيره • ففي الجو القياسي في النزاع مابين الاميريكيين والسوفيت الذي دام عقد ونصف عقد من السنين كان قد تم الاتفاق على صعوبة التوصل الى حل مرضي ودائم لاي موضوع يثار • واليوم ، مع ان احتمالات المجازفة لاتزال باقية في الجو لدرجة كبيرة وان طرق الوصول الى عمل مجد لايزال امره غامض ، الا ان عض الناس يسمحون لانفسهم على الاقل بالنتيجة امل تخفيف ردع العمل السياسي المدمر وذلك ان اشارة «لامخرج» ربما ستزال من طريق العمل الاكثر جدية على المسرح العالمي •

وهذا هو الجانب الايجابي المرن للعملة الذي يصبح نتيجة عدم الاستقرار • وفي الحقيقة فان مجالات النظام العالمي المرن غالبا ماتتطلب الحركة والطراوة والمبادرة من ممارسيه بدلا من مجرد النتائج التي يخلقها الدفاع المر في اسلوب محدد ضـــد جميع الهجمات • ذلك ان هناك حركة مد وجزر في شؤون الدول ، مثلما هناك نفس الشيء بين الافراد بحيث اذا ما اخذت الحيطة ازاء فيضان ما فانها في الحقيقة تقود الى النجاح • ان الامكانية التي يخلقها العمل المجدي في محيط يمـــر بتغيير سريع ماهو الا نتيجة لكلا حرية الحكومات في الاختيار والتنفيذ لاسلوب معين من العمل والمهارة والشجاعة التي يتحلى بها رجال الدولة التي تساعد على الانتفاع من تحركات الحالة المعنية من دون الانحراف ذاتيا بها •

ونستطيع ، بناء على ماتقدم ، ان تنظر الى امام نحو عالم يتزايد فيه تشرد القوة ، ولكن علينا ايضا ان نكون حذرين جدا تفاديا من ان نكون

فريسة لمنطقنا الذي وصفناه بانفسنا • ان العقبات التي يقاسي منها كل من الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الان في محاولتهما لتنفيذ استراتيجية حربهما الباردة لايمكن التوقع منهما ان تعمل بنفس التأثير في انواع من السياسات الموضوعة لاوضاع اخرى • فربمـا تكون مضامين قدارات الدولة المستخدمة قد تغيرت ، ولكن النظام العالمي ككل لاتزال جذروه خاضعة لتأثير سيادة القوة • فلا تتفاخر موسكو وواشنطن فقط بمستودعاتها الهائلة الحاوية على الاصناف التقليدية العسكرية والاقتصادية والسايكولوجية التي لم يرها العالم من قبل ، ولكنهما ــ مع تأكيدهما في التصميم على استخدامهما ــ يسيطران ايضا على اكبر المستودعات الاشد فتكا من اي نوع من السلاح عرف من قبل • فالحرب الباردة التي ظهرت الى حيز الوجود وطبقت منذ عام ١٩٤٠ ، تتطلب بان اهدافها وتكنيكها يجب ان تحدد من خلال شروط قاسية ولكنها صلبة تقليديا فى قواعدها • لقد تخطى عالم الستينات حدود الحرب الباردة ، في محاولة منه لترجمة مواضيع عام ١٩٥٠ الى اوضاع عام ١٩٦٥ وذلك بغية ايجاد مايثبت عدم صلتها وعبثها •

ان الحرب الباردة قد هجرت ان لم تكن قد عزلت ، ومع ذلـك فان الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي قد بقيا اكبر قوتين في العالم ، كونهما يمتلكان امكانيات هائلة واما ل شامخة • ومع ان كلا منهمـا انفراديا ( لاجماعيا ، طالما بقيا فى خصام ) لايستطيع اليوم اسـتخدام سيطرته على المحيط الدولي ، مثلما كان الامر في السنين الاولى من الحرب الباردة ، فان الفريقين سيظلان الى وقت غير محـدد احرج عوامل ايجاد التعادل السياسي الدولي • ان تاريخ فترة مابعد الحرب الباردة في السياسة العالمية ستظل لامحالة مكونة الى درجة كبيرة من

سجل يذكر كيف ان اكبر قوتين في النصف الثاني من القرن العشرين قد اعادتا النظر في علاقتهما وفكرتا سوية بغية الوصول الى حد اقصى من القوة المشتركة .

# الفصل الثامن

## ما بعد الحرب الباردة

# الفصل الثامن

# ما بعـد الحـرب الباردة

لقد جاء هذا الكتاب كاستقصاء لاستراتيجيات الحرب الباردة لكل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي ، ومتابعة النتائج العملية الناجحة من خلافهما الكبير • ولقد توصلنا اخيرا الى الخلاصة المختلف عليها وهي ان الحرب الباردة كنظام عالمي وكقوة تاريخية قد وصلت الى ما يقرب من اهمالها تكنولوجيا وسياسيا • فاستراتيجية الاربعينات قـد اصبحت غير مناسبة للستينات كون العالم ، لاغراض عملية ، قد ترك الحرب الباردة وراء ظهره •

وهذا بحد ذاته هو نهاية مشهودة للمسرحية الكبيرة لفترة ما بعد الحرب وانها تستحق من اجل الادراك الشامل تفصيلات اكثر بكثير مما قدمه هذا الكتاب • ولكننا لانستطيع فى دخائلنا الطيبة ان تترك الموضوع الى هذا الحد• والقول كما نرى، بان الاشياء لاتستطيع ان تسير على هذا النمط لفترة اطول ، إذ ان اكثر من ذلك يعتبر تهرباً • وعلينا ، اذا كان بامكاننا ، ان نذهب اكثر قليلا من ذلك ، وذلك باضافة شيء ختامي الى دراستنالفترة الحرب الباردة بتوجيهها بقدر مانستطيع الى المستقبل على الاقل الى النتائج الهامة والى الاتجاهات المحددة فـي الفصول السابقة • فماذا ، بعبارة اخرى، نستطيع ان نرى بعد الحرب الباردة •

**التعادل الجديـد :**

ربما يمكن ان نكون متأكدين من شيء واحد وهو : ان حربا باردة كلية سوف لايعقبها سلام دافيء كلي • فالبلغاء يتخطون دوما

حدود الواقع • ذلك انه خلال السنين القاسية من اواخر الاربعينات واوائل الخمسينات فان واجهة التخاصم الايديولوجي التي كانت قد رميت من قبل كلا المتخاصمين لم لتتناسب مع مايعادها من النزاع الكلي في عالم حقيقي من الرجال والاحداث • فالنزاعات لم تكن ابدا قد رفعت تطبيقيا الى مستوى التركيب الايديولوجي بالنسبة للجانبين الممارسين لها• وبنفس الطريقة، لم يظهر اي ضباب وقتي للعلاقات الطيبة بين موسكو وواشنطن ــ كامر غير محتمل ولكن ليس بالمستحيل فى النهاية ــ بالدرجة التي تتساوى فيها كليا الفكرة مع الواقع • اما بشأن عدم الاتفاق والوفاق فسيكون هناك دوما تمويل سخي له من موسكو وواشنطن ، مهما كان هناك من توافق ايديولوجي بين الطرفين •

وانه لتناقض على كل حال، ان نذكر انفسنا بان اعادة تنظيم العلاقات السوفيتية ــ الاميريكية في عالم تحرر من السيطرة الفكرية للحرب الباردة سوف يحول كلا الاسس العملية والفكرية للنزاع بين الدولتين • فبدلا من الرعب والانفجار المبدئي للنهاية المرة للازمات التي صيغت الجو القاسي لاعوام الخمسينات ، فان مايمكن ان نسميه بالنزاع « فى نطاق كبير » سوف يكون القاعدة السائدة • وفى هذا الجو من عدم الاتفاق السوفيتي ــ الاميريكي فان النزاع سينمو نتيجة الالتزام الجدي لكلا الدولتين وفقا لما يقرره التفكير بشأن المصلحة ، وليس نتيجة اي بحث نصف كوني للتنقية الهادفة نحو استئصال الشر كليا • ومثل هذا يمكن ان يعتبر حادثة استراتيجية من حوادث الاختبار والتقرير وليس حادثه قمة استراتيجية • انها نتيجة تقرير سياسة وليس التدليل عليها ، ومن هنا كان النزاع بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي بعبارة اخرى ، وجها من مجموعة اوجة معقدة فى العلاقات بين الدولتين ولكنها ليست اصول هذه العلاقات ولا لحجر الزاوية فيها •

وهذا يفتح باب المناقشة بالقول ان شكل العلاقات السوفيتية ــ الاميريكية يمكن ان يصور فى افضل صور احتمالاته بانه شكل يتميز

بالتعادل الديناميكي التاريخي لسلوك القوى الكبرى ازاء بعضها البعض.
والاميريكيون المعاصرون غير معتادين على العلاقات « الاعتيادية » بين
الدول الكبرى ، منذ ان شارك الاميريكيون فعليا في الشؤون الدولية
والتي بدأت ببدء هذا القرن تقريبا ، كما انه طراز من العلاقات الذي
يكون فيه عملية ممارسة الشدة واللين في السياسة الدولية قد شوهت
بصورة مستمرة اثر حدوث ازمة وراء ازمة . لقد عملت الحرب العالمية
الاولى ، وقيام الديكتاتورية ، والحرب العالمية الثانية ، والحرب الباردة
بصورة منفردة ومجتمعة على قلب تعادل ميزان القوة الواهن في النظام
السياسي . ولكن في اواسط الستينات فقط ، حيث فرض بكل قوة
الاختيار بين الدمار وضبط النفس ، كان على رجال الدولة من ذوي
المسؤولية الواعية في كل مكان ان يعودوا ثانية بكل انجذاب وقطعية
الى تقدير اهمية الاسلوب الكلاسيكي في التنظيم الدولي . لقد قاد
التاريخ الحرب الباردة ، على الاقل ، الى حافة التعقل في هذه النهايات
التاريخية .

لقد تعودت الدولة الكبرى ان يمنحها زميلاتها دوما في ان يكون
لها مصلحة شرعية في جميع القضايا في اي مكان على الكرة الارضية .
ومن خلال ممارسة هذه الاهتمامات المتنوعة فانها لاتستطيع تجنب
مجابهة القوى الكبرى الاخرى ، وبذلك تكون جميعا ممارسة لنفس
الشيء . وقد تتطابق مصالح مثل هذا النوع من الدول على بعض
القضايا والاماكن ، الامر الذي ينجم عنه صداقة وربما تطور الى علاقة
تعاونية في القضية المعنية . الا انه بالنسبة لقضايا اخرى ، فقد تتضارب
المصالح على اية حال ، وهو ماينجم عنه عدم الاتفاق والنزاع . وبناء
على ذلك ، فان ميزان العلاقات بين اية دولتين كبيرتين يظل مترنحا مابين
الصداقة والنزاع الكلي في جميع الاوقات ، وليقرر امرها بصورة
تفصيلية فقط على اساس تبادل المصلحة والقوة عند الاحتكاك . ووراء
القرارات والعلاقات في القضايا الخاصة فان هناك اتفاقا اساسيا على

ضرورة تأمين وحفظ النظام العالمي ذاته و خاصة الدور الخاص للاعضاء الرئيسين • وهكذا فان كل قوة كبرى تقبل بوجود واستمرار المركز العالمي للاخرى كتحديد ثابت على حريتها في الاختيار •

لقد لاحظنا عمليا كيف ان الافتراضات الثورية لكل من الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة لم تطبق قط بدقة كما اعلن عنها ، وان الاتفاق الفرعي على كيف نحارب الحرب الباردة قد عدلت حدة النزاع ازاء مايرغب به كل فريق ، منذ البدايات الاولى تقريبا • وكل مابقى في اواسط الستينات من اصل الحرب الباردة السوفيتية ــ الاميريكية هو جملة من الاستعارات ( التي لايرضى عنها تماما موجدوها ) ومجموعة من المسؤسسات • ومن اجل اعادة العلاقات الى الوضع الطبيعي بين القوتين الكبيرتين في طرازها الكلاسيكي ، بعبارة اخرى ، هناك حاجة فقط الى الاعتراف بالحد الاقصى للسياستين اللتين اعيدا تنسيقهما •

ان التصفية النهائية للحرب الباردة تتطلب فقط ان كلا الفريقين يعترفان على الاقل لنفسيهما بان فلسفتهما الثورية في العلاقات الدولية قد تخطاها الزمن وان يقبلا نظام الدولة كما هو قائم اليوم كمرحلة تنظيمية ضرورية لبقية ادوارهما من مسرحيتهما • اذ ليس باستطاعة اي منهما امكانية توحيد تفكيرهما او اعمالهما على اساس ان النظام الدولي التقليدي هو نظام وقتي وعقبة زائلة امام تحقيق الصــورة الخيالية في ذهنيهما • ان عليهما بدلا من ذلك البحث من الآن فصاعدا عن مصيرهما كل في حدوده •

الا ان بامكاننا ان نكون متأكدين بان لاموسكو ولا واشنطن ستجدها مسألة سهلة في هــز اكتافها للافصاح بعلانية صورة امالهما العريضة للشؤون الدولية والحرب الباردة • لقــد انفقت الحكومتان مثل هذا الجهد الجسيم في الايديولوجية والهيبة والقوة والوقت والنشاط السياسي الداخلي من اجل اقامة وانجاز صورة كفاحهما الظاهري ، بانه ما ان افرغ كل منهما حمولته الايديولوجية ، ان عاجلا ام آجلا ،

فانه سيحدث تنائج جدية داخليا وخارجيا • وكما ان المبادىء غالبا ماتكون ارباكاتها اطول عمرا من الحقيقة التي نريد ان نوضحها ، فكذلك تكون المؤسسات اطول عمرا من الظروف التي تطورت في ظلالها النظم من اجل السيطرة عليها بالاصل •

ولكن التغيير فى المفاهيم امر ضروري • ان الطراز المقبول للحرب الباردة لدى الاميريكيين ( او الروس لذات الشيء ) كان بالاصل يدور حول طريقة تكون خلاف حقيقي على مواضيع معينة ، وان بالامكان الان، تكييفه لواقع العالم العملي مع تجاهل التبعية المتنامية للحقيقة المرة• وبالنسبة للولايات المتحدة فان قاعدة اتخاذ القرارات في سياسة ما او بناء النتائج تقوم على الافتراض القائل «ان لاتغيير اساسي قد حصل» منذ حصار برلين عام ١٩٤٨ ، وقيام معاهدة شمال الاطلسي عام ١٩٤٩ ، او اندلاع الحرب الكورية عام ١٩٥٠ بحيث يمكن له ان يحافظ على التبعات الايديولوجية ولكن ماحصل ايضا يمكن ان يفتح باب احتمال حكم خاطىء مدمر على الاحداث الجديدة •

وهكذا ، ان خيرا او شرا ، فان العالم بوجه عام ، والولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي بوجه خاص ستكون مضطرة للعيش مع النظام المتطور للحرب الباردة لقرون عديدة ، وربما لاجيال عديدة قادمة • وهكذا ايضا سيكون التفاوت بين العقيدة والواقع ، والذي بان فعليا وبكل وضوح وصدود لواضعي السياسة ، بصورة مزعجة ومربكة لنظام الدولة وسيظل من الضروري لسنين كثيرة لرجال الدولة ترجمة وتحليل الاحداث ذاتيا على مستويين منفصلين هما المبدأ والواقع • فلا الكلاسيكيون الذين يطمحون فى الرجوع الى الدقة الميكانيكية لتعادل القوة ولا المثاليون الذين يحلمون بقيام عالم من دون حرب يمكن لهم ان يكونوا مسرورين عند هذه النتيجة ، ولكن يبدو ان لامفر من ورطتها •

وقد يكون بالامكان تصوير المشكلة التي تواجه اقطاب الحرب الباردة بعبارات مبسطة • كيف يمكن لهما ايجاد التوافق بين سياستهما

نحو العالم بوجه عام ونحو بعضهما البعض بوجه خاص وفقا للمتطلبات العملية للنصف الثاني من القرن العشرين من دون احداث اي أضرار غير قابلة للاصلاح بالنسبة لمصالحها الخاصة الداخلية والخارجية ؟ كيف ، بعبارة اخرى تستطيع كل من الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة ان تحافظ بنسبة معقولة على معميات الحرب الباردة من اجل الوفاق في الداخل والقيادة في الخارج وفي نفس الوقت الحصول على حرية كافية للعمل وذلك لبناء قاعدة للتعامل مع الفريق الآخر ؟ وبوضع السؤال ضمن هذه العبارات فانه يبدو فظا وسخريا • ومع ذلك فان توقع اي من النظامين بتعريض تماسكه الداخلي ، وقيادته لكتلته التي كرس نفسه من اجلها لوقت طويل لهو امر غير واقعي •

واذا منحنا ، بناء على ذلك ، وهذا هو مايجب ، استمرار استخدام المصطلح وتراكيب نظام الحرب الباردة الى العلاقات السوفيتية ــ الاميريكية الى وقت غير معلوم في المستقبل ، فماذا يمكن ان يتوقع من الحكومتين ان تعمله في عقود السنين المقبلة لوضع علاقتهما على اساس اكثر دواما وربحا ؟ كيف يمكن لمصطلح التعايش المتنافس ــ الذي يغشي فيه الواقع على الايديولوجية ــ ان يترجم الى واقع ؟ ماذا ، وها نحن نعيد السؤال السابق ــ يقف وراء الحرب الباردة ؟

فحتى ضمن الحدود التي لخصناها فان هناك خطين اساسيين يمكن تحديدهما للمحاولةالسوفيتية ــ الاميريكية• ونالا بالفعلقبولا واسعا• والهدف من ذلك هو تحقيق درجة اكبر من الاستقرار في العلاقات• الاول، والذييحتل اهمية اكبرفيالوقت الحاضر، هو الاستمرار في بناء حدود الامان حول مواضيع الحرب الباردة وذلك من اجل خلق موانع مؤثرة ضد فقدان السيطرة من قبل اي فريق التي من شأنها ان تكون مميته • والثاني ، الذي اصبح الان غير ذي شأن ، الا انه من الواضح انه سيكون له الشأن الكبير في السنين المقبلة ، وهو اكتشاف واستغلال مجالات المصالح المشتركة من اجل استعادة سيطرة القوة الكبرى على سير السياسة الدولية •

## حدود الامان في الحرب الباردة

ومنذ ان اوصل العقم في كوريا الطرفين الى الحالة المؤسفة الموحية بأن الحرب المكشوفة بينهما قد ينجم عنها اما الفشل او الكارثة بعيدا عن اي نصر ، فقد بدأ البحث بحماس صامت في الطرق التي يمكنها السيطرة على خلافهما • وهذا يعني تحديد حدود الاختلاف التي من خلالها يمكن لهما القتال في المعارك بامان — اي ضمان استمرار عيش كـلا الفريقين ضمنيا • وهذه المقاييس المسموح بها قد اخذ بها منذ ذلك الحين ، على الرغم من الاخطار التي واجهتها خلال الازمات كازمة السويس في عـام ١٩٥٦ ، وكوبا في عام ١٩٦٢ •

وبالاضافة الى ماتقدم ، فانه بعد منتصف الخمسينات فان ماقيل في السابق الذي كان ضمنيا في حينه قد اصبح اكثر وضوحا ونال الاعتراف الـرسمي في عدة مناسبات وقتية ولكنها كانت خطوات ذات معنى ، كمعاهدة القطب الجنوبي لعام ١٩٥٩ ، والتي وصلت قمتها بمعاهدة حظر التجارب النووية لعام ١٩٦٣ ، وحتى بموت الرئيس كندي فان ذلك لم يكن له الا التأثير القليل لاحلال التغيير في المناخ • وحينما اعتلى الرئيس ليندون جونسون مركز الرئاسة فانه كـان قد التزم بملاحظة الحدود الدقيقة لحرية الحكومـات المستخدمة فعلا والتي عن طريقها تناقش الاختلافات • وعلى هذا النحو من التحرك ازاء القضايا كقضية منع الاسلحة النووية المدارية في الفضاء التي اتخذت الجمعية العمومية للامم المتحدة قرارها عام ١٩٦٤ بشأنها مثلا ، فقد استمر سير الامور على نهج الرئيس كندي • وهكذا مرت الحرب الباردة بزاوية تاريخية منذ عام ١٩٦٣ •

ومع ان الاوضاع قـد تحسنت بصورة ملموسة ، الا انها ظلت مشحونة بالاخطار • فلقد بدا انه لاتزال هناك حاجة الى القيام بعمل من شأنه ان يجعل حدود الامان اكثر رسمية • اما الان فلا يرى أي من الفريقين الحاجة الى اشغال الطرف الاخر بتخمين ماينوي القيام به • ففي ظل الاوضاع العصرية اصبح العدو غير المؤكد الذي يملك قوة حق الشفعة هو في الحقيقة اكثر خطرا من عدو لديه المعرفة الكاملة • لقد كان مثيرا ،

مثلا ، ان تكون الخطوة الاولى التي اتخذت من قبل نظام بريجنيف ـ كوسيگن في الاتحاد السوفيتي اثر ظهورهما الفجائي بعد طرد خروتشوف في تشرين اول عام ١٩٦٤ ، بصورة علنية مؤكدة تأكيدا خاصا للولايات المتحدة بالالتزام فى الاستمرار على نهج التعايش السلمي وعلى المضي « فى استمرار تحسين العلاقات » مع الولايات المتحدة . وهكذا فان طريقة اقامـة الحدود تبدو انها سائرة في طريقها . وهـذه الاتفاقات والتنظيمات سوف تعطي العديد المتنوع من القضايا . وسوف يكون لها تأثيرها لضمان تعريف كل من هذة السياسة التي ابطل فيها مفعول الحرب الباردة والمبادىء الاساسية التي بموجها يتم النظر فى الخلاف المستمر .

وحدود الامان هي على اشكال ثـلاثة : سلوكيا ، جغرافيا ، ووظيفيا . فالحدود السلوكية تؤثر على الطريقة التي يتم فيها حسم الخلاف ، اما الحدود الجغرافية فانها تتضمن الاماكـن التي يتم فيها الخلاف ، بينما الحدود الوظيفية تتناول المواضيع ذات العلاقة . وهذة الحدود الثلاثة قد صنفت على اساس مايمكن تسميته بالنظام الهرمي لما هو آني وبسيط فى ممارسات المستقبل .

واوضح نقطة في العمل المبدئي بشأن الاجراءات هي السيطرة على السلاح ونزعة . ان تجربة كلا الحكومتين فى التعامل بشأن هذة المشكلة المخدشة قد اقامت نقطة مهمة وهي انه بالرغم من تعدد الاوجه والسيطرة والدقيقة التي تضمنتها القضايا الفنية فان اتفاق السيطرة على السلاح هو بالاساس اتفاق سياسي يعتمد عليه كلا الطرفين فيتفاوضهما وتطبيقه بنجاح بدرجة سخية من الثقة المتبادلة . ان اعطاء خلاصة مجردة على مثل هذة المعاهدة هي بحد ذاتها تشكل مناقشة قوية الى جانب تأجيل التعقيب عليها فيما بعد . ان السيطرة على السلاح كانت ولاتزال وستكون تخضع لطرق متنوعة . ففي نهاية عام ١٩٦٤ كان كل من الـولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي قد استخدم فعليا معاهدة السيطرة علـى السـلاح كما استخدم قرار الامم المتحدة وعدة اتفاقات مبدئية ثنائية متقابلة ،

هذا بالاضافة الى عدد من المباحثاتغير الرسمية كان الهدف منها تحقيق السيطرة على السلاح • وفى مجال حساس كهذا فان النتيجة المتوصل اليها هي اكثر اهمية من نوع الطريقة المستخدمة ، وان كلا الحكومتين قد التزمتا من اجل الوصول الى النجاح بدليل ماابدياه من رغبة صادقة في اكتشاف طرق اخرى لغرض الوصول الى اهدافهما المشتركة •

والى جانب قوة الدفع المعاصر في السيطرة على السلاح فقد امكن اتخاذ اجراءات اخرى لتحديد الحرب الباردة وربما كان اكثرها وضوحا هو التناقص الملموس فىكل من الشعور العدائي ومعارك الدعاية الشديدة • فيها نحن نجد كلا الخصمين اليوم يمارس الضغط الملحوظ فى حملات دعايتهما خوفا من ان فترة الانتعاش الوقتي الحالي تتبدد • كما ان كل فريق يختار الان حدا ادنى من الجوانب الايجابية للصداقة والتعاون في المجالات غير السياسية • فالجدية والواقعية فى التعامل الدبلوماسي والمتسمة بحد ادنى من المواقف العامة وبزيادة فى وجهات النظر السرية ذات المعنى ، هي اجراء آخر نحو الامام ويستحق اهمية حقيقية • كما ان علينا ان نلاحظ مرة اخرى هجر اسلوب الحرب الاقتصادية اسلوب وطريقة ازدياد التجارة بين البلدين •

واما بالنسبة للقيود الجغرافية التي لها امكانية التأثير بشدة على الصور الذهنية « لمناطق النفوذ » والمناطق الدفاعية المنسجمة من عصور خلت ، فإن هناك في الحقيقة من القيود المحتملة فيها مايستحق كل تقدير • فالقطب الجنوبي تم اخراجة من حدود الحرب الباردة ، كذلك الشأن ولاغراض عملية بالنسبة لجنوب الصحراء الافريقية • كما ان موقفا اميريكيا ــ سوفيتيا مشتركا اخذ يتبلور على مناطق حساسة مثل لاؤوس وكمبوديا • ولكن علينا ان لاتتوقع كثيرا هنا • فالقوى الكبرى غالبا ماتتردد فى التوقيع على وثائق مانعة ذاتيا بحيث تنكر لنفسها حرية العمل فى اية من بقعة من العالم ، اللهم الا اذا كان هناك اسباب ملحة جدا يقتنع فيها العملاقان من التخلي عن محاولاتهما السياسية لوقت غير محدود فى بقعة معينة •

هنا ، وبصورة متناقضة ، فان تصفية حساب القطبيةالثنائية قد عملت على تعقيد الامر • ففي عام ١٩٤٩ وعام ١٩٥٠ كـان اي اتفاق سوفيتي ـ اميريكي مشترك على عدم التقرب من منطقة خالية من النفوذ معناه العزل الحقيقي لتلك المنطقة عن سياسة القوى الكبرى • اما اليوم على كل حال، فان انسحاب موسكو وواشنطن ربما كان تأثيره فقط ينحصر في فتح المنطقة امام ماكنة القوى المنافسة كفرنسا ، الصين الشعبية ، الهند او حتى كوبا • لقد راقب العملاقان بكل أسى ، مثلا الرحلة الافريقية التي قام بها شوان لاي خلال عامي ١٩٦٣ ــ ١٩٦٤ ، ورحلة الرئيس ديكول الى اقطار اميريكا اللاتينية فى خريف عام ١٩٦٤ • ومن هنا فلم ير أي منهما اية فائدة من التخلي عن محاولاتهما في منطقة لمجرد تحويلها الى اطماع قوة ثالثة • ومع ذلك فحيث وجدت الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي ، ان منطقة معينة هي منطقة خطرة جدا ، اوغير مريحة جدا ، او انها غير مستقرة جدا بحيث تشكل ساحة مغرية للخلاف فان الدولتين ستبذلان جهودا جدية من اجل اخراجهما من حقيبة الخلاف والعمل من اجل تحقيق حد ادنى من الاستقرار فيها •

اما بالنسبة للشكل الوظيفي من اشكال القيود فان علينا الاعتراف بانه اليوم يتمثل فيه الجانب النظري دون العملي • فمن ناحية ، هناك تناقض داخلي فى التصنيف ، منذ ان كان انهاء عدم الاتفاق على موضوع معين هو اعتيادياً خطوة قصيرة لتجنب تحقيق اتفاق بشأنه،اذ ان ماهو قائم من دليل يؤكد هذه الفكرة•فلقد سويت عدة مسائل ذات اهمية تكنيكيةاو ثقافية ، كما انه جرى بعد كل تصفية لخلاف ما تحول سريع نحو تعاون ايجابي • وما معاهـدة القطب الجنوبي الا مثل حي على ذلك • كما ضمنت قضايا اخرى تعاونا محدودا ولكنه متزايدا فى بحوث الفضاء التي تهييء وجهة نظر مختلفة لمعرفة أكثر في التسابق الفضائي ، ووجهت البحوث التعاونية الهادفة نحو ازالة ملوحة مياه البحر • ومع كل هذا فان سجل القيود الوظيفية ، على الاقل لحد هذه النقطة ، هو غير مشجع بوجه خاص ، ولكنه ربما يتحول الى استغلال من قبل الجميع • والشرط

الوحيد المطلوب هو الزيادة في الثقة المتبادلة ، وهي حالة كانت في الماضي قد اعتبرت لاامل فيها ، اما اليوم فانها فى طريق التطوير •

وهكذا فان صورة اقامة القيود في فترة مابعد الحرب الباردة ، او على الاقل لما بعد القطبية الثنائية ستمثل عصرا من العلاقات السوفيتية ـ الاميريكية يكون فيه الهدف الاساس ايجاد تعريف للمجالات الجغرافية والوظيفية والاجرائية التي سيتم في ضوئها تصفية مابقى من اي خلاف كبير • وسيكون الخلاف ربما في مجموعه من حيث مفهومه واستعارته ، خلافا يمكن السيطرة عليه وضبطه من الوجهة التطبيقية •

**استعادة مركز القوة الكبرى :**

وهكذا تكون الحرب الباردة كعامل مستمر ذي تأثير على العلاقات السوفيتية ـ الاميريكية فى المستقبل • ولكن ماذا عن الزيادة والزيادة المستمرة فى نسبة اهتمام كلا الدولتين بسياستهما التي لايمكن ان تقدم اكثر من هذا وفق ضرورات النزاع ؟ ماهو المبدأ الاستراتيجي الذي يحكم الاستجابات الاميريكية والسوفيتية لقضيا لاتخص الحرب الباردة ؟

وهنا لابد من الرجوع مرة اخرى الى مبدأ ورد ذكره كثيرا في حديثنا : وهو فقدان السيطرة على الاحداث التي اخذت تعاني منها الحرب الباردة في السنين الاخيرة • والى درجة كبيرة ، وكما اكدنا ، فان هذا كان مبعثه عوامل تغيير تكنولوجية وسياسية فوق سيطرة كل من السوفيت واميريكا ، ولكن من جهة اخرى ان تدهور كيان العملاقين هو من صنع ايديهما • فاحدى ابعاد اشكال الحرب الباردة التي حصرت كل الاختيارات بـ « دوام الخلاف » قد منعت ايا من الحكومتين امكانية الاستجابة لتغييرات الجو السريعة •

ان مركز القوة الكبرى التي وصلت اليها كلا الدولتين في عام ١٩٥٦ قداصابها الضرر البليغ ، والآن فان عقلانيتهما ازاء بشأن التزامهما ازاء نزاعهما باطلاق ايديهما نحو العمل المثمر في القضايا الاخرى ، يجعلنا

تتوقع من كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي باتخاذ خطوات جزئية نحو اعادة صقل وتعديل صورة القوة الكبرى والقيادة في المفهوم التكنولوجي والسياسي الذي لحق بها • والتأكيد الشديد في مستقبل العلاقات السوفيتية الاميريكية سيكون منصبا على استعادة مركز القوة الكبرى في عالم متغير وسائر في التغيير •

وهذا لايعني قيام فكرة جديدة • ذلك ان هجوم الكتلة المناوئة للاستعمار في الجمعية العمومية للامم المتحدة ، مع انه آنيا اكثر ازعاجا للولايات المتحدة ، الا انه مزعج بنفس المضمون بالنسبة للاتحاد السوفيتي • فجميع القيادات الجديدة في الجمعية العمومية تمثل دولا صغيرة لها مصالح مشتركة في تقييد القوى العملاقة بأنكارها لها قدرتها في السيطرة على الاحداث • ومن هنا اصبحت صياغة السياسة الخارجية في جو مشحون من التعاطف غير المكرم لمجموعة غير مستقرة وغير مسؤولة وناقمة لاقاليم غير متطورة وكانت في السابق مستعمرة لهو امر بغيض لكل من موسكو وواشنطن •

ولكن ايا من الفريقين لم يظهر بصورة علنية عن رغبته في الكف عن قدر معقول من مطالبيه لقيادة الدول الصغرى والقيام باتخاذ اجراءات نحو هدف مشترك عام مع خصمه • ثم ان كليهما ، على كل حال ، اكثر ارتخاء نتيجة يأس واستمرار ازدياد صلابة القوى الصغرى • ومن هنا كان عدم الابطاء في التحرك العلني للقوى الكبرى الهادف الى استعادة مركزها امرا ضروريا يسبب الخوف من ان السماح لعملية التدهور باستمرار لاكثر من هذا لايمكنها من ارجاع الامور الى حالتها بثمن ممكن تحمله •

وبالامكان فك العقدة في الموضوع • فموسكو وواشنطن ، منذ ان كان ليس باستطاعتهما السيطرة ثانية على جميع عمليات السياسة الدولية في اية حالة وانهما بالاضافة قد تضررا في قدرتهما جراء الخلاف بينهما ، فإن عليهما ان يبحثا ويبدءا في استغلال المجالات التي يمكن عن

طريقها تجمع سياستهما وقوتهما • وسيكون هدفهما ايجاد الحلول ذات المصالح المشتركة لهما في لعب دور مسيطر قدر الامكـــان على الشؤون العالمية • وبعبارة اوضح ، ان تركيز القوة فى ايدي السوفيت والاميريكان التي صبغت القسم الثاني من الاربعينات قد اختفــت ، ولا يوجد اي شيء يشبه السيطرة السوفيتية ـ الاميريكية لتلك الفترة مايمكن ادراكه الآن • ولكن لازال هناك الشيء الكثير الذي يمكن تحقيقه •

ان افضل خطوة للبداية ربماكانت متمثلة فيالوصول الى وضع سياسة مشتركة لتطوير دول آسيا وافريقيا، سياسة تقوم على الاتفاق بشأنالسرعة المرغوبة ومدى المساعدة في التنمية اكثر منها على التنافس السياسي • ولو سارت موسكو وواشنطن على التخلي من الفرسان المناوئة للاستعمار في سياسة خلق فرص الخلاف بينهما ، فانه ينتج عن ذلك نتيجتان : ان المكانة المهدورة للدولتين سوف تستعاد الى درجة كبيرة ، وفي نفس الوقت سيقدمان خدمة كبيرة لاقامة صرح النظام والاستقرار في العالم غير الغربي •

اما خطر الهجوم الثاني المفتوح امام حكومتي موسكو وواشنطن فهو يقوم على عدة مواضيع سياسية ظلت غير محلولة ولكنها نشطة بفعل قوة الحرب الباردة • واوضح مثل على ذلك هو المانيا ، الى جانب مواضيع اخرى قامت على سطح جسم النزاع وتفرض نفسها لحـل آني • ان المشكلة التي تواجه الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي هي مشكلة تتطلب العمل المشترك من اجل الوصول الى حل مقبول من قبل ان تعمل القوى المحلية والقوى غير المسيطرة عليها على ايجاد حلولها بطرق مناقضة لرغبات القوى الكبرى • ففي حالة المانيا الخاصة ، فلا موسكو ولا واشنطن تنظر الى الامام بروح تحمل وحدة جميع الالمان القومية بتحرك من قبل الالمان انفسهم • ومثل هذه النتيجة سوف تزيل جميع الاحتمالات الموروثة والخاصة بشأن قيام دولة المانية عسكرية

موحدة ، متحررة من اية توجيه او سيطرة • ان على القوى الكبرى ان تسخر كل امكانياتها القائمة من اجل الوصول الى حل القضية الالمانية من قبل ان تفلت الحالة من ايديهم الى الابد •

ان آخر طريق ، الذي يحتمل ان يكون اخطر طريق ، نحو استعادة مركز القوة الكبرى هو تطوير واستخدام السياسة المشتركة نحو القوى الجديدة والخطرة المنافسة والمتمثلة بسلوك الصين الشيوعية وفرنسا ديگول • هاتان الدولتان قد اقبلتا على تغيير واسع لمركز قوتهما ، الامر الذي يشكل تهديدا خطيرا جدا على القيادة السوفيتية والاميريكية في السياسة الدولية • ولا اقل من دول آسيا وافريقيا الجديدة، فان كلاً من بكين وباريس مدينة برفعة شأنها المعاصرة الى حقيقة وجود النزاع السوفيتي ـ الاميريكي • ان عداءهما الاستغلالي للاماكن الخالية والقائمة بين قوى الحرب الباردة كانت مساعدة كل المساعدة لاطماعهما بقدر ماهي مزعجة للدول العملاقة • ولكن الجزء الكبير من هذه الفائدة ستشتت بسرعة اذا ماجابهت الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي سوية كلا من الصين وفرنسا في تصميمهما للسيطرة على الشؤون الدولية • اذ ليس بامكان هذا الظهور الفجائي لكل منهما على انفراد او مجتمعتين القدرة الاحتياطية الكافية من تحدي القوة السوفيتية ـ الاميريكية الموحدة •

ان كل هذا يقع في التصنيف الكلاسيكي التقليـدي • فالقوة الكبرى هي اكثر من مركز تتمتع به في النظام السياسي الدولي ، انها ايضا دور ايجابي تستطيع ان تلعبه • ان متطلبات القوة دوما هي امكانية تحقيق اقرب الاحتمالات التقديرية العالمية الممكنة من زاويتي المصلحة والعمل التي يسمح بها المحيط السياسي • ثم ان دائرة القوى الكبرى قد تتشابك بين اعضائها ، ولكنهم يتفقون على ان مجموعتهم يجب ان تحتكر القرارات المهمة داخل النظام الى الحد العملي الاقصى • وعند الرجوع الى التركيب اللاايديولوجي للقوة الكبرى لاتخاذه كمرشد لسياسة المستقبل ، فأن كلا من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي

سيكون لهما كيان غني في السوابق والفنون السياسية لارشادهما •

وهكذا فان فترة مابعد الحرب الباردة فى العلاقات السوفيتية ــ الاميريكية ستتميز بالرجوع المقصود الى الطراز الكلاسيكي فى علاقات القوى الكبرى • وانه ليس بالامكان ، حتى تحت احسن الظروف ، تحقيق اكثر من نجاح جزئي • ذلك ان هناك العدد الكبير من الاصول القديمة فى عدم الاتفاق بين الدولتين التي لايمكن ان تكون فيها العلاقات قويمة حقا ، وان عالم هذا القرن سوف لايمنح اكثر من درجة محدودة لاي عضو ، لتحقيق تكتيكات الطراز القديم للقوة الكبرى • ولكن الافتراض الاساسي القائل بانه طالما ان التداخل الاستراتيجي في فترة الحرب الباردة قد قام على فرضية ثورية ، فان الصورة التالية للسياسة ستنطلق من اسس اكثر كثيرا في تقليديتها حول طبيعة واهداف السياسة الدولية •

**كلمة اخـيرة :**

قد يكون الوضع لما عد الحرب ملتهبا ومدمرا وهو احتمال ظل عالقا في ذهن الكثيرين م نالناس خلال العقدين الاخيرين من السنين والذي تطلب القليل جدا من البحث او التحليل في هذا الكتاب • ولكن التاريخ يسير في الاتجاه المعاكس • ان المناخ الاكثر تقليدية في العلاقات السوفيتية ــ الاميريكية الذي تتنبأ به هنا هو مناخ يحمـل اخطاره الخاصة به ولكن بدرجة واسعة من زيادة الفرص ايضا • اما كيف ستكون الاجيال المقبلة ازاء كل هذا فانه سوف يتوقف الـى درجة كبيرة على مقدار استفادة الرجال الذين هم في قيد الحياة الان من فرصة انفتاح الابواب الجديدة التي يواجهونها الان وسيواجهونها خلال العقود من السنين القادمة ، للقيام بعمل مجد •

# مراجع مختارة


Bailey, Thomas A., America faces Russia: Russian-American Relations from Early times to Our Day (Ithaca, N.Y.: Cornell University Press, 1950).

Barghoorn, Frederick G., Soviet Cultural Offensive (Princeton; N.J.: Princeton University Press, 1960).

Bell, Coral, Negotiation from Strength: A study in the Politics of Power (New York: Alfred A. Knopf, 1963).

Brumberg, Abraham, ed., Communism after Stalin: An Anthology from problems of Communism (New York: Freredick A. Praeger Inc., 1960).

............, Russia under Kharushchev: An Anthology from problems of Communism (New York: Frederick A. praeger, Inc., 1963).

Brezezinski, Zbigniew and Samuel P. Huntington, Political Power: USA/USSR (New York: The Viking Press, Inc., 1964).

Caldwell, Roy, Communism in the Modern World (Philadelphia: Durance Co., 1962).

Cohen, Carl, Communism, Fascism & Democracy (New York: Random House, 1962).

Coran, Melvin, Soviet Foreign Policy since World War II (New York: Frederick A. Praeger, Inc., 1963).

Dallin, Alexander, The Soviet Union at the United Nations (New York: Frederick A. Praeger, Inc., 1962).

............, ed., Soviet Conduct in World Affairs: A Selection of Readings (New York: Columbia University Press, 1960).

Dallin, David J., Soviet Foreign Policy after Stalin (Philadelphia: J.B. Lippincott Co., 1961).

Ebenstein, William, Today's Isms: Communism, Fascism, Socialism, Capitalism (Englewood Cliffs, N. J. : Prentice Hall, Inc., 1958).

Etzioni, Amitai, Winning without War (Garden City: Double day & Company, Inc., 1964).

Fleming, Denna F., The Cold War & its orgins: 1917-1960 196).
(Garden City: Double day & Co., Inc.,) 2 vols.

Fromm, Erich, May Man prevail ? An Inquiary into the Facts and Fictions of Foreign Policy (Garden City: Doubleday & Co., Inc., 1961).

Garthoff, Raymond L., Soviet Strategy in the Nuclear Age (New York: Frederick A. Praeger, In., 1962).

Graebner, Norman A., Cold War Diplomacy, 1945-1960. (Princeton, N.J.: D. Van Nostrand Co., Inc., C. 1962).

Jackson, Barbara Ward, the Interplay of East and West. points of Conflicts & Cooperation (New York: W. W. Norton & Co., Inc., 1962).

Kaufman, Willian W., the McNamara Strategy (New York: Harper & Row, Publishers, Inc., 1964).

Kautsky, John H., ed., Political Change in Underdeveloped Countries: Nationalism & Communism (New York: John Wiley & Sons., Inc., 1962).

Kennan, George F., On Dealing with the Commonist World (New York: Harper & Row, Publishers, Inc., 1964).

..........., Russia & The West Under Lenin and Stalin (Boston: Little, Brown & Co., 1961).

..........., Russia, the Atom, and the West (London: Oxford University Press, 1958).

Knorr, Klaus E., ed., NATO and American Security (Princeton, N.J.: Princeton Univ. Press, 1959).

Kulski, W.W., Peaceful Coexistence: An Analysis of Soviet Foreign Policy (Chicago: Henry Regnery Co., 1959).

Lerche, Charles O., Jr., Foreign Policy of the American People, second edition (Englewood cliffs, N. J.: Prentice Hall, Inc., 1961).

Laqueur, Walter and Leopold Labedz, Polycentirism: The New Factor in International Communism (New York: Frederick A. Praeger, Inc., 1962).

Lukacs, John, A History of the Cold War (Garden City: Doubleday & Company, Inc., 1961).

Neff, John C. and W.F. Hahn, eds., American Strategy for the Nuclear Age (New York: Doubleday & Company, Inc., 1960).

Northrop, F.S.C., Meeting of East and West: An Inquiry Concerning World Understanding (New York: the Macmillan Company, 1946).

O'Conor, John F., Cold War and Liberation: a Challenge of Aid to the Subject peoples (New York: Vantage Press, 1961).

Petrony, De Vere, Soviet Foreign Policy (San Francisco: Howard Chandler Publishing Co., 1961).

Roberts, Henry L., Russia and America: Dangers and prospects (New York: Harper & Row, publishers, Inc., 1956).

Rostow, Walt W., the United States in the World Arena: An Essay in Recent History (New York: Harper & Row, publishers, Inc., 1960).

Rubinstein. Alvin Z., ed., the Foreign Policy of the Soviet Union (New York: Random House, 1960).

Schelling Thomas C., Strategy of Conflict (Cambridge, Mass: Harvard University Press, 1960).

Selznick, Phillip, the Organization Weapons: a Study in Bolshevik Strategy and Tactics (New York: Free Press of Glencoe, 1959).

Shulman, Marshall D., Stalin's Foreign Policy Reappraised (Cambridge, Mass: Harvard Univ. Press, 1963).

Thompson, Kenneth W., American Diplomacy and Emergent Patterns (New York: New York University Press, 1962).

Wise, David and Thomas B. Ross, the Invisible Government (New York: Random House, 1964).

Wolfers, Arnold, ed., Alliance Policy in the Cold War (Baltimore: the Johns Hopkins Press, 1959).

## دليـــــل

# محتويات الكتاب

الصفحة

## الفصل الرابع

## استراتيجية الاستجابة : الولايات المتحدة



## الفصل الخامس

## ميادين الحرب الباردة



## الفصل السادس

## معالم القضايا والازمات



## الفصل السابع

## التغيير الكبير

## الفصل الثامن

## ما بعد الحرب الباردة

# THE COLD - WAR ... AND AFTER

Charles O. Lerche Jr.

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد

« ١٠٦١ لسنة ١٩٧٥ »

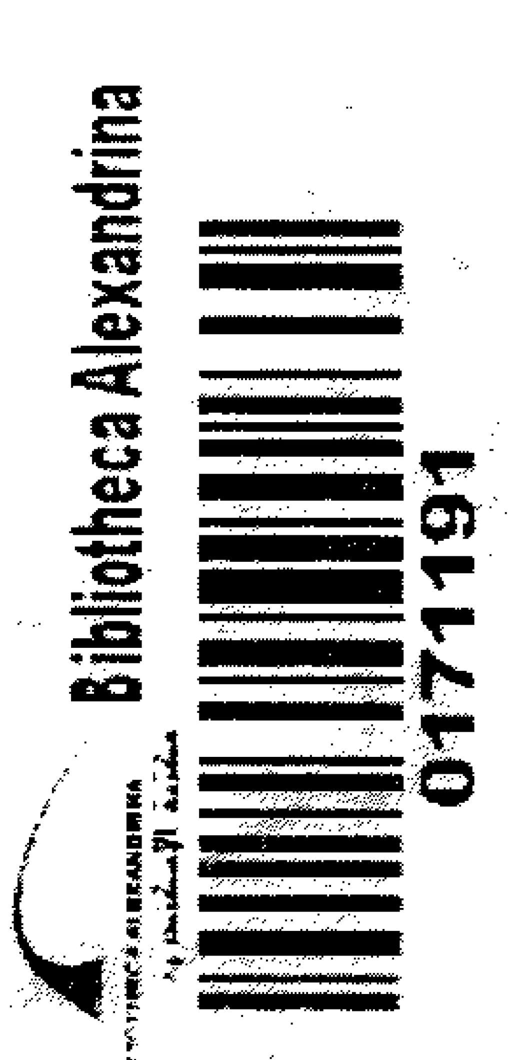
دار الحرية للطباعة ــ بغداد

## هذا الكتاب

اما وقد انتهت الحرب الباردة فان العالم اليوم يدخل وجها تاريخيا يختلف مسرحيا تماما عن عام ١٩٤٥ ـ او حتى عام ١٩٥٥ ٠ بحيث انه يكاد يدعو الى تبني سياسات جديدة من قبل جميع الامم الكبرى ٠

ودراسة البروفسور تشارلس ليرتش لكلا الاستراتيجيتين السوفيتية والامريكية تنفذ الى اعمال الكليشهات التي شوهت الفكرة الحقيقية للحرب الباردة ٠ انه يناقش كيف ان علاقات امريكا مع روسيا قد مرت بتغييرات اساسية خلال العشرين سنة الماضية بحيث تكشف ان الافتراضات المؤكدة للحرب الباردة ، في أكثر جوانبها، ليس لها اهمية بعد الان ٠ ففي تحليله للمواجهات الرئيسية يعلن البروفسور ليرتش عن تغيير التكتيك الذى حل في التحدى السوفيتي والاستجابة الامريكية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية

ماذا يكمن وراء الحرب الباردة ؟ وفيما يزداد التشدد داخل الناتو ووارشو : ان كلا من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي سيحتاجان الى الحرية لمواجهة القضايا الضاغطة التي حجبت طيلة العقد الماضي بسايكولوجية الحرب الباردة ٠ ان هذا الكتاب يكشف عن الاحتمالات المفتوحة امام القوتين فيما هما يبحثان في الوقوف على قاعدة جديدة لتعايش تنافسي ٠٠




دار الحرية للطباعة / بغداد